العقيدة الصافية

للفرقة الناجية

تأليف الدكتور

سيد سعيد عبد الغني

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

فضيلة الشيخ

سعود بن إبراهيم الشريم

القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة المكرمة

إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة

فضيلة الشيخ

علي بن نفيع العلياني

عميد كلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة

إمام وخطيب مسجد الخيف بمنى

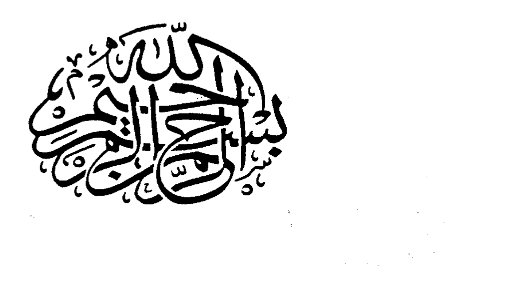
تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد بن مسفر القحطاني

الداعية بالديار السعودية







العقيدة الصافية

للفرقة الناجية



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

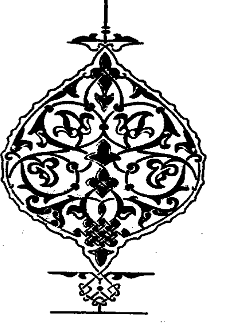
الطبعة الثالثة
١٤١٩هـ/١٩٩٨م

الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

الطبعة الخامسة خاصة بمصر
١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٦٥٤١

الترقيم الدولي
977-331-434-0



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

☐ مقدّمة بقلم فضيلة الشيخ سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم ☐

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبيّ بعده ، وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمّا بعد :

فإن دراسة العقيدة الراسخة الصحيحة – عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة – هي من الضرورات المُلحَّة التي لا يستغني عنها المسلم في إحياء قلبه وإنارته بنور الله ، ولقد أجلبَ السلف الصالح على هذه العقيدة بخَيْلهم ورَجْلهم دراسةً وتأليفًا وتعلُّمًا وتعليمًا ، فضلًا عن أنها أصول الدين ، بل هي الفقه الأكبر كما ذكر ذلك أبو حنيفة رحمه الله ، ولقد اطلعتُ على مواضع مُتعدِّدة من هذا الكتاب الموسوم بـ « العقيدة الصافية للفرقة الناجية » ، والذي قام بتأليفه أخونا في الله الأستاذ سيد سعيد عبد الغني ، والذي جمع فيه مُجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة ؛ بعبارات سهلة ، ومعانٍ واضحة ، مُدعمًا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ، ومُحلًّى بأقوال أعلام السلف الصالح وأئمة الدعوة السلفية ، مما يجعل القارئ يطمئن إليه وإلى مؤلِّفه ذي الروح السلفية ، فحسبه كذلك والله حسيبه ولا نُزكِّي على الله أحدًا ، والله أسأل أنْ ينفع بهذا الكتاب وبمؤلِّفه ، وأن يكتب له الأجر والمثوبة ، وأن يُوفِّق المسلمين جميعًا لانتهاج نهج السلف الصالح في القول والعمل والاعتقاد ، إنه سميع مُجيب ، ولطلب مُؤلِّفه التعريف به جرى إثبات ما رقمه القلم .

قاله مُقيِّده

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة

وإمام وخطيب المسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم
القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة
وإمام وخطيب المسجد الحرام

Saud Ibraheem M. Al-Shoraim
Judge of Maccah Supreme Court.
Imam and Preacher of the Holy Mosque

الرقم ____ التاريخ ____

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن دراسة العقيدة الإسلامية الصحيحة – عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة – هي من الضرورات الملحة التي لا يستغني عنها المسلم في إحياء قلبه وإنارة دربه، ولقد اعتنى السلف الصالح بهذه العقيدة تعليمًا وتعلمًا ودراسة وتأليفًا ونقلًا وتعليقًا، فضلًا عن أنها أصل الدين الذي هو المقصد الأكبر كما ذكره أهل العلم رحمهم الله، ولقد اطلعت على مواضع متفرقة من هذا الكتاب الموسوم بـ "العقيدة الصافية للفرقة الناجية"، والذي قام بتأليفه أخونا في الله الأستاذ سيد سعيد عبد الغني والذي جمع فيه أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بعبارات سهلة ومعان واضحة مدعمًا بالأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحلاه بأقوال أعلام السلف الصالح وأئمة الدعوة السلفية، مما يجعل القارئ يطمئن إليه وإلى مؤلفه ذي الروح السلفية نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا، والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ومؤلفه وأن يكتب له الأجر والمثوبة، وأن يرحم السلف جميعًا لاتباعهم نهج السلف الصالح في القول والعمل والاعتقاد إنه سميع مجيب، وأطلب من مؤلفه التعريف به عبر إثبات ما رقمه القلم.

كتبه مقرظه
سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم
القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة
وإمام وخطيب المسجد الحرام
[signature]

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - العزيزية - ص.ب ٧٥٤٥ - هاتف ٥٧٤٦٠٠٤
Saudi Arabia - Maccah - Al-Azeziah P.O. Box 7545, Tel. No. 5746004

□ مقدّمة بقلم فضيلة الشيخ علي بن نفيع العلياني □

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَنْ لا نبيَّ بعده .

وبعد :

فقد جرى استعراض الكتاب الذي ألّفه الأستاذ سيد سعيّد عبد الغني بعنوان « العقيدة الصافية للفرقة الناجية » ، فوجدتُه كتابًا نافعًا استفاد مؤلّفه من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن مؤلّفات العلماء المعاصرين كالشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين وغيرهم . والكتاب يظهر منه توجُّه صاحبه السلفي ، أسأل الله تبارك وتعالى أنْ ينفعه بعلومه ، وأنْ يجعلها حُجَّةً له لا حُجَّةً عليه ، وأن يجعلنا وإيَّاه من الفرقة الناجية السائرة على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأنْ يجعل الكتاب هذا في ميزان حسناته . وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

علي بن نفيع العلياني

عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة

وأصول الدين بمكة المكرمة

٥ / ١١ / ١٤١٥هـ

☐ تنويه بقلم فضيلة الشيخ محمد بن جميل زينو ☐

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَنْ يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أمَّا بعد :

فقد عرض عليَّ الأخ سيد بن سعيد عبد الغني مدرس التربية الإسلامية في السعودية في مكة المكرمة كتابه الذي سمَّاه « العقيدة الصافية للفرقة الناجية » ؛ فتصفَّحتُه لمدة قليلةٍ ، فوجدتُ عنوانه جميلًا ، ومواضيعه مُهمَّة جدًّا ، يحتاج إليها كلُّ مسلمٍ ، ولا سيما طلبة العلم ، فهم بحاجة إلى مثل هذا الكتاب ، والله أسألُ أنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم .

محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية
بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

□ مقدمة الطبعة الرابعة □

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام الموحدين، وخير من تعبَّد لله رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اقتفى أثره، وسار على دربه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والنجاة والفلاح للمؤمنين الموحدين، ولمن أخلص عبادته لرب العالمين.

أما بعد:

فهذه مقدمة للطبعة الرابعة ـ ولله الحمد والمِنَّة ـ لكتابي (العقيدة الصافية للفرقة الناجية) الذي هو عبارة عن مجمل لجُلِّ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة مدعماً بالأدلة الشرعية الصحيحة من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، وإجماع الأمة، وأئمة السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ من أهل السُّنَّة والجماعة.

فلقد طلب مني بعض الأخوة الكرام ـ جزاهم الله خيراً ـ المسارعة بهذه الطبعة نظراً لنفاد الطبعة الثالثة، خاصة وأن الكتاب ـ ولله الحمد ـ قُرِّر على بعض طلاب وطالبات الجامعات وبعض المعاهد الإسلامية، ومعاهد الدراسات القرآنية، بالمملكة العربية السعودية، وبالأردن وبالصومال، وبمصر وغير ذلك من حلقات العلم في المساجد، والجلسات الخاصة، وهذا من فضل الله تعالى ومنّته.

سائلاً المولى عز وجل أن يتقبّله مني، ويجعله عملاً صالحاً، ولوجهه خالصاً وأن يُطهره من الشرك، ومن كل ما يشوبه من قريب أو بعيد، وأن يحفظه، ويكتب له المزيد من القبول، وأن يجعله لي ستراً من النار، وأن يكون في ميزان حسناتي يوم ألقاه.

هو ولي ذلك والقادر عليه

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

وكتبه

أبو عبد الرحمن سيد سعيد عبد الغني

ليلة الأحد الموافق ١١/١٠/١٤٢١هـ

من المسجد الحرام ـ بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم
(يا حي ياقيوم برحمتك استغيث)

[مقدمة الطبعة الثانية]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد :

فإن قضايا العقيدة وأصول دين الإسلام من المسائل الهامة التي عُني علماء أهل السنة والجماعة بتقريرها وتأصيلها وتحقيقها وتوضيحها كي لا يلتبس على الناس أمرها فيقعوا في الضلالات والأهواء التي خُدع بها الكثير من الناس وذلك حينما جانبوا الصواب في طرق الإستدلال على مسائل العقيدة والتي تعتمد على الكتاب والسنة والإيمان بجميع نصوصهما ورد التنازع إليهما ورد التعارض بين تلك النصوص وإعتبار ظواهرها مطابقة لمراد الشرع على فهم السلف الصالح هذه القواعد أوجدت الحماية لأهل السنة والجماعة من الوقوع في تلك الضلالات فدافعوا عن العقيدة وزادوا عن حياضها وحملوا رايتها وحفظوا للأمة دينها ، وقاوموا تلك الإنحرافات الشاذة التي بدأت تطل برأسها لتصبح فرقًا ونحلاً تخالف ما اجتمعت عليه جماعة المسلمين . مثل الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة ثم ازداد هذا الانقسام بين تلك الفرق ووقع الخلاف وظهرت الفرقة التي كان سببها الإستبداد بالرأي والاعتماد على العقل ومعارضة النصوص. حتى تحقق ما أخبر به النبي ﷺ من إفتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل: من هي يارسول الله؟ قال :

« من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي »[١] .

وهذه الفرقة الناجية هي التي تكفل الله بظهور أمرها في قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »[٢] .

لها عقيدتها الصافية ومنهلها العذب الذي جمعه أخونا الشيخ / سيد سعيد عبد الغني في كتابه القيم (العقيدة الصافية للفرقة الناجية) والذي شرفني بكتابة هذا التقريظ لطبعته الثانية والذي تحدث فيه عن جل مسائل الإعتقاد عند أهل السنة والجماعة في أسلوب علمي واضح مدعمًا بالأدلة الشرعية من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ومشروحًا بكلام أعلام الأمة وأئمة السلف مما لا يستغني عن معرفتها كل مسلم .

لذا أوصي كل مسلم بالمسارعة إلى اقتنائه وتعليمه لأهله وتقديمه لأضيافه وزواره باستغلال تلك الأوقات التي تذهب هدرًا في العزائم والزيارات .

وفي الختام أدعو للأخ المؤلف بدوام التوفيق وأن يحقق الله له ما قصده من تاليف هذا الكتاب وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

كتبه

د . سعيد مسفر بن مفرح القحطاني

مكة المكرمة ١٣ / ٢ / ١٤١٨

---

(١) انظر تخريجه في الفصل الثاني من الباب الأول من الكتاب .

(٢) انظر تخريجه في الفصل الثاني من الباب الأول من الكتاب .

□ مقدمــــة □

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه مَنْ يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، ومحا الله به الظُّلْمة ، وتركَنا على المحجّة البيضاء ؛ ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعــد :

فهذا هو كتابي [العقيدة الصافية للفرقة الناجية] في العقيدة والتوحيد ؛ أردتُ به وجْه الله تعالى ، فلعلّه يكون لبنةً في صرح العقيدة الإسلامية السليمة الصحيحة ، وأن ينفع الله به المسلمين ، ويكون قد خرج على الصورة التي أردتها له في حجمه وأسلوبه . فلقد حاولتُ جاهدًا ألَّا يكبر حجم هذا الكتاب ولا تكثر عدد صفحاته ، وأيضًا حرصتُ كلَّ الحرص أن أبعد عن الأسلوب الصعب، والكلمات الغريبة ، وكثرة المترادفات ، وحاولتُ الوصول للمعلومة وتوصيلها للقارىء من أقرب طريق ، وفي أسهل عبارة ؛ حتى يكون ذلك حافزًا على قراءة الكتاب وعدم الملل ، وحتى يستطيع أن يستوعبه أي قارىء له وإن قلَّ اطّلاعه وثقافته ، حتى يُحقِّق الكتاب هدفه المُعدَّ من أجله ، ويجني منه ثمرته المرجُوَّة ولا أدَّعي أن هذا الكتاب مرجع في هذا العلم وفي هذا المجال ، فإن علمي أقلُّ من ذلك ، وبضاعتي لا تربو إلى هذا المستوى ؛ ولكن ما هي إلا سطور سطرتُها بقلمي المتواضع وقلبي الشغوف ، آملًا من الله تعالى أن يستفيد منه كلُّ مسلم ، وذلك لما أحسستُ به من حاجة بعض المسلمين لكتاب يُبيِّن أمور التوحيد والعقيدة في أسلوب سهل مُبسَّط ؛ يُبيِّن أهمَّ ما يجب على المسلم علمه ومعرفته

واعتقاده في هذا العلم ، وهو علم التوحيد ، الذي هو أصل العلوم وأجلُّها ، فبه تصحّ العبادات وتبطُل ، وبه تُقبل الأعمال وتُرفض وتُحبط ، وبه يدخل الناس الجنة ، وبدونه يدخلون النار .

فلا يُفيد العبد كثرةُ صلاته ولا زكاته ولا تسبيحاته ، ولا أي عمل مهما كبُر ، ولا أي قول مهما حسن ، ما دام هذا العبد قد فقد توحيده ونقض إيمانه ، فإن الله تعالى يقبل الأعمال القليلة ويُبارك فيها مع التوحيد من صاحبها ، ويرفض ويُحبط الأعمال وإن كانت كثيرة مع شرْك صاحبها ، فإن التوحيد هو مفرق الطرق بين الجنة والنار ، مَنْ حقّقه نعم وسعِد بجنات ربه ، ومَنْ لم يُحقّقه فتعْسًا له وبئس القرار .

ومن هنا أيها القارىء الكريم جاءت أهمية الموضوع الذي يحتويه هذا الكتاب ؛ سيرًا على درب الصالحين ، واقتداءً بسيِّد المرسلين محمد ﷺ ، وتمسُّكًا بعقيدة السلف الصالح ، واتِّباعًا لأهل السنة والجماعة .

وأسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يجعل عملي هذا صالحًا ، ولوجهه خالصًا ، وألّا يجعل لأحدٍ فيه شيئًا .

فإنْ أصبتُ فيه فمن الله وفضله وتوفيقه ، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان ، وأسأل الله أن يغفر لي زلتي .

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى أصحابه وسلَّم

وكتبه

أبو عبد الرحمن سيد سعيد عبد الغني

صباح يوم الإثنين الموافق الثامن من شهر جمادى الأولى لعام ١٤١٣هـ

السعودية / الليث / إضم

☐ التمهـــيد ☐

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، وعلى مَنْ تمسَّك بدينه، واقتفى أثره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعـد :

أردتُ في هذا التمهيد أن أعرض أمرين مهمين .

الأمر الأول: الأسباب والدوافع التي دفعتني لكتابة هذا الموضوع .

الأمر الثاني : خطة هذا الكتاب .

أولًا : الأسباب التي وراء كتابة هذا الموضوع :

إن الأسباب وراء كتابة هذا الموضوع كثيرة جدًا أذكر منها ما يلي :

١ – رضا الله تعالى ، والأجر والثواب عنده يوم يقوم الناس لرب العالمين .

٢ – أهمية هذا الموضوع؛ لأنه يتعلَّق بعلم التوحيد الذي هو رأس العلوم وأشرفها.

٣ – حاجة المسلمين الملحَّة للاستزادة من هذا العلم ، لكي تصحَّ عقيدتهم .

٤ – إهمال كثير من المسلمين [العامة منهم والمثقفين] لهذا العلم وقلَّة علمهم فيه ، وعدم وعيهم ومعرفتهم لأمور كثيرة يجب علمها واعتقادها .

٥ – حاجة المسلمين لمؤلفات كثيرة في علم التوحيد وفي العقيدة الإسلامية تعرض موضوعات هذا العلم بأسلوب سهل مُبسَّط بعيد عن التعقيد والصعوبة ، سواء في استخدام الألفاظ ، أو في أسلوب العرض .

٦ – ما يترتب على تحقيق هذا التوحيد وترسيخ هذه العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب المسلمين من سعادة لهم في الدنيا وفوز لهم في الآخرة .

ثانيًا : خطة الكتاب :

يتكون هـذا الكتاب من : مقدمة – تمهيد – أربعة أبواب – خاتمة – مراجع – فهرس .

١ - مقدمة :

وذكرتُ في هذه المقدمة نُبذة مختصرة عن هدف الكتاب وأسلوب عرضه.

٢ - التمهيد :

وذكرت في هذا التمهيد أمرين :

١ - أسباب اختيار الموضوع . ٢ - خطة الكتاب .

٣ - الباب الأول :

[العقيدة والفرقة الناجية]

وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : العقيدة تعريف وبيان .

الفصل الثاني : الفرقة الناجية .

الفصل الثالث : الإيمان والإسلام .

٤ - الباب الثاني :

[أركان الإيمان]

وينقسم هذا الباب إلى ستة فصول :

الفصل الأول : الإيمان بالله .

الفصل الثاني : الإيمان بالملائكة .

الفصل الثالث : الإيمان بالكتب .

الفصل الرابع : الإيمان بالرسل .

الفصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر .

الفصل السادس : الإيمان بالقدر .

٥ - الباب الثالث :

[التوحيد وأنواعه]

وينقسم هذا الباب إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : تعريف التوحيد وبيان فضله .

الفصل الثاني : توحيد الربوبية .

الفصل الثالث : توحيد الألوهية .

الفصل الرابع : توحيد الأسماء والصفات .

٦ - الباب الرابع :

[بعض المصطلحات في الشريعة الإسلامية]

وينقسم هذا الباب إلى ثمانية فصول :

الفصل الأول : الكفر .

الفصل الثاني : الشرك .

الفصل الثالث : النفاق .

الفصل الرابع : الردّة .

الفصل الخامس : الفسق .

الفصل السادس : الضلال .

الفصل السابع : الإلحاد .

الفصل الثامن : الولاء والبراء .

٧ - الخاتمة :

وذكرتُ فيها أمرين :

الأمر الأول : ما توصلتُ إليه أثناء بحثي وإعدادي لهذا الموضوع .

الأمر الثاني : توصياتي من خلال هذه التجربة .

٨ - المراجع :

وذكرتُ فيها أهم المراجع التي يحسُن الرجوع إليها للاستزادة من هذا الموضوع .

٩ - الفهرس :

فهرست الكتاب بطريقة تُسهِّل على القارىء الرجوع إلى موضوعات الكتاب والتعرُّف على مادة الكتاب .

الباب الأول

العقيدة والفرقة الناجيـة

الفصـل الأول
العقيدة تعريف وبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

☐ الفصل الأول ☐

○ العقيدة تعريف وبيان ○

تعريف العقيدة لغةً :

هي من العقْد ، والتوثيق ، والإحكام ، والرَّبْط بقوة .

وتقول العرب : (اعْتَقَدَ الشيءُ صلب واشتدَّ)[1] .

العقيدة : الحُكم الذي لا يقبل الشكَّ فيه لدى مُعْتَقِده .

وفي الدين : ما يُقصَد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله وبَعْثِه الرسل . والجمع (عقائد)[2] .

يقال : اعْتَقَدَ الإخاء بينهما : صدق وثبت .

عَقَدَ السائل عَقْدًا : غلُظ أو جمد .

عَقَدَ الحبل عَقْدًا : جعل فيه عُقْدة.

عَقَدَ طرفي الحبل عَقْدًا: وصل أحدهما بالآخر بعُقْدةٍ تمسكهما فأَحْكَم وصلها.

عَقَدَ البناء عَقْدًا: ألصق بعض حجارته ببعضٍ بما يمسكها فأحكم إلصاقها[3].

تعريف العقيدة شرعًا :

هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شكٌّ لدى معتقده ، والإيمان المقصود

---

(١) لسان العرب : عقد .

(٣،٢) المعجم الوسيط .

هنا هو الإيمان بالله تعالى . وما يجب له من التوحيد والطاعة ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر ، وسائر ما ثبت من أمور الغيب ، والأخبار ، والقَطْعيات ، علميَّةً كانت أو عمليَّةً .

بين يدي التعريف :

ويتَّضح من تعريف العقيدة لغة وشرعًا أنها تدور حول الشيء الصلْب والشديد ، الذي لا ليونة فيه ولا ميوعة ، بل هو شيءٌ ثابت راسخ رسوخ الجبال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾[1] . لأن عقيدتهم جازمة لا ريب فيها .

فإن العقائد هي الأمور التي تُصدِّق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب ، وتكون يقينًا عند أصحابها ، لا يخالطها شك ، ولا يهزها ريب ، ولا يثنيها حدث ، ولا تذهبها الأعاصير ، فهي متمكِّنة من القلوب وراسخة فيها تتزلزل الجبال وهي ثابتة راسخة ، تقتلع الأوتاد من جذورها وتأبى العقائد إلا أن تثبت .

وعلى هذه العقائد الراسخة وهذا اليقين الثابت المطمئن، ربَّى رسول الله ﷺ الرعيل الأول رضوان الله عليهم ، فكانوا خير قرن وخير رجال عرفتهم البشرية ، وبهذه العقيدة الإسلامية الثابتة العميقة المباركة انطلق هؤلاء الصحابة – رضي الله عنهم – ينشرونها في أرجاء المعمورة ففتح الله لهم البلاد ، وأخضع لهم العباد ، وجعلهم سببًا في خروج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس .

والجدير بالذكر أن كلمة العقيدة لم تذكر في القرآن الكريم ولا في سنة رسول الله ﷺ ، وذلك رغم تواتر وتتابع علماء المسلمين قديمًا وحديثًا على العنونة لمباحث هذا العلم بـ (العقيدة) أو العقائد .

ولكن إذا تتبعنا القرآن الكريم نجد أن مادة كلمة (عَقَدَ) موجودة في القرآن الكريم في مواضع عدة ، ومن ذلك :

---

(١) الحجرات (١٥) .

قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾[1] والمقصود بـ (عقّدتم الأيمان) هنا أن يكون بقصد القلب وعزمه، وذلك بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصْد .

وفسَّرها الإمام الحافظ ابن كثير قائلًا : « أي بما صمَّمتم عليه منها وقصدتموها »[2]

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾[3] .

والعقود هي أوثق العهود ، والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره فنلحظ من ذلك أن أصل كلمة (عقد) بمشتقاتها التي وردت في القرآن الكريم تدل على اللزوم والتأكُّد والاستيثاق ، والإحكام ، والرسوخ ، وهذا هو المعنى العام لكلمة (العقيدة) .

○ أنواع العقيدة ○

١ – العقيدة الصحيحة :

إن العقيدة الصحيحة السليمة القويمة هي تلك العقيدة التي بعث الله تعالى بها الرسل ، والتي بلَّغها الرسل – صلوات الله عليهم – إلى الناس في أي مكان وزمان ، وهي التي ارتضاها الله تعالى لخلقه جميعًا .

وهي عقيدة واحدة لا تتعدَّد ولا تتجزَّأ لأنها منزلة من عند العليم الخبير ، ولو تعدَّدت الرسل واختلف زمانهم ومكانهم إلَّا أن العقيدة واحدة لا تتغير ولا تتبدّل ولا تتعدّد ؛ وذلك لأن مُنزلها ومُرْتضيها هو الواحد الأحد الذي لا يتغير ولا يتبدّل جل جلاله .

---

(١) المائدة (٨٩) .
(٢) تفسير ابن كثير (المائدة) .
(٣) المائدة (١) .

وهذه العقيدة الصحيحة لا توجد اليوم إلّا في الإسلام ؛ لأنه الدين الذي تكفّل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين .

فهذه العقيدة الصحيحة توجد في الإسلام في أصلَيْه : « الكتاب والسنة » نديّة طريّة صافية ، مشرقة ، تُقنع العقل بالحُجة والبرهان ، وتملأ القلب إيمانًا ويقينًا وحياة[1] .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ ... ﴾[2] .

إذًا فالعقيدة الإسلامية هي العقيدة الصحيحة التي تمدُّ الإنسان بكل ما يحتاجه في حياته ، وتردُّ على كل تساؤلاته ، وتشفي جميع ما في صدره ، فهي للإنسان ضرورية ضرورة الماء والهواء ، فالإنسان بدون هذه العقيدة لا قيمة له ولا وزن ، فهو في حيرةٍ وفي تخبُّطٍ ولا يدري من أين ، ولا إلى أين ، ولا يعلم وظيفته الحقيقية ولا مهمته الأساسية التي من أجلها خُلِق ، ولا يعلم شيئًا عن مصيره الحتمي الذي ينتظره .

فلا حياة ولا نجاح ولا فلاح في الدين والدنيا إلا بهذه العقيدة الصحيحة السليمة.

٢ – العقيدة الفاسدة :

والعقيدة الفاسدة بمعنى مختصر هي كل عقيدة تخالف العقيدة الإسلامية – العقيدة الصحيحة – سواءٌ أكانت عقيدة أهل الكتاب أو عقيدة الفرق والجماعات والمذاهب والأنظمة المتعددة والمختلفة .

وأما بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية « أهل الكتاب » فلقد دخل عليها التحريف والتغيير والتبديل ، وقد تمَّ ذلك على يد أبنائها ، فانحرفوا عن الطريق المستقيم والنهج القويم والعقيدة الصحيحة ، وإن كانت عقيدتهم سليمة في الأصل لأنها من عند الله تعالى .

---

(١) العقيدة في الله : عمر سليمان الأشقر .

(٢) الشورى (٥٢) .

أما بالنسبة للمذاهب والتيارات والفرق والأنظمة المختلفة، مثل «الشيوعية والرأسمالية ، الوطنية ، القومية » فكل هذه المعتقدات التي هي عند أصحابها عقيدة يمشون عليها ، ويحبون من أجلها ويجاهدون في سبيلها ، ويموتون من أجلها ، ويُضحُّون بالغالي والرخيص من أجل الذَّوْد عنها ونشرها – فهي باطلة فاسدة هابطة ؛ وذلك لأنها من نتاج وأفكار وأذهان البشر ومن وضْع عقولهم ، وحقَّ لها أن تكون عقائد فاسدة ؛ لأنها تخالف خالقها وتحارب فطرتها وتتمرَّد على مُوجدها .

بين العقيدة والإيمان :

كما علمنا مما تقدَّم أن العقيدة هي اعتقاد يكون في القلب يرسخ فيه ويسكُن ، والعقيدة بهذا المعنى تمثِّل (قاعدة الإيمان وأصله) .

إذ لابد من هذا المعتَقَد أن يُترجم إلى واقع عملي ملموس ، مطبَّق في القول والعمل والسلوك والمظهر والقيم والمبادئ ، لابد لهذه العقيدة أن نلمسها ونحسّها ، لابد أن تعبِّر عن نفسها وتُعلن عن وجودها ، وذلك على الجوارح ، وهذا هو المقصود بالإيمان الذي قاعدته وأصله العقيدة ، ثم تُترجم هذه العقيدة عن طريق الإيمان إلى ذلك القول والعمل والسلوك والمظهر .

وإلَّا فإن العقيدة التي تسكُن في القلب ولا يكون لها وجود في العلانية على جوارح صاحبها ، فهي عقيدة ناقصة ، خاوية ، باردة ، ولا تقوم لها قائمة ، بل لا تستحقُّ أن يطلق عليها اسم عقيدة .

إذًا فالعقيدة : اعتقاد يسكن ويستقرُّ في القلب ، وعمل يظهر ويتَّضح ويترجم على الجوارح .

فإذا فُقد أحد هذين الأساسين والركنَيْن فإن الإيمان يزول أو يختلّ ؛ وذلك لأن الاتصال بين الطرفين وثيقٌ وشديد الصِّلة لا ينفكّ ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر .

○ أهداف العقيدة الإسلامية[١] ○

الهدف لغة :

يطلق على معانٍ منها: (الغَرَض يُنصب ليُرمى إليه. وكلّ شيءٍ مقصود).
وأهداف العقيدة الإسلامية :

مقاصدها، وغاياتها النبيلة المترتِّبة على التمسُّك بها. وهي كثيرةٌ متنوِّعة، فمنها:

أولًا : إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده :
لأنه الخالق لا شريك له، فوَجَبَ أنْ يكون القصْد والعبادة له وحده.

ثانيًا : تحرير العقل والفكر من التخبُّط الفوضوي :
الناشيء عن خُلوِّ القلب من هذه العقيدة ؛ لأن من خلا قلبُه منها، فهو إما فارغ القلب من كل عقيدةٍ وعابد للمادَّة الحِسِّية فقط، وإما متخبِّط في ضلالاتِ العقائد والخرافات

ثالثًا : الراحة النفسية والفكرية :
فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر ؛ لأن هذه العقيدة تَصِل المؤمن بخالقه ، فيرضى به ربًّا مدبّرًا وحاكمًا مشرِّعًا، فيطمئن قلبُه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلًا .

رابعًا : سلامة القصْد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين:
لأن من أُسُسِها الإيمان بالرسل، المتضمِّن لاتِّباع طريقتهم ذات السلامة في القصْد والعمل .

خامسًا : الحزم والجدّ في الأمور :
بحيث لا يفوِّت فرصةً للعمل الصالح إلا استغلَّها فيه رجاءً للثواب، ولا

---

(١) انظر (شرح أصول الإيمان) لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفًا من العقاب ؛ لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1]. وقد حث النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله : « **المؤمنُ القويُّ خيْرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضعيفِ ، وفي كلٍّ خيْرٌ ، احرِصْ على ما ينفعُكَ واستعِنْ باللهِ ، ولا تعْجَزْ ، وإنْ أصَابَكَ شيءٌ فلا تقُلْ : لو أنِّي فَعَلْتُ كانَ كذا وكذا ولكنْ قُلْ قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعلَ ، فإنَّ (لو) تفتحُ عَمَلَ الشيطانِ** »[2].

سادسًا : **تكوين أمة قوية تبذل كلّ غالٍ ورخيص في تثبيت دينها :** وتوطيد دعائمه ، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[3] .

سابعًا : **الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات :** ونيل الثواب والمكرمات ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4] .

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية ، نرجو الله تعالى أن يُحقّقها لنا ولجميع المسلمين .

* * *

(١) سورة الأنعام الآية (١٣٢) .
(٢) حديث صحيح رواه الإمام مسلم (كتاب القدر) باب (الإيمان للقدر والإذعان له).
(٣) سورة الحجرات الآية (١٥) .
(٤) سورة النحل الآية (٩٧) .



الفصل الثاني
الفرقة الناجية

□ الفصل الثاني □

○ الفرقة الناجيـة ○

* تعريف بالفرقة الناجية *

الفرقة الناجية :

وهي الفرقة التي صحَّتْ عقيدتها وخلصت نيَّتها وسارت على دربِ وسنة نبيِّها ، وهي « أهل السنة والجماعة » .

ومعنى أهل السنة : أنهم قد اتَّبعُوا سنة نبينا محمد ﷺ في كل ما جاء به وأمر ، وكل ما نهى عنه وزجر ، سواءٌ في أمور العقيدة أو أمور الشريعة .

وسُمّوا الجماعة : لأنهم الذين اجتمعوا على الحق ولم يتفرَّقوا في الدين ، واجتمعوا على أئمة الحق ولم يخرجوا عليهم ، واتَّبعُوا ما أجمع عليه سلف الأمة .

ولما كانوا هم المُتَّبعين لسُنَّة النبي ﷺ ، المُقْتَفِين للأثر ؛ سُمّوا « أهل الحديث » و « أهل الأثر » و « أهل الاتباع » ، ويُسمّون « الطائفة المنصورة » و « الفرقة الناجية »[١] .

وأصل هذه التسمية (الفرقة الناجية) هي قول الرسول ﷺ : « **افترقَتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقةً ، وافترقتِ النصارى على اثْنَتَيْنِ وسبعينَ فرقةً ، وستفترقُ هذه الأُمَّةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً ، كلُّها في النارِ إلا واحدةً** » . فقال الصحابة : من هي يا رسول الله ؟ قال : « **مَنْ كانَ على مثلِ ما أنا عليه وأصحابي** »[٢].

---

(١) نقلًا عن مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة للدكتور : ناصر العقل .
(٢) رواه أبو داود والدارمي وأحمد والحاكم وحسنه الألباني في « الصحيحة».

المقصود بالأمة في الحديث :

أولًا : إما أن يكون المراد بالأمة في هذا الحديث أمة الإجابة ، وهي خاصّة بمن آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صادقًا ومات على ذلك . فمنهم اثنتان وسبعون منحرفون مبتدعون بدعًا لا تُخرج من ملة الإسلام ، فتعذّب ببدعتها وانحرافها ، إلّا من عفا الله عنها وغفر لها ، ومآلها الجنة .

والفرقة الناجية : هي التي استنّتْ وتمسّكتْ بسنة النبي ﷺ وأصحابه الكرام - رضي الله عنهم - وهم الذين قال فيهم الرسول ﷺ : « **لا يزالُ من أُمّتي أُمّةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ ، لا يَضُرُّهم مَنْ كذَّبَهُمْ ولا مَنْ خذَلَهم حتى يأتيَ أمْرُ اللهِ وهُمْ على ذلك** »[1].

وفي رواية لمسلم : « **لا تزالُ عِصابةٌ من أُمّتي يُقاتلونَ على أمْرِ اللهِ قاهرينَ لِعَدُوِّهم لا يضرُّهم مَنْ خالَفهم ، حتى تأتِيَهُم الساعةُ وهُمْ على ذلك** »[2].

أما من أخرجتْه بدعتُه عن الإسلام فيخلد في النار فهو ليس من أمة الإجابة.

وهذا هو التفسير الراجح للحديث .

ثانيًا : وهناك تفسير آخر للأُمّة : أن المراد بها في هذا الحديث « أمة الدعوة »، وهي عامّة تشمل كلّ من بُعِث إليهم النبي ﷺ، مَنْ آمن منهم ومن كفر، والمراد بالواحدة « الفرقة الناجية » وهي خاصّة بمن آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صادقًا ومات على ذلك ، وهذه هي الفرقة الناجية من النار ؛ إما بدون سابقةِ عذابٍ ، وإمّا بعد سابقة عذاب . ومآلها إلى الجنة وأما الاثنتان وسبعون فرقة، فهي ما عدا «الفرقة الناجية» وكلها كافرة مُخلدة في النار[3] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه ﴾ .

(٢) رواه مسلم (كتاب الإمارة) باب (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) .

(٣) انظر كتاب فتاوى إسلامية لمجموعة علماء (ابن باز ، ابن عثيمين ، ابن جبرين) فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء « باب العقيدة » .

قال الإمام النووي :

يجوز أن تكون الطائفة جماعةً متعددةً من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاع ، وبصيرٍ بالحرب ، وفقيهٍ ومحدِّثٍ ، ومفسِّر ، وقائمٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يلزم أن يكونوا مُجْتَمِعِين في بلدٍ واحد ، بل يجوز اجتماعهم في قطرٍ واحد ، وافتراقهم في أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد ، وأن يكونوا في بعضٍ دون بعض منه .

ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولًا فأولًا إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلدٍ واحد ، فإذا انقرضوا جاء أمر الله[1] .

عقيدة الفرقة الناجية :

إن عقيدة الفرقة الناجية هي عقيدة الصحابة — رضوان الله عليهم — وعقيدة السلف الصالح ، فإن عقيدتهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، هي العقيدة الحقَّة التي ارتضاها الله تعالى لعباده الموحِّدين ، والتي من أجلها أُرسل الأنبياء والمرسلين ليجعلهم هدى ونورًا للعالمين .

فلا تصح هذه الصفة (الفرقة الناجية) إلا لطائفةٍ مخصوصة ، هم الصفوة المرجوَّة لهذه الأمة في كل زمان ومكان .

قال الشيخ حافظ الحكمي :

وإنما تصلح هذه الصفة لحَمَلَتِها وحُفَّاظها ونقادها المنقادين لها ، المتمسِّكين بها الذابِّين عنها ، يقفون عندها ويسيرون بسيرها ، لا ينحرفون عنها يمينًا ولا شمالًا ، ولا يقدِّمون عليها لأحدٍ مقالًا ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم ، ولا يضرُّهم ذلك حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى؛أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة وجيش دولتها ، المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها ، وفَّقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم ، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فآمنوا

---

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، باب بعض هذه الأمة يعبد الأوثان .

بما أخبر الله به من كتابه العزيز وأخبر به عبدُه ورسوله محمد ﷺ في سُنَّته ، وتلقَّوه بالقبول والتسليم إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل ، وتنزيهًا بلا تحريف ، فهم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في (باب أفعال الله تعالى) بين الجبرية والقدرية ، وفي (باب وعيد الله) بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم ، وفي (باب الإيمان والدين) بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي (أصحاب الرسول ﷺ) بين الرافضة والخوارج[1] .

من سمات الفرقة الناجية :

ومن سمات هذه الفرقة الناجية أنهم أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة ، وأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة فانتدبوا لنصرة الدين . دعوةً وجهادًا ، وقاوموا أعداء الله ولم يخشوا في الله لومة لائم ، ولم يبالوا بعداوة من عادى ، ولقد بهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل وصنفوا في رد شبههم ودفع باطلهم ، فمنهم المتقصّي للرد على الطوائف بأسرها ومنهم المخلّص لعقائد السلف ، ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين إلا ويقيض الله لها جيشًا من عباده المخلصين ، فحفظ الله دينه على عباده وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وذلك مصداقًا لوعد الله عز وجل بحفظه الذكر الذي أنزله قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2]. وإعلاءً لكلمته وتأييدًا لحزبه ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[3][4].

* * *

(١) انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ الحافظ ابن أحمد الحكمي (١/٦١-٦٢) .

(٢) الحجر (٩) .

(٣) الصافات (١٧٣) .

(٤) انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ الحافظ ابن أحمد الحكمي (١/٦١-٦٢) .

الفصـل الثـالـث
الإيمان والإسلام

□ الفصل الثالث □

○ الإيمان والإسلام ○

* الإيمـان *

تعريف الإيمان لغة :

الإيمان لغةً هو التصديق[١] .

والإيمان : مشتقّ من الأمْن ، الذي هو ضد الخوف، وعند إطلاقه يُراد به التصديق .

والإيمان بالله تعالى : إثباته والاعتراف بوجوده .

والإيمان لله : القبول عنه والطاعة له .

والإيمان بالنبي ﷺ : إثباته والاعتراف بنبوّته .

والإيمان للنبي ﷺ : اتّباعه وموافقته والطاعة له[٢] .

مع ملاحظة :

أن الإيمان لله عبادة له ، ولكن الإيمان لرسوله فهو بمعنى القبول عنه دون عبادته .

تعريف الإيمان شرعًا :

تعريف الإيمان شرعًا : وهو اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان وهذا هو رأي جمهور العلماء وعامة السلف ، ومنهم الأئمة الثلاثة : أحمد ومالك والشافعي .

---

(١) انظر المعجم الوسيط ، المعجم الوجيز .

(٢) مختصر شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق وتعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .

ولقد حكى الإمام الشافعي– رحمه الله – إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك[١]

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله :

« ولهذا كان القول : إن الإيمان قول وعمل، عند أهل السنة، ومن شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا عن الشافعي – رضي الله عنه – ما ذكره من الإجماع على ذلك ؛ قوله في « الأم » : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين مِن بعدِهم ومَن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزىء واحد من الثلاثة إلا بالآخر .

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف ، عن موسى بن هارون الجمال ، قال : أملى علينا إسحاق بن راهويه أن الإيمان : قول وعمل ، يزيد وينقص ، لا شك أن ذلك كما وصفنا ، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة ، والآثار العامة المحكمة ، وآحاد أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين وهلم جرّا على ذلك ، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه ، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالعراق ، ومالك بن أنس بالحجاز ، ومعمر باليمن ، على ما فسرنا وبيّنّا ، أن الإيمان : قول وعمل ، يزيد وينقص »[٢] .

نزاع أهل السنة نزاع لفظي :

أشرنا قبل قليل إلى تعريف أهل السنة وإجماعهم على تعريف الإيمان بأنه (اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان) ، ولكن هناك البعض من أهل السنة أيضًا من عرَّف الإيمان بأنه (قول) وليس (قول وعمل) فهذا

---

(١) وخالف بعضهم فقال الإيمان (الاعتقاد والنطق) أما العمل فهو من لوازم الإيمان ولا يدخل في مسمّاه .

(٢) انظر كتاب (الإيمان) لشيخ الإسلام ابن تيمية تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني صـ ٢٩٢، ٢٩٣ .

الخلاف ليس كما يتوهّم القارىء لأول وهلة ، فإن هذا الخلاف ليس جوهريًا في مفهوم معنى الإيمان ومدلوله ومستلزماته ، ولكن هذا الخلاف خلاف لفظي فقط ، ولكن يبقى المفهوم والمدلول واحدًا عندهم جميعًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

ومما ينبغي أن يُعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قولٌ ، من الفقهاء ، كحماد بن أبي سليمان – وهو أول من قال ذلك – ومن اتّبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد ، وإن قالوا : إن إيمانهم كامل الإيمان كإيمان جبريل ، فهم يقولون : إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقًا للذم والعقاب ، كما تقوله الجماعة (يقصد جماعة أهل السنة) ويقولون أيضًا بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة .

والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار ، فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مُقرِّين باطنًا وظاهرًا بما جاء به الرسول وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد ، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها ، ولا يخلد منهم فيها أحد ، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء ، ولكن الأقوال المنحرفة قوْل من يقول بتخليدهم في النار (كالخوارج والمعتزلة) . وقول غلاة المرجئة الذين يقولون : ما نعلم أن أحدًا منهم يدخل النار ، (بل نقف في هذا كله)[1] .

وينقسم الإيمان إلى : خفيٌّ وجليٌّ . ومن هذا التعريف يتبين لنا أن :
الإيمان قسمان ، هما :

---

(١) انظر كتاب (الإيمان) لشيخ الإسلام ابن تيمية تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني صـ ٢٨١، ٢٨٢ .

الخفي : هو النيّات والعزائم التي لا تجوز العبادات إلا بها .

الجلي : ما يُقام بالجوارح إقامة ظاهرة (كقراءة القرآن ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والجهاد في سبيل الله ، وغيرها) وكل ذلك يسمّى إيمانًا وإسلامًا[1] .

الإيمان يزيد وينقص :

إن السلف – رضي الله عنهم – لما عرَّفوا الإيمان بأنه : « اعتقاد بالجنان ونطقٌ باللسان وعمل بالأركان » جعلوا بهذا التعريف وهذا الاعتقاد أن الأعمال داخلةٌ في مُسَمَّى الإيمان ، وأن الأعمال شرطٌ في كمال الإيمان، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان؛ فهو يزيد بالطاعات ويكمل، وينقص بالمعاصي والمخالفات، واستدلَّ السلف – رحمهم الله تعالى – بعدة أدلةٍ من الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه ، ومن هذه الأدلة :

١ – قال تعالى : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾[2]

وجه الاستدلال : أن الله – سبحانه وتعالى – يخبر أنه – سبحانه – ما جعل أصحاب النار إلا ملائكة ، وذكر عددهم ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ وما ذلك إلا اختبارٌ وتمحيص، وأن ذلك الخبر من الله تعالى لن يكون بالنسبة للمؤمن الحق إلا في مكان العقيدة والتسليم ، فيزداد بذلك إيمانًا مع إيمانه وتصديقًا مع تصديقه ، وهذا دليلٌ على أن الإيمان قد زاد عند المؤمن بهذه الطاعة ، وما يَقْبَل الزيادةَ يقبل النقصان .

٢ – قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3] .

---

(١) مختصر شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق وتعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .

(٢) المدثر (٣١) .

(٣) الأنفال (٢) .

وجه الاستدلال : أن الله تعالى - في أول هذه الآية الكريمة - حَصَر صفة من سيتكلم عنهم ، وعن صفاتهم أولًا وهم المؤمنون ، ثم أخبر عنهم أن من صفاتهم أنهم إذا ذُكِر الله تعالى وَجِلَتْ قلوبهم ، وارتعشت أبدانهم ، ولانت جلودهم ، وحصل لهم من الخوف ما يُبعدهم عن المعاصي ، وحصل لهم من الرجاء ما يُحَبِّب لهم الطاعات ، وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وما زال الإيمان يزيد حتى يصل إلى الكمال ، أي كمال الإيمان .

وهذا هو الشاهد ، ووجه الاستدلال أن الإيمان قد زاد بسماع آيات الله ، والذي يجوز عليه الزيادة يجوز عليه النقصان .

٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : **« الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبةً ، فأفضَلُها قولُ : لا إلهَ إلا اللهُ ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ »**[1].

وجه الاستدلال : يستدل من لفظ الحديث أن الإيمان شُعَبٌ كثيرة ومتعدِّدة ، وأعلاها وأفضلها (لا إله إلا الله) ومن لم يُحقِّقها انتقص إيمانه وزال ، وذلك بالإجماع ، وأقلُّها هي (إزالة الأذى عن طريق المسلمين)، ومن لم يحقّقها لا يزول إيمانه إجماعًا أيضًا ، والإيمان يكمل بكمال الاتصاف بهذه الشعب والقيام بها ، وينقص بفَقْد بعضها ، وهذا دليلٌ على الزيادة والنقصان في الإيمان .

٤ - وعند الإمام أحمد ، من طريق عبد الله بن حكيم ، عن ابن مسعود : أنه كان يقول : (اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا)[2] .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري : وهذا أصرَحُ في المقصود، أي في بيان أن الإيمان يزيد وينقص ، فلفظ ابن مسعود يطلب زيادة في إيمانه ، ومعنى ذلك أن الإيمان يزيد وينقص تبعًا لذلك .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) (باب الحياء شعبة من الإيمان) .

(٢) رواه أحمد وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري :

قوله: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص» – يعني قول البخاري رحمه الله – والكلام هنا في مقامين؛ أحدهما: كونه قولًا وعملًا. والثاني: كونه يزيد وينقص.

المقام الأول :

فأما (القول) فالمراد به النُّطق بالشهادتين ، وأما (العمل) فالمراد به ما هو أعمُّ من عمل القلب والجوارح ، ويدخل فيه الاعتقاد والعبادات .

ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان ومن نفاه ، إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى ، فالسلف قالوا : هو اعتقادٌ بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان . وأرادوا بذلك أن الأعمال شرطٌ في كماله؛ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص.أما النظر إلى ما عندنا فالإيمان هو (الإقرار) فقط فمن أقر أُجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يُحكم عليه بالكفر إلا أن يقترف فعلًا يدلُّ على كفره كالسجود للصنم فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمن أطلق عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره ، ومن نفى عنه الإيمان فبالنظر إلى كماله ، ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر إلى أنه فَعَل فِعْل الكافر ، ومن نفاه فبالنظر إلى حقيقته .

أما المقام الثاني :

فذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص ، قال الشيخ محيي الدين : والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الدلالة ، ولهذا كان إيمان الصِّدّيق – يقصد أبا بكر الصديق ، رضي الله عنه – أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة .

ويؤيِّده أن كل أحدٍ يعلم أن ما في قلبه يتفاضل ، حتى إنه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقينًا وإخلاصًا وتوكُّلًا منه في بعضها .

روى أبو القاسم اللالكائيُّ بسنده الصحيح ، عن البخاري ، قال : لقيتُ أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار ، فما رأيت أحدًا يختلف في أن الإيمان : (قول وعمل، ويزيد وينقص) .

وقال الحاكم – في مناقب الشافعي – قَوْلَ الشافعي : الإيمان يزيد وينقص والإيمان قول وعمل .

وزاد أبو نعيم في ترجمة الشافعي : يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله :

« قال أبو عبيدٍ ، القاسمُ بن سلامٍ الإمامُ – وله كتاب مصنَّف في الإيمان – قال : هذه تسمية من كان يقول : (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص):

من أهل مكة :

عبيد بن عمير الليثي ، عطاء بن أبي رباح ، مجاهد بن جبر ، ابن أبي مليكة ، عمرو بن دينار ، ابن أبي نجيح ، عبيد الله بن عمر ، عبد الله بن عمر ابن عثمان ، عبد الملك بن جريج ، نافع بن جبير ، داود بن عبد الرحمن العطار ، عبد الله بن رجاء .

ومن أهل المدينة :

محمد بن شهاب الزهري ، ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أبو حازم الأعرج ، سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يحيى بن سعيد الأنصاري ، هشام ابن عروة بن الزبير ، عبد الله بن عمر العمري ، مالك بن أنس ...

ومن أهل اليمن :

طاوس اليماني ، وهب بن منبه ، معمر بن راشد ، عبد الرزاق بن همام .

ومن أهل مصر والشام :

مكحول ، الأوزاعي ، سعيد بن عبد العزيز ، الليث بن سعد ، عبد الله ابن أبي جعفر ، معاوية بن أبي صالح ، حيوة بن شريح ، عبد الله بن وهب .

---

(١) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري . للحافظ ابن حجر العسقلاني « كتاب الإيمان » .

ومن أهل الكوفة :

علقمة، الأسود بن يزيد، أبو وائل، سعيد بن جبير، إبراهيم النخعي،...

ومن أهل البصرة :

الحسن بن أبي الحسن ، محمد بن سيرين ، قتادة بن دعامة ، شعبة بن الحجاج ، معاذ بن جبل ، ....

قال أبو عبيدة: هؤلاء جميعًا يقولون: (الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص) وهو قول أهل السنة المعمول به عندنا[1] .

○ بين الإسلام والإيمان ○

إن الدين الإسلامي يجتمع في الإسلام والإيمان ، وتتحقق عبودية المسلم الحقة لله تعالى بتحقيق الإسلام والإيمان عند المسلم ، ويكون محرمًا على النار ومن أهل الجنان ، وبيان الإسلام والإيمان واضح في حديث الرسول ﷺ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **كانَ النبيُّ ﷺ بارزًا يومًا للناسِ ، فأتاهُ رَجُلٌ فقالَ : ما الإيمانُ ؟ قالَ : « الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ ، وملائكتِهِ وبلقائِهِ ورُسُلِهِ ، وتُؤمنَ بالبعثِ » . قالَ : ما الإسلامُ ؟ قال : « الإسلامُ أنْ تعبُدَ اللهَ ولا تُشركَ به ، وتُقيمَ الصلاةَ ، وتُؤتيَ الزكاةَ المفروضةَ ، وتصومَ رمضانَ ، وتحجَّ البيتَ » . قالَ : ما الإحسانُ ؟ قالَ : « أنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ ، فإنْ لمْ تكُنْ تراهُ فإنه يراكَ » . قالَ : متى الساعةُ ؟ قال : « ما المسئولُ عنها بأعلمَ مِنَ السائلِ ، وسأُخبرُكَ عن أشراطِها : إذا ولدتِ الأَمَةُ ربَّها ، وإذا تطاولَ رُعاةُ الإبلِ البُهْمِ في البنيانِ ، في خمسٍ لا يعلمُهُنَّ إلا اللهُ » . ثم أدبرَ فقالَ : « رُدُّوه » . فلم يَرَوْا شيئًا ، فقالَ :**

---

(١) انظر كتاب (الإيمان) لشيخ الإسلام ابن تيمية تخريج الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني صـ ٢٩٣: ٢٩٥ .

« هذا جبريلُ جاءَ يُعلّمُ الناسَ دِينَهم »[١].

مع الإسلام :

يتبين من حديث الرسول الكريم ﷺ أن للإسلام أركانًا لابد من أن تتحقَّق لكي يكمل إسلام المسلم ، ولكن هل يقتصر الإسلام وينحصر في هذه الأركان التي ذكرها الرسول ﷺ .

والجواب أن هذه الأمور التي ذكرها الرسول ﷺ ما هي إلا الأركان فقط وأظهر شعائر الإسلام ، وبقيام الإنسان بها يتم استسلامه وتَرْكها يُشْعِر بعَدَم الاستجابة والانقياد .

ولكن إذا كانت هذه أركان الإسلام ، فإن صَرْح الإسلام يضمُّ أشياء كثيرة وأعمالًا مختلفة ، ولقد سمَّى الرسول ﷺ كثيرًا من الأمور إسلامًا (كتسليم القلب ، وسلامة الناس من اللسان واليد ، وإطعام الطعام ، وطيب الكلام) منها ما هو عملي، ومنها ما هو قلبي ومن أعمال القلب .

ومن المعلوم أن الإنسان لم يقُم بفعل هذه الأعمال وهذه الشعائر إلا عن إيمان صادقٍ وعقيدة راسخة وتصديقٍ لا ريب فيه .

فهذه الأعمال الظاهرة على الجوارح ، من ورائها عقيدة وإيمان في القلب .

مع الإيمان :

ويتبين لنا من هذا الحديث – والروايات الأخرى المتعددة له – أن الإيمان أيضًا له أركان لابد من تحقيقها في القلب ويقين المؤمن ، وهي : (الإيمان بالله ، وبالملائكة وبالكتب السماوية، وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره).

ونلاحظ أن هذه الأركان كلها من عمل القلب ، وأنها كلها أمور قلبية يعتقدها المسلم في قلبه .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب (سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان) وهناك روايات متعددة لهذا الحديث .

ولكن الإيمان لا يقتصر على أعمال القلب، كما قررنا في تعريف السلف، وأنه لابد من عمل الجوارح ، ولذلك فإننا نجد الرسول ﷺ يطلق لفظ الإيمان على ما ذكره من أركان الإسلام، وذلك في حديث شعب الإيمان ، وذكر أن أعلاها لا إله إلّا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[١] .

الخلاصة :

ويتّضح لنا من هذا العرض أن الرسول ﷺ أطلق الإسلام على أشياء والإيمان على أشياء ، ثم أطلق الإسلام على ما سمّاه إيمانًا ، وأطلق الإيمان على ما سمّاه إسلامًا ، إذًا فهناك تلازم وتكامل بين الإسلام والإيمان وهما واجبان ، فلا يُنال رضوان الله تعالى ولا يُنجَى من عقابه إلا بالانقياد الظاهر مع يقين القلب ، فلا يصح التفريق بينهما .

ونلحظ هذا في قول الله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢] .

وعلى هذا فإن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا – أي إذا ذُكرا في مقام واحد سويًا – فُسّر الإسلام بالأمور الظاهرة من الأعمال ، وفُسّر الإيمان بالأمور الباطنة من الاعتقاد ، وإذا افترقا – أي ذُكِر أحدُهما على انفرادٍ – فُسّر أحدهما بما يُفسَّر به الآخر ، فإذا قلنا مثلًا : الإسلام – بمفرده – فيُقصد به الاعتقاد الباطن والأعمال الظاهرة ، وإذا قلنا مثلًا : الإيمان – بمفرده – فيقصد به الاعتقاد الباطن والأعمال الظاهرة أيضًا .

وحكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة ، قالوا : (إنهما تختلف دلالتهما بالاقتران فإن أفرد أحدهما دخل الآخر فيه)[٣] .

* * *

(١) جزء من حديث رواه الإمام مسلم (كتاب الإيمان)، باب (الحياء شعبة من الإيمان) .

(٢) الذاريات (٣٥ ، ٣٦) .

(٣) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (كتاب الإيمان) .

الباب الثاني

أركان الإيمان

الفصـــل الأول
الإيـــمان بالله

□ الفصل الأول □

○ الإيمان بالله ○

* أركان الإيمان *

أركان الإيمان ستة، والركن: هو الشيء القوي، وركن الشيء جانبه القوي.
والمراد بأركان الإيمان : ما يتوقف عليه الإيمان ، وما لا يقوم الإيمان إلَّا به ، وإذا فُقِد ركنٌ أو هُدِم أو لم يتحقَّق ، انهدم الإيمان وبطل .
فلا يصح إيمان العبد إلا بتحقُّق هذه الشروط الست ، وهي :

١ – الإيمان بالله تعالى .
٢ – الإيمان بالملائكة .
٣ – الإيمان بالكتب السماوية .
٤ – الإيمان بالرسل .
٥ – الإيمان باليوم الآخر .
٦ – الإيمان بالقدر خيره وشره .

ودليل ذلك حديث رسول الله ﷺ الصحيح ، حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان ، فقال : « أنْ تُؤمِنَ باللهِ ، وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ ، واليومِ الآخرِ ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ »[1].
وكما أن للإيمان أركانًا فإن له شُعَبًا ، وهي كثيرة تزيد على اثنتين وسبعين شعبة ، وشعب الإيمان هي خصاله المتعددة ، ومنها ما هو قلبي ، ومنها ما هو عملي ، ومنها ما هو أصول ودعائم يزول الإيمان بزوالها مثل الإيمان باليوم الآخر .

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب (كتاب الإيمان) باب (تعريف الإسلام والإيمان) .

قال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[(١)] .

وبعضها فروع ، وتركها يوجب نقصانًا في الإيمان مثل : (إكرام الضيف، إكرام الجار ، قول الخير) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **« مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيقُلْ خيرًا أوْ لِيصْمُتْ . ومَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمْ جارَهُ . ومَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيُكرمْ ضيْفَه »**[(٢)].

وأصل هذا هو حديث الرسول ﷺ الذي حدَّد فيه معالم هذه الشعب .

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **« الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ ، أو بِضْعٌ وستُّونَ شُعْبةً : فأفضلُها قولُ : لا إلهَ إلا اللهُ ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ »**[(٣)].

○ الإيمان بالله ○

فلفظ الجلالة (الله) عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى، وقال سيبويه : إنه أعْرَفُ المعارف وأصله: الإله ، وهو مشتقٌ[(٤)] .

إن الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان، بل هو الركن الركين والركن الأساسي ، فهو العمدة ويُبنى عليه باقي أركان الإيمان .

فهو بمثابة القاعدة الصلْبة لأركان الإيمان .

فالإيمان بالله تعالى : إثباته والاعتراف بوجوده .

---

(١) التغابن (٧) .

(٢) رواه البخاري (كتاب الأدب) باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره). ومسلم (كتاب الإيمان) باب (الحث على إكرام الضيف) .

(٣) رواه مسلم. (كتاب الإيمان) باب (الحياء شعبة من الإيمان) .

(٤) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد .

والإيمان له : القبول عنه والطاعة له .

ومعنى الإيمان بالله – على هذا – يدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء ، واعتقاد حدوث ما دونه .

ومن معنى الإيمان بالله أيضًا : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى واحدٌ أحد ، فردٌ صمد ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا ، وهو رب كل شيء ومليكه ، ليس له شريك في الملك (فهو الخالق، الرازق، المعطي، المانع، المحيي المميت ، ... المتصرف في جميع شؤون الخلق ...) .

قال ابن جرير : روي عن ابن عباس أنه قال : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين[١] .

فمن مستلزمات الإيمان بالله تعالى : الإيمان بأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه ، بجميع أنواعها ، من (الخضوع ، والخشوع ، والخشية، والإنابة ، والقصد ، والطلب ، والدعاء ، والذبح ، والنذر ، ونحو ذلك .....) وأنه سبحانه خالق العباد ، والمحسن إليهم ، والقائم بأرزاقهم ، ولهذا هو يعلم سرهم وعلانيتهم ، والقادر على إثابة مطيعهم ، وعقاب عاصيهم .

ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمر بها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ... ﴾[٢] .

وحقيقة هذه العبادة : هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبَّد العباد به من أنواع العبادات ، على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة ، مع كمال الحب له سبحانه والذل لعظمته[٣] .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على معنى الإيمان وطلبه كثيرة جدًا يطول حصرها ، ومن هذه الآيات والأحاديث ما يلي :

---

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد .

(٢) الذاريات (٥٦ : ٥٧) .

(٣) رسالة العقيدة الصحيحة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .

١ – قال الله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[١] .

قال الحافظ ابن كثير : فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ولا رب سواه[٢] .

٢ – قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾[٣] .

وفي هذه الآية الكريمة أمرٌ صريح من الله تعالى إلى المؤمنين ، أن يؤمنوا بالله ، وذلك ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ، وليكمل إيمانهم مع كماله ، وهو من باب الكمال والتأكيد .

قال الحافظ ابن كثير :

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشُعَبه وأركانه ودعائمه ، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه ، كما يقول المؤمن في كل صلاةٍ : ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أي بصِّرنا فيه وزدنا هدى وتثبيتًا عليه .

٣ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : « **أمرتُ أن أُقاتِل الناسَ حتى يقولوا : لا إلهَ إلا اللهُ ، فمَنْ قال : لا إلهَ إلا اللهُ ، فقد عصَمَ منّي نفْسَه ومالَهُ ، إلَّا بحقِّهِ ، وحِسابُهُ على اللهِ تعالى** »[٤] .

وفي هذا الحديث الشريف الصحيح يبيِّن الرسول ﷺ أنه قد أُمر من قِبَل ربه سبحانه وتعالى أن يُقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، ومن يأبى فليس له إلا القتل؛ لأن الإيمان بالله تعالى حق لله على خلقه ؛ لأنه هو الذي خلقهم ، فهو الذي يستحق الإيمان به وعبادته ، ، فمن منع الله حقَّه أباح الله دمه وماله ، فلا حرمة

---

(١) البقرة (٢٨٥) .
(٢) تفسير ابن كثير ، آخر سورة البقرة .
(٣) النساء (١٣٦) .
(٤) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (قبول إسلام من أظهر الإسلام وأسرَّ الكفر). ورواه البخاري (كتاب الزكاة) باب (وجوب الزكاة) .

له ، ولا عهد له ، ولا ذمّة ».

٤ – وعن عثمان بن عفان –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ ماتَ وهوَ يعلمُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ؛ دخلَ الجنةَ »[1].

ومعنى من مات وهو يعلم ؛ أي من مات وهو يؤمن ويوقن أنه لا إله إلا الله دخل الجنة، وفي هذا الحديث دليل صريح وواضح أن الإيمان بالله حقٌّ لله ومراد لله من خلقه ، وأن من حقّقه ومات عليه ، رضي الله عنه وأدخله جناته ، وأن من لم يحقّقه غضب الله عليه وعذّبه في ناره .

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين :

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور[2] :

الأول : الإيمان بوجود الله تعالى :

وقد دل على وجوده تعالى : الفطرة ، والعقل ، والشرع ، والحس .

١ – أما دلالة الفطرة على وجوده :

فإنَّ كل مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبْق تفكيرٍ أو تعليمٍ ، ولا ينصرفُ عن مقتضى هذه الفطرة إلّا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ : « مَا مِنْ مولودٍ إلّا يُولَدُ على الفطرةِ ، فأبواهُ يُهوِّدانِهِ أو يُنصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانِهِ »[3].

٢ – وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى :

فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها – لابد لها من خالقٍ أوْجَدَها ، إذ لا يمكن أن توجِد نفسها بنفسها ، ولا يمكن أنْ تُوجَد صدفة .

لا يمكن أن تُوجِد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلُق نفسه ، لأنه قبل

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (من مات على التوحيد دخل الجنة) .

(٢) انظر « شرح أصول الإيمان » لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين صـ ١٥ : ٢٦ .

(٣) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (ما قيل في أولاد المشركين) .

وجوده معدومٌ ، فكيف يكون خالقًا ؟!

ولا يمكن أن تُوجَد صدفة لأن كل حادثٍ لابد له من محدِثٍ ، ولأن وجودها على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف ، والارتباط الملتحِم بين الأسباب ومسبَّباتِها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض ، يمنعُ منعًا باتًّا أن يكون وجودها صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس على نظامٍ في أصلِ وجوده ، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره ؟!

وإذا لم يمكنْ أنْ توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ، ولا أنْ تُوجَد صدفةً ، تعيَّنَ أن يكون لها موجِدٌ وهو الله رب العالمين .

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليلَ العقلي والبرهان القطعي في سورة الطُّور ، حيث قال : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[1] . يعني أنهم لم يُخْلَقُوا من غير خالق ، ولا هم الذين خَلَقُوا أنفسهم ، فتعيَّن أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبيرُ بن مطعم - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور ، فبلغ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾[2] . وكان جبير يومئذ مشركًا قال : (كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) . رواه البخاري[3] مفرَّقًا .

ولنضرب مثلًا يوضح ذلك ، فإنه لو حدَّثكَ شخص عن قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ، أحاطتْ به الحدائق ، وجرتْ بينها الأنهار ، ومُلِئ بالفرش والأسرَّة ، وزُيِّنَ بأنواع الزينة من مقوماته ومُكَمِّلاته ، وقال لك : إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوْجَدَ نفسه ، أو وُجِدَ هكذا صدفة بدون مُوجد ، لبادرتَ إلى إنكار ذلك وتكذيبه ، وعددتَ حديثَهُ سفهًا من القول ، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه ، وسمائه ، وأفلاكه، وأحواله ، ونظامه البديع الباهر ، قد

(١) الطور : (٣٥) .

(٢) الطور : (٣٥ - ٣٧) .

(٣) البخاري (كتاب المغازي) باب (١٢) .

أوجَدَ نفسه أو وُجِدَ صدفة بدون موجد ؟!

٣ – وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى :

فلأن الكتب السماوية كلها تنطقُ بذلك ، وما جاءتْ به من الأحكام المتضمِّنة لمصالح الخلق دليلٌ على أنها من ربٍّ حكيمٍ عليمٍ بمصالح خلقه ، وما جاءتْ به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليلٌ على أنها من رب قادرٍ على إيجاد ما أخبر به .

٤ – وأما أدلة الحس على وجود الله تعالى :

فمن وجهين :

أحدهما : أننا نسمع ونشاهدُ من إجابة الداعين ، وغوْث المكروبين ، ما يدلُّ دلالة قاطعة على وجوده تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[2]. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : **إنَّ أعرابيًّا دخلَ يومَ الجمعةِ والنبيُّ ﷺ يخطبُ ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، هلكَ المالُ ، وجاعَ العيالُ ، فادعُ اللهَ لنا . فرفعَ يديه ودعا ، فثارَ السَّحابُ أمثالَ الجبالِ ، فلم ينزلْ عن منبرِهِ حتى رأيتُ المطرَ يتحادرُ على لحيتِهِ . وفي الجمعةِ الثانيةِ قام ذلك الأعرابيُّ أو غيرُه فقال : يا رسول الله ، تهدَّمَ البناءُ ، وغرقَ المالُ ، فادعُ اللهَ لنا . فرفعَ يديه وقال : « اللهمَّ حَوَالينا ولا عَلَيْنا » . فما يُشيرُ إلى ناحيةٍ إلا انفرجتْ**[3].

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة .

---

(١) الأنبياء : (٧٦) .

(٢) الأنفال : (٩) .

(٣) رواه البخاري (كتاب الجمعة) باب (الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة) .

الوجه الثاني : أنَّ (آيات الأنبياء) التي تسمى (المعجزات) ويشاهدُها الناس ، أو يسمعون بها ، برهانٌ قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم .

مثال ذلك : آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضربَ بعصاه البحر ، فضربه فانفلق اثني عشر طريقًا يابسًا ، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] .

ومثال ثانٍ : آية عيسى ﷺ حيث كان يُحيي الموتى ، ويُخرجُهُم من قبورهم بإذن الله ، قال الله تعالى عنه : ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2] . وقال : ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾[3] .

ومثال ثالث : لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية ، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[4] .

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ، ونصرًا لهم ، تدلُّ دلالةً قطعيَّةً على وجوده تعالى .

الثاني : الإيمان بربوبيته :

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين .

والرب : من له الخلق والملك والأمر ، فلا خالق إلا الله ، ولا مالك

---

(١) الشعراء : (٦٣) .
(٢) آل عمران : (٤٩) .
(٣) المائدة : (١١٠) .
(٤) القمر : (١، ٢) .

إلا هو، ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[(١)]. وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[(٢)].

ولم يعلمْ أنَّ أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكونَ مكابرًا غير معتقدٍ بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[(٣)] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[(٤)] لكن ذلك ليس عن عقيدة. قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[(٥)]. وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[(٦)].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[(٧)].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(٨)]. وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(٩)].

---

(١) الأعراف: (٥٤).
(٢) فاطر: (١٣).
(٣) النازعات: (٢٤).
(٤) القصص: (٣٨).
(٥) النمل: (١٤).
(٦) الإسراء: (١٠٢).
(٧) المؤمنون: (٨٤ – ٨٩).
(٨) الزخرف: (٩).
(٩) الزخرف: (٨٧).

وأمْرُ الرب سبحانه شاملٌ للأمر الكوني والشرعي ، فكما أنه مدبِّر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمتُه ، فهو كذلك الحاكم فيه بشرْع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته ، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرِّعًا في العبادات أو حاكما في المعاملات، فقد أشْرَكَ به ولم يُحقِّق الإيمان.

الثالث : الإيمان بألوهيته :

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) : و « الإله » بمعنى « المألوه » أي « المعبود » حبًّا وتعظيمًا ، وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾(1). وقال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(2). وكل ما اتخذ إلها مع الله يُعْبَدُ من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(3)

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية، قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة) : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾(4). وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن : ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾(5) . ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(6) ولكن أبَى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة ، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرُون بهم، ويستغيثُون.

---

(1) البقرة : (١٦٣) .

(2) آل عمران : (١٨) .

(3) الحج : (٦٢) .

(4) النجم : (٢٣) . وقال عن هود أنه قال لقومه : ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان ﴾ . الأعراف : (٧١) .

(5) يوسف : (٣٩ - ٤٠) .

(6) الأعراف : (٥٩) .

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين :

الأول : أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلقُ ولا تجلبُ نفعًا لعابديها، ولا تدفعُ عنهم ضررا، ولا تملكُ لهم حياة، ولا موتًا، ولا يملكون شيئًا من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[2]. وقال : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[3].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة مِن أسْفَهِ السَّفَهِ، وأبطَلِ الباطِلِ .

والثاني : أن هؤلاء المشركين كانوا يُقِرُّون بأن الله – تعالى – وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجيرُ ولا يُجارُ عليه، وهذا يستلزم أن يوحِّدوهُ بالألوهية كما وحَّدُوه بالربوبية، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4].

---

(١) الفرقان : (٣) .

(٢) سبأ : (٢٢، ٢٣) .

(٣) الأعراف : (١٩١، ١٩٢) .

(٤) البقرة : (٢١، ٢٢) .

وقال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(١)] .

وقال : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[(٢)] .

الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته :

أي إثبات ما أثبته الله لنفسه – في كتابه أو سنة رسوله ﷺ – من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٣)] .

وقال: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[(٤)].

وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[(٥)] .

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان :

إحداهما : المعطلة :

الذين أنكروا الأسماء والصفات، أو بعضها ، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه ، أي تشبيه الله تعالى بخلقه . **وهذا الزعم باطل لوجوه منها :**

الأول : أنه يستلزمُ لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله وتكذيبُ بعضه بعضًا.

---

(١) الزخرف : (٨٧) .
(٢) يونس : (٣١، ٣٢) .
(٣) الأعراف : (١٨٠) .
(٤) الروم : (٢٧) .
(٥) الشورى : (١١) .

والثاني : أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلا منهما إنسان سميع بصير متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية والسمع، والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيدٍ ، وأرجل ، وأعين ، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها متماثلة .

فإذا ظهرَ التباين بين المخلوقات فيما تتفقُ فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق ، أبين وأعظم .

الطائفة الثانية : المشبهة :

الذين أثبتوا الأسماء والصفات ، مع تشبيه الله تعالى بخلقه ، زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص ، لأن الله تعالى يخاطبُ العباد بما يفهمون . **وهذا الزعم باطل لوجوهٍ منها :**

الأول : أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يُبطِلهُ العقل والشرع ، ولا يمكنُ أن يكونَ مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلًا .

الثاني : أن الله تعالى خاطبَ العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما الحقيقة والكُنْهُ الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثرَ الله تعالى بعلمه فيما يتعلَّقُ بذاته وصفاته .

فإذا أثبتَ الله لنفسه أنه سميع ؛ فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة ، لان حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق ، أبين وأعظم .

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه، فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رَحْلِ بعيرٍ صعبٍ نفورٍ، فإذا تبايَنَت في حق المخلوق، فالتَّبايُن فيها بين الخالق والمخلوق أَبْيَنُ وأعظم .

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها :

الأولى : تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ، ولا خوف، ولا يعبد غيره .

الثانية : كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا .

الثالثة : تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه .

الإيمان بالله والكفر بالطاغوت :

بعد ما عشنا هذه اللحظات الطيبة ، وتجوَّلنا عبر هذه السطور القليلة ، مع هذا الركن الركين من أركان الإيمان ، ألا وهو الإيمان بالله تعالى ، يجدر بنا أن نقف وقفةً مع علاقة الإيمان بالله بالكفر بالطاغوت (وهو كل ما يُعْبَد ويُسمع له ويُطاع من دون الله تعالى وهو راضٍ) .

ولكنْ أيُّهم أوْجَبُ علينا أولًا : هل الإيمان بالله ؟ أم الكفر بالطاغوت ؟

ونرى هذه الإجابة واضحةً جليّة في كتاب الله تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] . فيجب على العبد أوّلًا أن يكفر بكل طاغوت تعدّى حدوده وطغى وتكبَّر وخرج عن أمر ربه ، حتى ينظِّف قلبه ومعتقده من أدران الشرك وشوائب الجاهلية ؛ ليكون بذلك مستعدًّا ليصُبَّ فيه من الإيمان بالله والتوحيد ما يستقيم به إسلامُه ، ويصحُّ به إيمانُه ، وهذا يُذكِّرنا بكلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) فهي مشتملة على أمرين :

الأول منها : هو النفي (لا إله) فهي تنفي جميع ما يُعْبَد من دون الله نفيًا تامًّا، وهي تقابل (الكفر بالطاغوت) .

والأمر الثاني : هو إثبات الألوهية لله وحده دون غيره (إلا الله) وهي تقابل (الإيمان بالله) .

---

(١) البقرة : (٢٥٦) .

والحاصل :

أنه يجب على العبد :

أولًا : أن يكفر بكل ما يُعْبَد من دون الله تعالى ، وينفي الألوهية عن غير الله ، فلا يُطاع كلُّ من حادَّ الله ورسوله ، ولا من حارب شرع الله تعالى وطغى وتكبَّر وجَعَلَه خلْف ظهره ، فلا طاعة لهم علينا ، بل يجب علينا الكفر بهم، بل السَّعْي إلى تنحيتهم، وتنصيب من يُوالي الله ورسوله ويعزُّ دين الله، ويحكم بشرع الله ويحترم سنة نبيه ﷺ .

ثانيًا : الإيمان بالله بأنه هو الخالق ، وأنه هو الإله المستحق للعبادة دون سواه ، يُطاع في أمره ونهيه ، ويُقدَّم شرعه على كل الشرائع ، فتحقيق الإيمان بالله مرتبطٌ بتحقيق العبودية لله تعالى بالالتزام بشرعه والانقياد لحكمه عن رضا وتسليم وإذعان وحب .

* * *



الفصل الثاني
الإيمان بالملائكة

□ الفصل الثاني □

○ الإيمان بالملائكة ○

تعريف الملائكة لغةً :

المَلَكُ: واحد الملائكة؛ وهم جنسٌ نورانيٌّ لطيفٌ مِنْ خلق الله، كجبرائيل والجمع أملاك[1].

وقيل:إن ملك مشتق من الألوكة،وهي الرسالة، وقيل: من لأك،إذا أرسل وقيل غير ذلك .

تعريف الملائكة اصطلاحًا :

هم نوع من مخلوقات الله عز وجل ، خلقهم مجبولين على طاعته وعبادته ، قائمين بوظائفهم ، كما بيَّن ذلك سبحانه وتعالى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[3] .

قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[4].

وجوب الإيمان بالملائكة :

إن الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ، ولا يصحُّ إيمان العبد إلا بالإيمان بهؤلاء الملائكة ، وأنهم خلق الله ، وأنهم مجبولون على الطاعة ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فهم عبادٌ مكرمون ، ليسوا

---

(١) انظر المعجم الوجيز : (مَلَكَ) .
(٢) التحريم : (٦) .
(٣) الأنبياء : (١٩ ، ٢٠) .
(٤) الأنبياء : (٢٦ ، ٢٧) .

بالإناث كما ادَّعى المشركون أنهم إناث، وأنهم عباد الله ليسوا بنات الله «حاشا أن يكون لله تعالى ولد»- كما ادَّعى ذلك المشركون- تبارك وتقدَّس الله عن ذلك، وردَّ الله عليهم هذا الكذب ، وبيَّن كذبهم وافتراءهم الكذب على الله وعلى عباده المكرمين، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[1] قال الله تعالى : ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[2] .

والأدلة على وجوب الإيمان بهؤلاء الملائكة من الكتاب والسنة كثيرةٌ جدًا ومنها ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[3] .

فجعل الله سبحانه وتعالى هذا الإيمان من عقيدة المسلم ، الذي لا تصحُ عقيدته إلا به .

٢ - قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[4] .

٣ - وحديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما سأل جبريل عليه السلام عن الإيمان ، فأجاب الرسول ﷺ : « الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِه ورُسُلِه ... »[5].

فجعل النبيُّ ﷺ أيضًا الإيمان بالملائكة ركنًا من أركان الإيمان ودعائمه، فلا يصحُّ إيمان العبد إلا بعد الإيمان بهؤلاء الملائكة ، وجَعَلَ الله تعالى إنكارَ

---

(١) الزخرف : (١٩) .
(٢) الصافات (١٥٠ - ١٥٢) .
(٣) البقرة : (٢٨٥) .
(٤) البقرة : (١٧٧) .
(٥) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (تعريف الإسلام والإيمان) .

الملائكة ، وعدم الإيمان بهم : كفرًا مُخرِجًا من الملة ، يُخلَّد صاحبه في النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[1] .

فإنكار وجود الملائكة كفرٌ بإجماع المسلمين ، وذلك لأن عدم الإيمان به تكذيب وإنكار ومخالفة لصريح القرآن والسنة .

لطيفة :

نلحظ في جميع النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، التي تُخبر عن وجوب الإيمان بالملائكة ، نجد أن الإيمان بالملائكة مُقدَّمٌ في كل هذه النصوص على الإيمان بالكتب السماوية والرُّسُلِ صلوات الله عليهم، فليس معنى هذا التَّقدُّم أنه نوعٌ من التفضيل فليس هناك من الملائكة على الإطلاق – بما فيهم جبريل عليه السلام – من هو أفضل من سيدنا محمد ﷺ وهو من الرسل .

ولكن التقديم ها هنا – في هذه النصوص للملائكة على الكتب السماوية والرسل – لأنه لا يَحْدُث ولا يقع إيمانٌ بالكتب السماوية ، إلا بعد الإيمان بالملائكة ؛ لأن الكتب تنزل عن طريقهم ، فكان الإيمان بهم من البديهي قبل الإيمان بما يأتون به من عند الله تعالى .

وكذلك الرسل ، فلا يؤمن أحدٌ من البشر برسول إلا وهو يعلم أن الله بعث هذا الرسول ، وكلَّفه عن طريق الملائكة ، فكان الإيمان بالرسل يستلزم الإيمان بالملائكة ، الذين هم الواسطة بين الرسل وبين الله تعالى .

ولهذا كان تقديمهم ، وتقديم الإيمان بهم على الكتب والرسل . والله أعلم .

* * *

(١) النساء : (١٣٦) .

○ وظائف الملائكة ○

علمنا مما تقدَّم أن الملائكة عباد الله أطهار ، يطيعونه ولا يعصونه ، يُنفِّذون أوامره ولا يخالفونه ، ولا يسبقونه بالقول ، وهم عباد مكرمون ، وكيف لا وهم الذين خلقهم الله من النور ، وذلك مصداقًا للحديث الذي روته السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَتِ الملائكةُ من نورٍ ، وخُلِق الجانُّ من مارجٍ من نارٍ ، وخُلق آدمُ مِمَّا وُصف لكم »[1]. أي من الطين . فهم خُلِقُوا من نورٍ ، ويحضرون مجالس النور ، ويرشدون الناس إلى طريق النور ، ونزلوا بالنور على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فحياتهم كلها لله عز وجل ووظائفهم كلها للحق ، وأعمالهم كلها مرتبطة بالحق ، ولا شيء غير الحق . فهم الذين أخبر الله عنهم أنهم لا يعصون ربهم ، وينقادون لأوامر الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2].

فإن حياتهم كلها طاعة لله ، وأعمالهم وفقًا لأمر الله ، ووظائفهم مختارة من قبل الله تعالى ، وهؤلاء الملائكة تختلف وظائفهم كما تختلف أوصافهم فهم ذات أجنحةٍ ، فمنهم ذو مثنى ، ومنهم ذو ثلاث ، ومنهم ذو أربع ، والله يزيد في الخلق ما يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

ومن أمثلة وظائف الملائكة ما يلي :

١ – تثبيت المؤمنين وتبشيرهم :

إن الملائكة عباد الله المكرمون ، وإن المؤمنين هم أيضًا عباد الله المخلصون المصطفون ، فهم يحبون الملائكة ، والملائكة تحبهم ؛ لأنهم سائرون جميعًا على درب واحد، ألا وهو درب الإيمان والطاعة لله تعالى، فأرواحهم جميعًا تتلاقى وتتعانق ، فتتنزَّل عليهم الملائكة من عند ربهم، وبأمر خالقهم أن يتنزَّلوا على عباده المؤمنين، ويحفّونهم ويغشون مجالسهم ويحيطون موائد ذكرهم .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الزهد) باب (في أحاديث متفرقة) .

(٢) التحريم : (٦) .

فعن أبي هريرة وأبي سعيد – رضي الله عنهما – أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا يقعُدُ قومٌ يذكُرونَ الله ، إلا حفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وغَشِيَتْهُمُ الرحمةُ ، ونزلتْ عليهِمُ السَّكِينةُ ، وذكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عندَهُ** »[1]. بل إن الرسول ﷺ أخبر – وهو الصادق المصدوق – أن هؤلاء الملائكة في شوقٍ لهؤلاء المؤمنين ، بل إنهم ليتلمَّسُون وجودهم ، ويتحسَّسُون مجالسهم ، شوقًا لهم ورضًا بما يفعلون ، وحبًّا لما يذْكُرون ، وتثبيتًا لهم على ما يفعلون .

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال : « **إنَّ للهِ ملائكةً يطوفونَ في الطُّرُقِ يلتمسونَ أهْلَ الذِّكْرِ ، فإذا وجدوا قومًا يذكُرونَ الله ، تنادَوْا : هلُمُّوا إلى حاجَتِكُم** » . قالَ : « **فيحفُّونَهُم بأجنحتِهِم إلى السماءِ الدُّنيا ...** »[2].

ولذلك فإن الله تعالى يوحي إلى هؤلاء الملائكة أن يتنزَّلوا على هؤلاء العباد ، فيُثَبِّتونهم في الحياة الدنيا ، ويجعلونهم يَثْبُتون أمام كل جبارٍ وطاغية ، وفي وجه كل طاغوت من طواغيت الأرض ، فهم الذين طالما رفعوا طاعات هؤلاء المؤمنين إلى ربهم ، وحملوا تسبيحاتهم وتكبيراتهم وحَمْدَهم وثناءَهم على ربهم إلى الله تعالى . فهم يتنزَّلون عليهم لكي يُطَمْئِنُوا قلوبهم ، ويُثَبِّتُوا أفئدتهم على الحق أمام كل قُوَى الشر والباطل ، بل إنهم ليحملون السِّلاح ويضربون أعناق أعداء الله ، دفاعًا عن عباده المؤمنين ، وما ذلك على الله بعزيزٍ ، وما يوم بدر علينا ببعيدٍ ، فلقد رأى المؤمنون الملائكة يوم بدر رَأْيَ العين ، رأَوْهم يُقاتلون معهم الكفار .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[3].

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[4].

---

(١) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وذكر الله).

(٢) رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب (فضل ذكر الله عز وجل) ومسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (فضل مجالس الذكر) .

(٣) فصلت : (٣٠) .

(٤) الأنفال : (١٢) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[(١)] .

٢ – عبادة الله بالتسبيح[(٢)] :

ومن وظائف هؤلاء الملائكة أيضًا : عبادة الله بالتسبيح له في الليل والنهار، دون ملل ولا فتور ولا غفلة ، والطاعة الدائمة ، والمبادرة لامتثال أمر الله عز وجل.

والعبادة الخالصة هي حق الله على خلقه ، إذ التوحيد – وهو مقتضى العبادة الخالصة لله – هو الحق الذي تقوم به السموات والأرض ، يقول الله تعالى في القرآن عنهم : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[(٣)] .

قال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾[(٤)] .

٣ – حمل الوحي إلى الأنبياء والرسل :

ومن وظائف الملائكة أيضًا أنهم يحملون الوحي « وهو كلام الله المنزل إلى الخلق » إلى من اختصه الله واصطفاه من البشر ، وذلك ليبلغه للناس ويقيم عليهم الحجة ، ولقد استأمن الله ملائكة على حمل الوحي لخلقه من البشر، وذلك لعلمه سبحانه وتعالى بأهليتهم لذلك ، بل هو نوع من التكريم والتشريف لهم ، فهم أمناء الله على وحيه ، وذلك متمثلا في جبريل عليه السلام فقد كلفه الله

---

(١) آل عمران : (١٢٣–١٢٦) .
(٢) التوحيد (محمد قطب) .
(٣) الأنبياء (١٩، ٢٠) .
(٤) فصلت : (٣٨) .

بذلك ، ووصفه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالروح الأمين .

قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2] .

٤ – تسجيل أعمال البشر وحفظها :

ومن وظائف الملائكة أيضًا: تسجيل أعمال البشر وحفظها، فكل إنسان قد وكَّل الله به مَلَكَين ، أحدهما يسجِّل له الحسنات ، والآخر يُحصي عليه السيئات ، ولكنْ جَعَلَ الله مَلَكَ الحسنات أمينًا على ملك السيئات .

قال تعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3] .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

قال الأحنف بن قيس :

صاحب اليمين يكتب الخير ، وهو أمينٌ على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئةً قال له : أمسك ، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها ، وإن أبى كتبها « أي إن أبى أن يستغفر كتبها الملك عليه »[5] .

وقال الحسن البصري :

يا ابن آدم بُسطت لك صحيفةٌ ، ووكِّل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت، أقْلِل أو أكْثِر، حتى إذا

---

(١) الشعراء : (١٩٢، ١٩٥) .
(٢) النجم : (٣:٥) .
(٣) ق : (١٨) .
(٤) الانفطار (١٠-١٢) .
(٥) رواه ابن أبي حاتم (انظر تفسير ابن كثير سورة ق) .

مِتْ طُوِيتْ صحيفتُك ، وجُعلت في عنقك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة .

وذكر الإمام أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – أنه كان يَئِنُّ في مرضه ، فبلغه عن طاوس أنه قال : يكتب الملكُ كلَّ شيء حتى الأنين ، فلم يئِنّ الإمام أحمد – رضي الله عنه – حتى مات رحمه الله[1] . قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[2] .

٥ – قبض الأرواح :

ومن وظائف الملائكة أيضًا : قبض الأرواح فإن الله سبحانه وتعالى كتب الفناء على كل البشرية صالحهم وطالحهم ، عزيزهم وذليلهم ، غنيِّهم وفقيرهم ، قويِّهم وضعيفهم، صحيحهم وسقيمهم، ولو كان مِلِكًا من الملوك، أو رئيسًا من الرؤساء، أو زعيمًا من الزعماء، أو كان نبيًّا مرسلًا أو مَلَكًا مُقرَّبًا فسبحان الله الذي كتب عليهم جميعًا الفناء، وكتب لنفسه البقاء ، لكي يعلم الجميع من هو الخالق ؟ ومن هو المخلوق ؟ وحتى لا يغترّ الناس بما عندهم من مالٍ ، وبما لديهم من قوةٍ ، فإن الكُلّ إلى الفناء ، والكل سائر إلى التراب ، فإن الإنسان أوّله نطفة وآخره جيفة ، فلو علم الإنسان ذلك واعتقده في قلبه ، وظَهَرَ على سلوكه ، لتغيَّر حال الناس ، ولعَمَّتِ السعادةُ على الناس جميعًا ، وساد بينهم الحب والإخاء في ظلال هذه العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[3]. ولقد وكَّل الله تعالى ملائكته بقبض روح البشر متمثِّلًا في مَلَك الموت ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[4] ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة ق) .

(٢) الزخرف : (٨٠) .

(٣) الرحمن (٢٦ – ٢٧) .

(٤) السجدة : (١١) .

عِبَادِهِۦ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[١] .

٦ - النفخ في الصور :

ومن وظائف الملائكة أيضًا النفخ في الصور ، وذلك متمثِّلا في إسرافيل عليه السلام ، وهو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى ثلاث نفخات : (نفخة الفزع - نفخة الصَّعْق - نفخة البعث) .

قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا ﴾[٢] .

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[٣] .

واختلف المفسرون في المراد (بالصور) فمنهم من قال إنها جمع (صورة) أي يُنفخ فيها فتحيا .

قال ابن جرير الطبري[٤] :

والصواب عندنا ما تظاهرتْ به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إنَّ إسرافيلَ قدِ التقمَ الصُّورَ ، وحَنَى جبهتَهُ ينتظرُ متى يُؤمرُ** » .

وروى الإمام أحمد في مسنده ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو ، قالَ : قالَ أعرابيّ : يا رسولَ اللهِ ، ما الصُّورُ ؟ قال : « قرنٌ يُنفخُ فيه »[٥].

٧ - الترحيب بالمؤمنين في الجنة :

ومن وظائف الملائكة أيضًا الترحيب بالمؤمنين في الجنة ، واستقبالهم وتحيتهم وإلقاء السلام عليهم ، وتهنئتهم بفوزهم برضوان ربهم ، ويدخلون عليهم من كل

---

(١) الأنعام : (٦١) .
(٢) الكهف : (٩٩) .
(٣) الأنعام : (٧٣) .
(٤) انظر تفسير الطبري ١١/٤٦٣ .
(٥) تفسير ابن كثير (سورة الأنعام) .

باب فرحًا بهم وتحيةً لهم ، فهم عباد الله المؤمنين الذين أطاعوا الله في الدنيا ، ولطالما رفعتْ هذه الملائكةُ أعمالهم الصالحة إلى ربهم ، فاليوم هو يوم الفرحة ، يوم اللقاء ، لقاء الأحبة عباد الله المؤمنين في الأرض وعباد الله المُكرمين من الملائكة ، فيا الله على هذا المنظر الجميل والجزاء العظيم ودوام النعيم .

قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[2] .

٨ - خزنة جهنم :

أيضًا من وظائف الملائكة: أنهم خزنة لجهنم - والعياذ بالله من النار - وهم الزبانية ، ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم وعلى رأسهم (مالك ، عليه السلام) وجعل الله لهؤلاء الملائكة صفاتٍ خاصةً من الغلاظة والشدة والقسوة ، وذلك زيادة في التنكيل بأصحاب النار وتعذيبهم معنويًا بجانب تعذيبهم بدنيًا وجسمانيًا .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[3] .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾[4]

---

(١) الرعد : (٢٣ - ٢٤) .
(٢) الزمر : (٧٣) .
(٣) التحريم : (٦) .
(٤) المدثر : (٢٧ - ٣١) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾(١) .

قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾(٢).

٩ - الموكَّلون بالقطر وتصاريفه :

ومن وظائف الملائكة أيضًا أنهم موكلون بالقطر وتصاريفه ، على مراد الله تعالى ، وبالكيفية التي يريدها الله عز وجل ، ولله أن يستعمل خلقه فيما شاء من أمور عبادِهِ ، فهو لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويُؤيِّد ذلك ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : « بينا رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِن الأَرْضِ ، فسَمِعَ صَوْتًا في سَحَابةٍ : اسْقِ حَدِيقةَ فُلانٍ . فتنحَّى ذلك السَّحابُ فأفْرَغَ ماءَه في حرَّةٍ ، فإذا شَرْجَةٌ (مَسيلُ الماءِ في الحرَّةِ) من تلك الشِّراجِ قدِ استوْعبت ذلك الماءَ كُلَّه »(٣).

١٠ - وظائف أخرى متعدِّدة :

وليست هذه الوظائف المذكورة كلَّ الوظائف التي تقوم بها الملائكة ، بل ذلك على سبيل المثال .

فإن للملائكة وظائف أخرى كثيرةً ، ومنها ما يخُصُّ الإنسان ، ذَكَرَ طرقًا منها الإمام ابن القيم رحمه الله .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

« فإنهم مُوكَّلُون بتَخْلِيقهِ (أي الإنسان) ونَقْلِه من طوْرٍ إلى طور ، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله ، وأجله وسعادته ، وشقاوته ، وملازمته في جميع أحواله ، وإحصاء أقواله وأفعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعَرْضها على خالقه وفاطره ، وهم

---

(١) غافر : (٤٩) .

(٢) الزخرف : (٧٧) .

(٣) رواه مسلم (كتاب الزهد) باب (فضل الإنفاق على المساكين وابن السبيل) .

الموكَّلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث ، وهم الموكَّلون بعمل الات النعيم والعذاب، وهم المُثبِّتون للعبد المؤمن بإذن الله ، والمعلِّمون له ما ينفعه والمُقاتِلون الذَّابُّون عنه ، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يعدونه بالخير ويَدْعُونه إليه ، وينهونه عن الشر ويُحذِّرونه منه ، فهم أولياؤه وأنصاره وحَفَظتُه ، ومُعَلِّموه وناصحوه ، والدَّاعُون له والمُسْتَغفرُون له ، وهم الذين يُصَلُّون عليه ما دام في طاعة ربه ، ويُصَلون عليه ما دام يُعَلِّم الناسَ الخير ، ويُبشِّرونه بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ويوم بعثه ، وهم الذين يُزهِّدونه في الدنيا ويُرغِّبونه في الآخرة ، وهم الذين يُذكِّرونه إذا نسي ويُنشِّطونه إذا كَسِل ويُثبِّتونه إذا جزع ، وهم الذين يَسْعَوْن في مصالح دنياه وآخرته ، فهم رسل الله في خلقه وأمره ، وسفراؤه بينه وبين عباده ، تتنزَّل بالأمر من عنده في أقطار العالم ، وتصعد إليه بالأمر »[1] .

* * *

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ٢ / ١٢٥،١٢٦ .

الفصـل الثـالـث
الإيمان بالكتب

□ الفصل الثالث □

○ الإيمان بالكتب ○

تعريف الكتب لغةً :

الكُتُبُ : جمع كتاب ، وهي صحفٌ ضُمَّ بعضها إلى بعضٍ[١] .

والكتاب : مصدرٌ سُمِّي به المكتوب فيه ، وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها .

تعريف الكتب شرعًا :

هي كلام الله تعالى ، أوحى به إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام - عن طريق جبريل عليه السلام ، وذلك ليبلِّغوه للناس ليكون حُجَّةً لله على خلقه .

التعرف على هذه الكتب :

١ - إن كتب الله تعالى التي أرسلها وأوحى بها لرسله عليهم الصلاة والسلام كثيرةٌ جدًا ، ونزلت في أماكن متعدِّدة ومختلفة وعلى أناسٍ شتَّى ، وأيضًا نزلت بلُغاتٍ مختلفة ، فكلّ أمةٍ نزل عليها كتابها بلسانها وبلُغتِها ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[٢] .

٢ - وهذه الكتب تحمل لكلِّ قومٍ نزلت فيهم، شرعةً ومنهاجًا، لا يَسَعُهم مخالفته ولا الخروج عليه .

قال تعالى : ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[٣] .

وهذه التشريعات توافق أحوالهم وأزمانهم، وتلائم طبيعة الفترة التي يعيشونها.

---

(١) انظر المعجم الوجيز (باب كتب) .

(٢) إبراهيم : (٤) .

(٣) المائدة : (٤٨) .

٣ – كل هذه الكتب جاءت لإثبات حقيقةٍ واحدةٍ، ولتحقيق أمرٍ واحدٍ، ألا وهو توحيد الله تعالى وعبادته ، فهذه القضية وهذه الدعوة هي الأصليَّة في هذه الكتب كلها ، ولم تتغيَّر بتغير التشريعات في الكتب .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[3] .

وقال رسول الله ﷺ : **« الأنبياءُ إخوةٌ من عِلَّاتٍ (يعني إخوة لأب) أمهاتُهم شتَّى ودينُهم واحدٌ »**[4].

وفي هذا الحديث دليلٌ واضحٌ أن الأصل الذي عليه هؤلاء الرسل ، ويدعون إليه ، هو التوحيد ، وإن كان هناك اختلافٌ في الشرائع والأحكام بين كل كتابٍ وآخر .

٤ – كذلك دَعَتْ هذه الكتب كلُّها لعمل الصالحات ، والبُعْدِ عن المعاصي وعن الفساد في الأرض ، وعن التَّجرُّؤ على الله تعالى ، وذلك بإنذار الناس بيوم الحساب ، وأن هناك يومًا يردُّ فيه الناس إلى خالقهم فينبِّئهم بما عملوا ، فينعم من أطاعه ، ويعذِّب من عصاه وخالف أوامره وخرج على دينه وشرعه .

قال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ

---

(١) النحل : (٣٦) .
(٢) الأنبياء : (٢٥) .
(٣) الشورى : (١٣) .
(٤) صحيح مسلم (كتاب الفضائل) باب (فضائل عيسى) .

ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1] .

٥ – إن هذه الكتب منها ما يُطْلَق عليه (كتاب) مثل القرآن الكريم ، ومنها ما يُطْلَق عليه (صحف) كصحف إبراهيم ، ومنها ما يطلق عليه تارةً (كتاب) وتارةً أخرى (صحف) مثل التوراة .

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[2] .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[3] .

٦ – إن كل كتاب من هذه الكتب ينسخ الذي قبله ، وهذا النَّسْخ المقصود به نسخ التشريعات والأحكام ، أما أصل (العقيدة والتوحيد) فهو ثابتٌ موحَّدٌ لا يتغيّر بتغيُّر الكتب ، ولا بتغيُّر الرسل ، ولا بتغير الناس والزمان والمكان ، ويوجب ذلك النَّسْخُ الاتّباعَ للكتاب الجديد ، والإيمان بالرسول الذي أُنزل عليه والعمل بالتشريعات الجديدة في هذا الكتاب الأخير .

٧ – إن هذه الكتب منها ما ذكرها الله لنا في القرآن الكريم ومنها ما لم يذكرها ، والكتب التي ذكرها الله في القرآن هي بترتيبها التاريخي : (صحف إبراهيم ، التوراة ، الزبور ، الإنجيل ، القرآن) .

صحف إبراهيم : المنزلة على سيدنا إبراهيم . **والتوراة** : المنزلة على نبي الله موسى عليه السلام . **والزبور** : المنزلة على نبي الله داود عليه السلام . **والإنجيل** : المنزل على عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام . **والقرآن الكريم** : المنزل على سيدنا محمد ﷺ .

وأعظم هذه الكتب هو القرآن الكريم ، وهو المهيمن عليها ، والمُصدِّق لجميعها (في عمومها) والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها .

---

(١) غافر : (١٥ – ١٦) .
(٢) النجم : (٣٦ – ٣٧) .
(٣) الأعلى : (١٨ ، ١٩) .

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[١] .

وجوب الإيمان بالكتب السماوية :

لقد أوجب الله تعالى الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها على رسله ، ما ذكرها لنا في القرآن الكريم وما لم يذكرها لنا ، وذلك على السواء ، نؤمن بها أنها كلام الله تعالى ، تكلّم بها حقيقةً كما شاء ، وعلى الوجه الذي أراد .

١ – وإن الإيمان بهذه الكتب ركنٌ من أركان الإيمان ، ولا يصحُّ إيمان العبد إلا بالإيمان بها ، قال تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[٢] .

وقال ﷺ في حديث جبريل المشهور ، حينما سأله عن الإيمان ، قال : « **أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ ، وتؤمنَ بالقَدَرِ خيْرِهِ وشرِّهِ** »[٣].

٢ – وجعل الإيمان بالكتب صفة من صفات المؤمنين ، وذلك في آياتٍ كثيرة في القرآن الكريم ، ومنها قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[٤] .

٣ – وجعل الإيمان بالكتب أيضًا صفة من صفات المتقين :

قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٥] .

٤ – ولقد حكم الله تعالى في كتابه العزيز بالكفر على من لا يؤمن بهذه

---

(١) المائدة : (٤٨) .
(٢) البقرة : (١٣٦) .
(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (تعريف الإسلام والإيمان) .
(٤) البقرة : (٢٨٥) .
(٥) البقرة : (١ ، ٤) .

الكتب ، أو آمن ببعضها وكفر ببعض ، إذ ليس هناك فرقٌ بين هذه الكتب فكلُّها منزَّلة من عند الله تعالى ، ويجب الإيمان بها على السواء وبدون تفريق ، إيمانًا جازمًا صحيحًا لاشك فيه ولا ريب .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2] .

قال الأستاذ محمد قطب :

« مفهوم هذه الآيات وأمثالها – سواء كانت أمرًا مباشرًا أو وصفًا للمؤمنين أو وصفًا للكافرين – هو أن الإيمان بالكتب السماوية كلها أمرٌ واجبٌ ، لا يتمُّ إيمان المرء إلّا به .

وذلك أمر بديهي بالنسبة للمؤمن ، فما دام يؤمن بالله ، وصدق ما نزل من عنده من الوحي ، وما دام الله يخبره في كتابه العزيز ، أنه قد أنزل كتبًا سابقة على الأنبياء والرسل ، فالواجب أن يؤمن بهذه الكتب المنزلة ، ويعتقد يقينًا أنها منزلة من عند الله .

ولو شكَّ في هذه الحقيقة، أو كذَّب بها، فهل يكون مؤمنًا على الإطلاق ؟! وكيف يكون مؤمنًا بالله حقًّا وهو يكذِّب خبرًا آتيًا إليه من عند الله ، كذلك لو قال : إنه يؤمن ببعض الكتب ، أنها منزلةٌ من عند الله حقًّا ويشكُّ أو يكذِّب أن غيرها من الكتب منزلة من عند الله ، فهل يكون مؤمنًا بالله ولو زعم ذلك ؟! إن من بين دعائم الإيمان : التصديق ، فكيف يُوجَد الإيمان إذا كذَّب الإنسان حرفًا واحدًا مِمَّا أخبره الله به ، وما قيمة دعواه أنه مؤمن بالله ، أو مؤمن ببعض

---

(١) البقرة : (٩١) .

(٢) النساء : (١٣٦) .

الكتب التي أنزلها الله ؟ إنها دعوى مردودة على صاحبها ؛ لأن الدليل العملي يكذّبها .

ثم إن الكتب السماوية كلها تحتوي على حقيقةٍ واحدة ، هي الأمر بعبادة الله وحده »[1] .

تحريف الكتب السابقة :

إن الله تعالى لَمَّا أمرنا بالإيمان بالكتب السماوية ، أمرنا بالإيمان بها على ما أنزله الله تعالى ، وبالصورة والهيئة الصحيحة التي نزلت على رسل الله تعالى ، وليس المقصود بالإيمان بالكتب : أن تؤمن بما في أيدي الناس الآن من الكتب المُحَرَّفَة ، حيث إنهم قد حَرَّفُوها وغيَّروها وبدَّلُوها بعد رسولهم ، كلٌّ حسب هواه وحسب مطامعه الشخصية والمادية ، والقرآن الكريم خير شاهد على هذا التحريف وهذا التغيير والتبديل .

جاء عن اليهود :

قال الله تعالى عنهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[2].

وقال تعالى عنهم في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[3] .

قال الحافظ ابن كثير : « أي فسدت قلوبهم ، وساء تصرُّفهم في آيات الله ، وتأوَّلوا كتابَهُ على غير ما أنزله ، وحملوه على غير مراده ، وقالوا عليه ما لم يقل »[4] .

قال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5] .

---

(١) (التوحيد) محمد قطب . (وزارة المعارف) .
(٢) النساء : (٤٦) .
(٣) المائدة : (١٣) .
(٤) تفسير ابن كثير (سورة المائدة) .
(٥) آل عمران : (٧٥) .

جاء عن النصارى :

وأخبر الله تعالى أيضًا عن هؤلاء النصارى، أنهم اتّبعُوا أسلافهم من اليهود، وحرَّفُوا كلام الله تعالى ، وافتروا على الله الكذب وهم يعلمون ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] .

وهكذا تم تحريف اليهود والنصارى كلامَ الله تعالى ، وتَجَرَّءُوا على الله ، وامتدَّتْ أيديهم لآيات الله وكلامه ليُحَرِّفوها ، أفنعجب الآن أن تمتد أيديهم على المسلمين ليقتلوهم ، وتُلطِّخ أيديهم بدماء إخواننا في مشارق الأرض ومغاربها ، فلقد استهانوا بدمائنا ، بل الأمر تعدَّى ، وتخطَّى ذلك بمراحل ، فلقد تجرَّءُوا على حرماتنا وانتهاك أعراض نسائنا عيانًا وجهارًا ونهارًا ، وعلى مرأى ومسمع من الجميع، ولا مغيث ولا معتصم، وهذا فضلًا على هَدم مساجدنا بكل سخرية واستخفاف، فلقد سُفِكت الدماء وسُلبت الأراضي، وهُدِمت المساجد واستُبيحَت الحرمات ، وانتهكت الأعراض ، وكل ذلك لأننا لم نأخذ العبرة ، والعظة من القرآن ، وسالمنا اليهود والنصارى وواليناهم ، وأعطيناهم الأمن والأمان والعهود والمواثيق ، ونسينا عداوتهم لله وللرسول وللمؤمنين . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

○ أنواع التحريف في كتب أهل الكتاب ○

مما لاشك فيه ، أن أهل الكتاب قد حرَّفوا في الكتب السماوية التي بين أيديهم ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة ، مُبَيِّنًا ذلك التحريف والتبديل ، قال الأستاذ محمد قطب[2]: وإذا تدبرنا هذا الأمر ، وجدنا أن هناك ثلاثة أنواع من التحريف – على الأقل – قد وقعت في كتب أهل الكتاب ، وكلها

(١) آل عمران : (٧٨) .

(٢) انظر كتاب (التوحيد) محمد قطب (وزارة المعارف) وذلك بتصرف .

أشار إليها الله في القرآن :

١ – تحريف المعنى ، مع بقاء اللفظ على ما هو عليه .

٢ – التحريف بالتغيير والإضافة .

٣ – التحريف بالكتمان .

النوع الأول : تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه :

إن الله تعالى قد حرَّم الربا في جميع كتبه المنزلة (التوراة والإنجيل والقرآن) والتوراة التي بين أيدي اليهود اليوم – رغم كل ما حدث فيها من تحريفاتٍ شنيعة – ما تزال تحمل نصًّا بتحريم الربا ، ونصًّا بوجوب الأمانة في التعامل مع الناس، ومع ذلك فاليهود – كما هو معلوم – يتعاملون بالربا على النطاق الدولي ، ويسلبون عن طريقه أموال الناس بغير حقٍّ وإلى ذلك يقول تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] .

فكيف تحايلوا على النَّصِّ الموجود في كتابهم ، أو بعبارةٍ أخرى : كيف حرَّفُوه ليُبيحُوا لأنفسهم التعامل بالربا مع الناس وسلْب أموالهم ؟ .

لقد قالوا : إن الربا غير جائزٍ في التعامل بين اليهود ، وكذلك الأمانة واجبةٌ في تعامل اليهود بعضهم مع بعض ، أما إذا كان الذي تتعامل معه من غير اليهود ، فلا بأس عليك التعامل معه بالربا ، ولا بأس عليك أن تأكل ماله وإلى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

أي أنهم قالوا : لا حرج علينا في سلب أموال « الأُمِّيِّينَ » الذين ليسوا

---

(١) النساء : (١٦٠ – ١٦١) .

(٢) آل عمران : (٧٥) .

يهودًا ويزعمون أن الله أباح لهم ذلك ، وهم يعلمون أن هذا كذبٌ على الله تعالى .

النوع الثاني : التغيير والإضافة :

أولًا في التوراة :

فأمَّا اليهود ، فقد أضافوا إلى التوراة مجموعةً من القصص والأساطير ، ما أنزل الله بها من سلطانٍ ، بعضها يصل إلى حدِّ الفُحْش في حقِّ أنبيائهم ، وما من نبيٍّ من أنبيائهم إلا ألصقوا به سلوكًا لا يليق بالشخص العادي ، فضلًا عن النبي المعصوم ، بل إنهم تجرَّءُوا على مقام الألوهية ، وقالوا في حق الله سبحانه وتعالى كلامًا لا يخرج من فم مؤمن قطّ ، ولا يخطر على بال موحِّدٍ ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[1] . قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[2] .

أما التوراة ، ففيها أبشعُ من ذلك في حق الله ، مِمَّا يَقْشَعِرُّ بدنُ المؤمن من نِسْبَتِهِ إلى الله عز وجل .

ومن أبسط الأمثلة على ذلك قولهم : إن الله قد خاف على سلطانه بعد أن أكل الإنسان من الشجرة المحرَّمة ، وهي في زعمهم شجرة المعرفة ، وخشي – سبحانه – أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة ، فيحيا إلى الأبد !!! ومن أجل ذلك طرده من الجنة ، وأقام حراسةً شديدة على شجرة الحياة ، لكي لا يصل الإنسان إليها . وقولهم أيضًا : إن الله غضب على بني إسرائيل من كثرة جرائمهم ، فأقسم أن يُهْلِكَهم ، فراجعه سيدنا موسى حتى رضي عن بني إسرائيل ، وتندَّم الرب الإله على الشر الذي كان ينوي عليه بشعب إسرائيل !

---

(١) آل عمران : (١٨١ – ١٨٢) .

(٢) المائدة : (٦٤) .

فتعالى الله عما قالوا علوًّا كبيرًا ، وخرست ألسنتهم وشُلَّتْ أيديهم بما قالوا وكتبوا وافتروا على الله الكذب ، وهم يعلمون .

ثانيًا : في الإنجيل :

أمَّا الإنجيل فيحوي من التغيير والإضافة ما لا يقلُّ سخفًا وبشاعةً ، ولكن في اتجاهٍ آخر ، ذلك هو تأليه عيسى عليه السلام ، والزَّعم بأنه ابن الله ، وأسطورة ألوهية عيسى ، وبُنُوَّته لله ، وكَوْن الله ثلاثة (الابن ، والأب ، وروح القدس) ، كلها إضافة أُضيفت إلى الإنجيل المنزل من عند الله ، كتبوها بأيديهم وزعموا أنها من عند الله ، وقد ردَّ القرآن عليهم ردًّا مفصَّلًا في أكثر من سورة ، وبيَّن حقيقة التوحيد ، وأن عيسى عليه السلام لم يقُل إلا كلمة التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١) . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(٢) .

علمًا بأن الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم وهي (إنجيل مرقص ، إنجيل لوقا ، إنجيل متى ، إنجيل يوحنا) كل هذه الأناجيل من صنع هؤلاء الرجال الذين سُمِّيَتْ بأسمائهم ، كتبوها من ذاكرتهم وليس من النص المنزل من عند الله ، فضلًا عن أنها كلها متضاربة مِمَّا يؤكِّد أنها ليست من عند الله تعالى .

وهناك إنجيل خامس هو (إنجيل برنابا) منعت الكنيسة تداوله ، وأحرقتْ ما وقع في يدها من نُسَخِه ، وهدَّدَتْ من يُوجَد عنده بإصدار قرارِ حرمانٍ ضدَّه

(١) المائدة : (١١٦ - ١١٧) .
(٢) المائدة : (٧٢) .

أي الحرمان – في زعمهم – من رضوان الله ومغفرته ؛ لأنه يُقرِّر أن عيسى رسولٌ بَشَرٌ ، وليس ربًا ولا إلهًا ، وأنه بشَّر ببعثة محمد ﷺ من بعده .

النوع الثالث : التحريف بالكتمان :

وأما التحريف بالكتمان ، فهو على نوعين :

١ – كتمان أحكام الشريعة .

٢ – كتمان الإشارة إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ .

والقرآن الكريم يُسجِّل عليهم أنهم أُمِرُوا بعَدَم الكتمان ، ولكنَّهم عصوا ربهم ، وكتموا الحق وهم يعلمون، كذبًا وافتراءً على الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[1].

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3] .

وعلى الرغم من كل هذه الوصايا لأهل الكتاب ، فقد عصوا أمر ربهم ، وكتموا الحق الذي أُمِرُوا بإعلانه على الناس .

فعن عبدِ الله بنِ عُمَرَ – رضي اللهُ عنهما – أنَّ رسولَ الله ﷺ أُتِيَ له بيهوديٍّ ويهوديةٍ قد زَنَيا ، فانطلقَ رسولُ الله ﷺ حتى جاء يهود ، فقال : « ما تجدونَ في التوراةِ على مَنْ زنى ؟» قالوا : نُسوِّدُ وجوهَهما ، ونحملُهما ونُخالفُ بين وجوهِهما ، ويُطافُ بهما . قالَ : « فأتُوا بالتوراةِ إنْ كنتم صادقينَ ». فجاءوا

---

(١) آل عمران : (١٨٧) .

(٢) البقرة : (١٤٦) .

(٣) الصف : (٦) .

بها فقرءوها ، حتى إذا مرُّوا بآيةِ الرَّجم وضع الفتى الذي يقرأ يدهُ على آية الرجم ، وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال له عبدُ الله بن سلامٍ . وهو مع رسولِ اللهِ ﷺ : مُرْهُ فليرفعْ يدهُ . فَرَفَعَهَا ، فإذا تحتها آية الرجم . فأمر بهما رسولُ اللهِ ﷺ فرُجما [١].

وإذا كانوا بهذا التَّبجُّح في إنكار أحكام الشريعة أمام رسول الله ﷺ ، وهم يعلمون أنه رسول مؤيَّد بالوحي ، وأن الوحي يخبره بحِيَلِهم وكَيْدهم ، فكيف يصنعون مع عامة الناس الذين لا يتنزَّل عليهم ليكشف لهم ما خبَّئوه ؟! فيجب علينا – نحن المسلمين – أن نأخذ العبرة من هذه المواقف لهؤلاء ، حفدة القردة والخنازير ، فلا أمن لهم ولا أمان ، ولا عهد ولا ميثاق ، فإنهم لا يَرْقُبُون في مؤمن إلًّا ولا ذمَّةً، فالحَذَرَ كل الحذر أن نعطيهم الأمان أو أن نأمن جانبهم، أو أن نأخذ منهم عهدًا أو ميثاقًا، والخطر كل الخطر أن ننسى عداوتهم لنا وللإسلام، وقد فضحهم لنا القرآن الكريم أنهم لن يرضوا عنا حتى نتَّبع ملتهم، حتى يفتنونا عن ديننا، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[٢].

فيجب علينا بغضهم والإعداد لملاقاتهم، والقصاص منهم، وتقتيلهم تقتيلًا، ليشفي الله صدور قوم مؤمنين ، وتصديقًا لإخبار الرسول ﷺ ، فإلى اللقاء في القدس إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) رواه البخاري (كتاب المناقب) باب (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ومسلم (كتاب الحدود) باب (حد الزنا) .

(٢) البقرة : (١٢٠) .

○ القرآن الكريم ○

١ - تعريفه لغةً :

قَرَأَهُ ، يَقْرَؤهُ ، ويَقْرُؤهُ : فهو مَقْرُوءٌ .

قال أبو إسحاق النحوي : يُسمَّى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ : كتابًا ، وقرآنًا ، وفرقانًا ، ومعنى القرآن : الجمع ، وسُمّي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضُمُّها[1].

٢ - تعريفه شرعًا :

هو كلام الله تعالى بلفظه ومعناه ، أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ ، بواسطة أمينه جبريل عليه السلام ، وهو الذي بَيْن دفَّتي المصحف ، يبدأ بالفاتحة وينتهي بسورة الناس .

٣ - نَسْخ القرآن الكريم للكتب السابقة :

لقد نَسَخَ الله تعالى الكتب السماويةَ السابقة ، وذلك بنزول القرآن الكريم ، نسخ ما فيها من تشريعاتٍ وأحكام ؛ إلا ما وافق منها أحكام الإسلام وتشريعاته ، وأما الأصول العقائدية : من توحيد الله تعالى ، والاعتراف بوحدانيته وربوبيته ، والإيمان بالرسل والكتب ، والإيمان باليوم الآخر ، فكل ذلك ثابتٌ لا يتغيَّر بتغير الكتب السماوية ، وذلك لأنها هي الحقيقة التي من أجلها بَعَثَ الله جميع الرسل .

ولقد نَسَخَ الله الكتب السابقة بالقرآن الكريم لأنه يعلم أن القرآن سوف يبقى إلى قيام الساعة ، وأن الرسول الكريم محمدًا ﷺ بُعِث إلى البشرية كلها ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2]، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[3].

وكذلك فإن دعوة رسولنا الكريم ، والقرآن العظيم : لجميع العالمين ، فلقد بُعِث ﷺ للإنس والجن ، وهذا القرآن العظيم حُجَّةٌ على الثقلين (الإنس والجن)

---

(١) انظر لسان العرب .
(٢) الأعراف : (١٥٨) .
(٣) سبأ : (٢٨) .

وذلك مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[(١)] .

ولذلك جاء القرآن الكريم مشتملًا على ما في الكتب السابقة ، ويكون مُهَيْمِنًا عليها كلها، فهو الرائد، وهو الباقي الخالد إلى يوم الدين، إلى أن يرفعه الله.

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[(٢)] .

ولقد جاء في الحديث عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ ، لا يَسْمَعُ بي أحدٌ من هذه الأُمَّةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أُرسِلْتُ به ، إلَّا كانَ من أصحابِ النارِ »[(٣)].

وفي هذا الحديث الشريف دليلٌ واضح على نَسْخ القرآن الكريم لما سبقه من الكتب السماوية الأخرى التي سبقتْه .

٤ – حفظ الله تعالى للقرآن الكريم :

لقد أنزل الله تعالى هذا القرآن الكريم ، ويعلم أنه آخر كتاب سينزل على البشر ، وسيكون لخير أمةٍ أُخرجت للناس فأراد الله له الخلود والحِفْظ ، فتولَّى سبحانه وتعالى حفْظ هذا الكتاب الكريم ، فلا تمتدّ إليه الأيدي ولا ينال منه المُبطلون ، فهو حبل الله المتين ، وذكره الحكيم ، وصراطه المستقيم ، والحُجَّة على خلقه إلى يوم الدين .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[(٤)] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[(٥)] .

---

(١) القلم : (٥٢) .

(٢) المائدة : (٤٨) .

(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ) .

(٤) فصلت : (٤١، ٤٢) .

(٥) الحجر : (٩) .

٥ - القرآن مصدر التشريع :

إن الله تعالى أنزل هذا القرآن وجعله مهيمنًا على ما قبله وما حوله ، وذلك ليكون حاكمًا ، أنزل الله فيه تشريعاته ليحكم به أتباعه ، ويكون منهاجهم وشريعتهم ، فهو من عند الله الخالق ، فالخالق أحقُّ بالتشريع والأمر والنهي ، فليس لمخلوقٍ مهما كان حق التشريع والتحريم والتحليل ؛ لأن ذلك من خواصِّ الخالق الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾(1) .

ولذلك سمَّى الله تعالى أخذ التشريع من غيره شِرْكًا يُخرج من الملة ، ويُنافي التوحيد كليَّةً .

قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾(2) .

ومن خضع لهذا المشرع من دون الله ، ورضي بحُكْمه وشَرْعه ، فقد شاركه في جريمته الكبرى إذ رضي أن يجعله شريكًا لله ، يأخذ منه التحليل والتحريم ، والأمر والنَّهي ، ويسمع له ويطيع من دون الله تعالى ، فهو أخٌ له في الشرك وسائرٌ معه على دَرْب العصيان والتَّمرُّد والهلاك .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(3) .

وفي قصة عدي بن حاتم – رضي الله عنه – عبرةٌ لكل من هان عليه توحيده ، وانسلخ من إيمانه ، ورضي بالذُّل والهوان ، فسمع وأطاع لغير الله ، وفي معصية الله ، فعلم أو لم يعلم لقد عَبَدَ هذا الذي أخذ منه وانصاع له ، سواءٌ أكان (أبًا أو ولدًا أو زوجة أو عالمًا أو زعيمًا أو حاكمًا) فلقد اتَّخذه إلهًا من دون الله، خرج بطاعته وعبادته من دين الله تعالى .

---

(1) النحل : (١١٦) .
(2) الشورى : (٢١) .
(3) الأنعام : (١٢١) .

لما سمع عدي بن حاتم قول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

قال عديٌّ : يا رسولَ الله ، إنَّا لسنا نعبدُهم . فقال له النبيُّ ﷺ : « أليسوا يُحلُّونَ ما حرَّمَ اللهُ فتحِلُّونَهُ ، ويُحرِّمونَ ما أحلَّ الله فتُحرِّمونه » ؟ قال : بلى. قال : « فتلك عبادتهم »[2].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، رحمه الله[3] :

وفي الحديث دليلٌ على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادةٌ لهم من دون الله ، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، ولقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4] .

ويتبين من هذا أن القرآن الكريم هو مصدر التشريع لهذه الأمة ، ومعه السنة المطهرة الشارحة والمفصِّلة لهذا القرآن ، ولا يسع أحدًا الخروج على هذا التشريع ؛ لأن فيه خَيْرَي الدنيا والآخرة ، وهذا التشريع هو الجدير بأن يفي بتطلبات الإنسان ، ويجد فيه الإنسان حلًّا لجميع مشاكله ، ويجد فيه ذاته وراحته النفسية التي فقدها وسط هذا العالم ، الذي طغت فيه الماديات وانطمست فيه الروحانيات .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[5] .

---

(١) التوبة : (٣١) .
(٢) رواه أحمد والترمذي وحسَّنه .
(٣) نقلًا عن كتاب (التوحيد) للدكتور صالح الفوزان (وزارة المعارف) .
(٤) التوبة (٣١) .
(٥) النحل : (٨٩) .

٦ - القرآن كلام الله وليس بمخلوق :

إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالىٰ (وليس بمخلوق) أنزله على عبده ورسوله محمد - ﷺ - عن طريق جبريل عليه السلام .

أنزله على رسوله ﷺ بلفظه ومعناه، وقد تكلّم به الله عز وجل على الحقيقة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[1].

ودليل أنه منزّل من الله تعالى ، قوله عز وجل : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾[2] .

ودليل أنه غير مخلوقٍ ، قولُ الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[3] .

دلت هذه الآية الكريمة على أن الخلْق غَيْرُ الأمْر ، ولو كان الأمر يندرج تحت الخلق لَذَكَرَ الله عز وجل الخلْق وحده ، وكَوْنه جل شأنه يَذْكُر الأمر بعد الخلق فهذا دليلٌ واضحٌ ، وبَيِّنٌ على أن الأمر مُغايِرٌ ومخالفٌ للخلْق .

والقرآن الكريم يندرج تحت الأمر، وليس تحت الخلْق، وذلك بنص كتاب الله تعالىٰ ، فلقد جاءت آياتٌ كثيرة تُشير إلى أن القرآن الكريم أمْرُ الله أنزله إلى عباده .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾[5] .

ويتَّضح من ذلك أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وصفةٌ من صفاته ، وهو الذي تولّى حِفْظه ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وأن من يقول بخلْق القرآن الكريم قد افترىٰ على الله الكذب ، فإن المخلوق:

---

(١) التوبة : (٦) .
(٢) الفرقان : (١) .
(٣) الأعراف : (٥٤) .
(٤) الشورى : (٥٢) .
(٥) الطلاق : (٥) .

له بدايةً ونهايةً ، ويأتي عليه البلى ، ويجوز عليه التغيير والتحريف ، ويُحكم عليه بالفناء ، وحاشا للقرآن الكريم أن تعتريه هذه الصفات التي هي من خصائص المخلوقين .

قال موفق الدين بن قدامة المقدسي :

« ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين ، وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ، بلسانٍ عربي مبين ، مُنزَّل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود »[١] .

○ (أ) القرآن كلام الله تعالى ○

القرآن الكريم كلام الله تعالى ، أنزله على رسوله محمد ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام ؛ ليكون نذيرًا للعالمين ، والدليلُ على أنه كلام الله قولُه تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾[٢] ، قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[٣] ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾[٤] .

قال ابن كثير – رحمه الله – في هذه الآية :

يقول تعالى مُخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله ، وأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطِّلاع لبشرٍ على كنهها وإحصائها،

---

(١) انظر لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (لابن قدامة المقدسي) ٤٠

(٢) سورة التوبة : (٦) .

(٣) الفتح : (١٥) .

(٤) لقمان : (٢٧) .

كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أي ولو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلامًا ، وجُعل البحر مدادًا وأمدَّه سبعة أبحرٍ معه ، فكُتِبت بها كلمات الله الدَّالَّة على عظمته وصفاته وجلاله ، لتكسَّرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء بأمثالها مددًا ، وإنما ذُكرت السبعة على وجه المبالغة ، ولم يُرد الحصْر ولا أن ثَمَّ سبعة أبحرٍ موجودة محيطة بالعالم[1] .

قال الحسن البصري :

لو جُعِل شجر الأرض أقلامًا ، وجُعل البحر مدادًا ، وقال الله : إن من أمري كذا وكذا ، لَنَفِد ماء البحر وتكسَّرت الأقلامُ[2] .

قال قتادة :

قال المشركون : إنما هذا كلام الله يوشك أن ينفد ، فقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾[3]. أي لو كان شجر الأرض أقلامًا، ومع البحر سبعة أبحر ، ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه[4] .

قال الربيع بن أنس :

إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرةٍ من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾[5] . يقول : لو كان البحر مدادًا لكلمات الله ، والأشجار كلها أقلامًا ، لَانْكَسَرَتِ الأقلامُ ونفد ماءُ البحر ، وبقيت كلماتُ الله قائمةً لا يُفنيها شيء ؛ لأن أحدًا لا يستطيع أن

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة لقمان) .
(٢) تفسير ابن كثير (سورة لقمان) .
(٣) لقمان : (٢٧) .
(٤) تفسير ابن كثير (سورة لقمان) .
(٥) لقمان : (٢٧) .

يقدر قدره ولا يُثني عليه كما ينبغي ، حتى يكون هو الذي يثني على نفسه ، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول[١] .

كلام الله تعالى بصوت وحروف :

يتكلم الله تعالى بصوتٍ مسموعٍ ، ولكن لا يُشْبِه شيئًا من أصوات الخلق ، فتعالى الله عن مشابهة خلقه علوًّا كبيرًا . فهو كلام الله يليق بجلاله ، وبصوتٍ يليق بعظمته ، والدليل على ذلك أن الله تعالى نادى موسى عليه السلام ، وسمعه موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾[٢]. والنداء والمناجاة، كما هو معلومٌ للجميع، أنه يكون بصوتٍ، ودليل ذلك من السنة المطهرة هو : عن عبد الله بن أُنَيس رضي الله عنه قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « يَحْشُرُ اللهُ العِبادَ ، فيُنادِيهِمْ بصَوْتٍ يسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أنا المَلِكُ ، أنا الدَّيَّان »[٣].

وأما كونه بحروفٍ فذلك لا شبهة فيه ، كما قرَّرْنا من قبل ، وهو أننا لا نقيس صفات الله تعالى على صفات البشر ، فليس معنى أن الله يتكلَّم بصوتٍ وحروفٍ ، أنه يَلْزَمُ لذلك حنجرة وغيرها كما هو عند المخلوقين ، فتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، ولكنْ له صوت بحروف ، ولكنْ تليق بجلال الله وعظمته ، لا نعلم كيفيَّتها ولا كنهها ، ولكن نؤمن بها كما جاءت بها الآيات والأحاديث الصحيحة بدون تحريفٍ ولا تعطيل ، والدليل على أن كلام الله بحروف ، قال تعالى : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾[٤] .

كلام الله من صفاته الذاتية والفعلية :

١ – إن كلام الله تعالى من صفاته الذاتية ؛ لقيامه به واتصافه به سبحانه

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة لقمان) .
(٢) مريم : (٥٢) .
(٣) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب (ولا تنفع الشفاعة عنده ...) .
(٤) طه : (١١ ، ١٢) .

وتعالى ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[١] .

٢ – وكلام الله تعالى أيضًا صفةٌ فعليةٌ لله تعالى ، وذلك لتَعَلُّقِهِ بمشيئته وقدرته ، فالله تعالى يتكلَّم متى شاء ، وبما شاء ، والدليل : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[٢]، فالتَّكلُم حَصَل بعد مجيء موسى عليه السلام ، فدلَّ على أنه مُتعلِّق بمشيئة الله تعالى .

قال ابن القيم رحمه الله :

وقال أهل الحديث والسنة: إنه لم يَزَل سبحانه متكلِّمًا إذا شاء، ويتكلم بمشيئته. و لم تتعدَّدْ له هذه الصفة، بل كَوْنه متكلمًا بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته، وكلامه ليس متَّحِدًا بهم ولا حالًّا فيهم[٣].

وقال أهل السنة والحديث :

يُسْمِعُ كلامه سبحانه منه تارةً بلا واسطة ، كما سمعه موسى وجبريل وغيرهم ، وكما يُكلِّم عباده يوم القيامة ، ويكلِّم أهل الجنة ، ويكلِّم الأنبياء في الموقف ، ويَسْمَع منه المبلِّغ عنه ، كما يسمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغًا عنه ، وكما سَمع الصحابة القرآن من الرسول ﷺ عن الله ، فهو كلام الله بواسطة المبلِّغ ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التَّالي .

فإذا قيل : المسموع مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ ؟ قيل : إن أَرَدْتَ المسموعَ من الله تعالى فهو كلامُه غيرُ مخلوقٍ، وإن أردتَ المسموع من المبلِّغ ففيه تفصيلٌ : إن سألْتَ عن الصوت الذي رَوَى به كلام الله فهو مخلوق ، وإن سألْتَ عن الكلام المُؤدَّى بذلك الصوت فهو غيرُ مخلوقٍ[٤] .

---

(١) التوبة : (٦) .
(٢) الأعراف : (١٤٣) .
(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٣٢٩) .
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٣٣١) .

○ (ب) أصل القول بخلق القرآن ○

والذي يُروى أن أول من قال : إن القرآن مخلوق (الجَعْد بن درهم) في العهد الأموي ، فقتله (خالدُ بن عبد الله القسري) يوم الأضحى بالكوفة ، وقد أُتي به مشدودًا في الوثاق عند صلاة العيد فصلّى خالدٌ وخَطَب ، ثم قال في آخر خطبته : اذهبوا وضَحُّوا بضحاياكم تقبّل الله منكم ، فإني أريد أن أُضحِّي بالجعد بن درهم ، فإنه يقول : ما كلّم الله موسى تكليمًا ولا اتَّخذ الله إبراهيم خليلًا ، تعالى الله عما يقول علوًّا كبيرًا . ثم نزل وقتله . وقال مثل ذلك (الجهمُ ابن صفوان) ولما جاء المعتزلة ونفوا صفات المعاني ، أنكروا أن يكون الله سبحانه وتعالى متكلمًا ، وقالوا : إن الله يخلق الكلام كما يخلق كل شيءٍ ، فكانت دعواهم أن القرآن مخلوق الله ، واشتدَّ خَوْض المعتزلة في ذلك حتى جاء (المأمون) واتَّخذ حاشيته منهم وقرَّبهم حيث كان تلميذًا (لأبي الهذيل العلّاف) من رؤوس المعتزلة . وقد طلب المأمون من نائبه في بغداد (إسحاق بن إبراهيم) استدعاء الفقهاء والمحدثين ليحملهم على أن يقولوا : إن القرآن مخلوقٌ . فأحضرهم ، ومنهم (أحمد بن حنبل) وأنذرهم بالعقوبة الشديدة، ولكنَّ الله ربط على قلوب قلة منهم آثروا الباقية على الفانية فأصرُّوا على موقفهم وإبائهم ، وفي مقدِّمتهم (أحمد بن حنبل) الذي ظل صابرًا حتى النهاية ، يُكبَّل بالحديد ، ويُحبس ويُؤذَى ، حتى مات المأمون ، ولكنَّ موته لم يُنْهِ المحنة ، بل ابتدأتْ في دورٍ أقسى وأشد ؛ لأنه أوصى أخاه المعتصم بهذه المقالة من بعده ، فسيْقَ أحمد مُصفَّدًا إليه بعد أن ولي الخلافة ، وضُرب بالسياط المرَّة بعد المرة ، إلى أن أُغميَ عليه ، واستمرَّ حبْسُه نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا ، ثم أُطلق سراحُه وعاد إلى بيته وقد أثخنته الجراح .

كُفْرِيَات جهم بن صفوان :

ولقد اشتهر القول بخلق القرآن في آخر عصر التابعين ، كما ظهر جهم بن صفوان شقيق إبليس – لعنه الله – وكان ملحدًا عنيدًا ، وزنديقًا زائغًا متّبعًا غير

سبيل المؤمنين، لم يُثبِت أن في السماء ربًّا، ولا يصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفْسَه، وينتهي قوله إلى جحود الخالق عز وجل، وترك الصلاة أربعين يومًا يَزْعُم أنه يرتاد دينًا، ولمَّا ناظره بعضُ السُّنِّية في معبوده، قال- قبحه الله-: هو هذا الهواء في كل مكان، وافتتح سورة طه، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1]، قال: لو وجدت السبيل إلى حَكِّها لَحَكَكْتُها. ثم قرأ، فلما أتى على ذكر موسى في سورة القصص، جَمَع يدَيْه ورجلَيْه ، ثم رفع المصحف، ثم قال أي شيء هذا؟ ذَكَرَه هٰهنا فلم يتمَّ ذكره، وذكره هٰهنا فلم يتم ذكره. وقد رُوي عنه غيرُ هذا من الكُفْريّات، وهو أذلّ وأحقر من أن نشتغل بترجمته، وقدَّر الله تعالى ذَبْحَه على يد سالم بن أحوز بأصبهان، وقيل بمرو، وهو يومئذٍ نائبها، رحمه الله تعالى وجزاه الله عن المسلمين خيرًا[2].

شُبَهٌ حول القول بخلْق القرآن:

قد يَحدث بعضُ اللَّبس والاختلاط عند البعض حول خلق القرآن الكريم، وهو عدم التفرقة بين الشيء المتلوّ ووسيلة التلاوة، وبين الشيء المكتوب وأدوات الكتابة، فالقرآن الكريم كلام الله تعالى لا جدال ولا ريب، ولكن الصوت الذي يُقرأ به القرآن هو مخلوق؛ لأنه ناتج عن مخلوق، وخارج من حنجرة مخلوقة، وكذلك المكتوب فهو كلام الله تعالى لاشك ولا ريب، ولكن الكتابة ذاتها هي فعل العبد، وهو المخلوق؛ إذن هناك فرق بين [التلاوة والمتلو] وهناك فرق بين [الكتابة والمكتوب].

قال العلَّامة ابن القيم في نونيته :

وتلاوةُ القرآن أفعالٌ لنا ... وكذا الكتابةُ فهْيَ خطٌّ بنانِ
لكنَّما المتلوّ والمكتوب والـ ... ـمحفوظ قولُ الواحد الرحمنِ
والعبد يقرؤه بصوتٍ طيبٍ ... وبضدهِ فَهُما له صوتانِ
وكذاك يكتبه بخطٍّ جيدٍ ... وبضدهِ فهما له خطَّانِ[3]

---

(١) طه : (٥) .

(٢) معارج القبول شرح سلم الوصول (١ / ٢٧٠) .

(٣) نونية ابن القيم رحمه الله (١ / ١٤٢) ضمن شرحها للدكتور خليل هراس .

قول أئمة السنة فيمن قال بخلق القرآن :

قال الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله : مَنْ قال : [القرآن مخلوق] فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله، وفيه أسماء الله. وقال: إذا قال الرجل: [العلم مخلوق] فهو كافر؛ لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه. وقال رحمه الله: من قال ذاك القول لا يُصلى خلفه الجمعة ولا غيرها، فإن صلى أعاد الصلاة.

قال خارجة: الجهمية كفار، بَلِّغوا نساءهم أنهن طوالق، وأنهن لا يَحلُلْن لأزواجهم، ولا تعودوا منازلهم، ولا تشهدوا جنائزهم.

قال مالك رحمه الله: من قال: القرآن مخلوق، يوجع ضربًا وحبسًا حتى يتوب.

قال سفيان الثوري: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، زنديق، حلال الدّم.

قال عبد الله بن المبارك: الجهمية كفار ، وليس تعبد الجهمية شيئًا . وقال : من قال القرآن مخلوق فهو زنديق . وقال : إنّا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية .

وقال سفيان بن عيينة : القرآن كلام الله ، ومن قال : إنه مخلوق فهو كافر ، ومن شكّ في كفره فهو كافر . وقال : من قال : القرآن مخلوق يحتاج أن يُصلب على ذُباب (يعني على جبل) .

القرآن حروف وكلمات :

إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، أنزله على رسوله محمد ﷺ، وهو يتكون من حروف وكلمات من جنس حروف وكلمات العرب التي يستعملونها في شعرهم ونثرهم وكلامهم ، ولكنه ليس بشعر ، ونفى الله عنه ذلك في آياته البينات ، قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

* * *

---

(١) يس : ٦٩ .

ولقد ذكر ابنُ قدامة رحمه الله في لمعة الاعتقاد ثمانية أدلة على أنه حروف وكلمات ، نذكر منها :

١ – إنّ الكفار قالوا إنه شعر ، ولا يمكن وصف ما هو كذلك إلا إذا كان حروفًا وكلمات وقال في البرهان : « من المعلوم أنما عَنَوا هذا النظم ؛ لأن الشعر كلام يكون موزونًا فلا يُسمى به معنًى ، ولا ما ليس بكلام ، فسمّاه الله تبارك وتعالى ذكرًا وقرآنًا مبينًا »[١] .

٢ – إن الله تعالى تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله ، ولو لم يكن حروفًا وكلمات لكان التحدي غير مقبول ، إذ لا يمكن التحدي إلّا بشيءٍ معلوم ، يدرى ما هو .

٣ – إن الله تعالى أخبر بأن القرآن الكريم يتلى عليهم ، ومعلوم أنه لا يتلى إلا ما كان حروفًا وكلمات ، فدل ذلك على أن القرآن الكريم مكون من حروف وكلمات ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[٢] .

٤ – قول علي رضي الله عنه : من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كله[٣].

قال ابن قدامة في وصف القرآن الكريم :

وهو سورٌ مُحكمات ، وآيات بينات ، وحروف وكلمات ، من قرأه فأعربه فله بكل حرفٍ عشر حسنات ، له أولٌ وآخر ، وأجزاء وأبعاض ، متلو بالألسنة ، محفوظ في الصدور ؛ مسموع بالآذان ، مكتوب في المصاحف ، فيه محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، وأمر ونهي[٤].

---

(١) البرهان في بيان القرآن (لابن قدامة) صـ ٢٢٧ .

(٢) يونس : (١٥) .

(٣) انظر شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد . للشيخ صالح بن العثيمين (٨٣، ٨٤) وذلك بتصرف .

(٤) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد صـ ٧٧ .

أوصاف القرآن[1]:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة وكثيرة ، نذكر بعضًا منها فيما يلي:

١ – إنه كتاب الله المبين ؛ أي المُفصح عما تضمن من أحكام وأخبار .

٢ – إنه حبل الله المتين ؛ أي العهد القوي الذي جعله الله سببًا للوصول إليه ، والفوز بكرامته .

٣ – إنه سور مُحْكمات ؛ أي مفصل السور كل سورة منفردة عن الأخرى ، والمحكمات المُتقَنات المحفوظات من الخلل والتناقض .

٤ – إنه آيات بينات ؛ أي علامات ظاهرات على توحيد الله وكمال صفاته ، وحسن تشريعاته .

٥ – إن فيه محكمًا ومتشابهًا ؛ فالمحكم ما كان معناه واضحًا ، والمتشابه ما كان معناه خفيًّا . ولا يعارض هذا ما سبق برقم (٣) ؛ لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض ، وهنا بمعنى وضوح المعنى ، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكمًا .

٦ – إنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة .
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2].

٧ – إنه بريء مما وصفه به المكذبون به ، من قولهم : إنه شعر .
﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[3] .
وقول بعضهم : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[4] . وقولهم : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[5]. فقال الله متوعدًا هذا القائل ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[6].

٨ – إنه معجز لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله ، وإن عاونه غيره .
قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[7] .

---

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (٨٤ : ٨٥) .
(٢) فصلت: (٤٢) . (٣) يس : (٦٩) . (٤) المدثر : (٢٤) .
(٥) المدثر : ٢٥ . (٦) المدثر : (٢٦) . (٧) الإسراء: (٨٨).

الفصــل الرابــع
الإيمــان بالرُّســل

□ الفصل الرابع □

○ الإيمان بالرُّسل ○

١ - معنى الرسول لغة :

الرسول : المُرْسَل ، ويجمع على رُسُل ، وأرْسُل .

والإرسال : هو التوجيه .

الرِّسالة : كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد .

رسالة الرسول: ما أمر بتبليغه عن الله، ودعوته الناس إلى ما أوحي إليه[١].

٢ - معنى الرسول شرعًا :

هو إنسان حُرٌّ ذكر ، نبأه الله تعالى بشرع وأُمر بتبليغه إلى من لا يعلمه أو خالفه ممن أرسل إليهم[٢] .

ولابد أن يتوفر في الرسول النبوة ، إذ هي شرط في الرسالة ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا .

وأيضًا فالرسول يحمل رسالة إلى من لا يعلم دين الله وشرعه ، أو إلى من غيَّر الشرائع والأديان ، لتعليمهم وإعادتهم إليها ، وهو الحاكم فيهم .

« أما النبي فهو يُبعث بالدعوة لشرع من قبله » . ولذلك لقد جمع سيدنا محمد ﷺ بين النبوة والرسالة .

٣ - النبوة تُوهب ولا تُكتسب :

إن النبوة شيء عظيم ، يمن الله بها على من يشاء من عباده ويصطفي ،

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) والنبي: هو إنسان حُرٌّ ذكر ، نبأه الله تعالى بشرع سابق ، يعلمه من حوله من أصحاب هذا الشرع .

فهي منحة وهبة يوهبها الله تعالى لمن اختار من عباده الصالحين ، فهو سبحانه وتعالى يعلم بعلمه الأزلي أن هؤلاء مؤهلون لحمل رسالات ربهم وتبليغها للناس، فجعلهم أمناء على هذه الرسالات التي فيها حياة القلوب وصلاح الشعوب، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] .

وليست الرسالة شيئًا يكتسب ، ولا يأتي بالدُّرْبة ، فليس هناك أذكار أو أوراد أو بعض الأفعال التي يقوم بها العبد ، ويواظب عليها فيصل بذلك إلى مرتبة النبوة ، ثم يوحى إليه ، ما سمعنا بذلك في الأولين ولا في الآخرين !!

ولذلك نرى الله عز وجل يقرر هذه الحقيقة في القرآن الكريم ، ويؤكد عليها في حق جميع الأنبياء والمرسلين. فمثلًا في حق موسى- عليه السلام- الله يمن عليه ويذكره بهذه النعمة، قال تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾[2] .

ويحكي لنا القرآن الكريم قول يعقوب لابنه الصديق يوسف- عليهما السلام- مذكرًا إياه بنعمة ربه عليه، بأن الله كما أراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾[3]. أي يختارك ويصطفيك لنبوته[4].

ولقد ذكر الله في مواضع أخرى نعمته على النبيين ، وأنها هبة من الله تعالى لهم . قال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾[5] .

وعلى ذلك فلا يَحقُّ لأحدٍ أن يعترض على حكم الله، وعلى اختصاص الله بعضهم برسالته دون بعض ، فهو أعلم بهم، ولا يُسأل عما يفعل ، وعباده وخلقه من دونه يُسألون ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ

(١) الأنعام : (١٢٤) .
(٢) الأعراف : (١٤٤) .
(٣) يوسف : (٦) .
(٤) انظر تفسير ابن كثير ، أول سورة يوسف .
(٥) مريم : (٥٨) .

ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]

○ وجوب الإيمان بالرّسل ○

١ – ومعنى الإيمان بالرسل :

هو الإيمان والتصديق التام الجازم بأن الله قد اصطفاهم على خلقه ، وخصّهم برسالاته ، وارتضاهم لحمل الأمانة ، وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه لتوصيل كلامه ، وشرعه ، وأحكامه

ونؤمن بأنهم أدوا الأمانة ، ونصحوا لأممهم ، وأقاموا عليهم الحُجَّة ، وبلغوا رسالات ربهم ، وبيّنوا للناس ما لا يسع أحدًا جهلُه . ولم يكتموا شيئًا حملوه ، ولم يغيروا ، ولم يبدلوا شيئًا مما أُرسلوا به .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2] .

٢ – أدلة وجوب الإيمان بالرسل :

إن الأدلة على وجوب الإيمان بالرسل كثيرة جدًّا ومتواترة ، في كتاب الله وسنة نبينا محمد ﷺ ، فإنه لا يكتمل إيمان العبد إلا بالإيمان برسل الله جميعًا ، دون تفريق بينهم ، فكلهم من عند الله تعالى ، وأتوا بكلام الله تعالى ، فالذي لا يؤمن برسول من هؤلاء الرسل فهو كافر بجميع الرسل [ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض] قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ

---

(١) الزخرف : (٣١ ، ٣٢) .

(٢) النحل : (٣٦) .

بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ في حديث جبريل حينما سأله عن الإيمان قال : « **أن تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِه واليومِ الآخرِ والقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ** »[2].

قال الحافظ ابن كثير :

« يتوعد الله تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله ، من اليهود والنصارى ، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان ، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض لمجرد التشهي والعادة ، وما ألفَوْا عليه آباءهم ، لا عن دليل قادهم إلى ذلك ، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك ، بل بمجرد الهوى والعصبية .

فاليهود : – عليهم لعائن الله – آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد ، عليهما الصلاة والسلام .

والنصارى: آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ .

والسامرة : لا يؤمنون بنبي بعد (يوشع) خليفة موسى بن عمران .

والمجوس : يقال : إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له (زرادشت) ، ثم كفروا بشرعه ، فرفع من بين أيديهم . والله أعلم .

والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض ، فمَنْ رَدَّ نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي ، تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيًا ، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية ، فوسمهم الله تعالى بأنهم كفار بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، أي في الإيمان »[3] .

---

(١) النساء : (١٥٠، ١٥٢) .

(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (تعريف الإسلام والإيمان) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (سورة النساء) .

٣ - الحكمة من إرسال الرسل :

إن الله تعالى خلق الخلق جميعهم على الفطرة ، أي على الفطرة السليمة التي أرادها الله تعالى ، ألا وهي الإسلام والتوحيد ، فكل إنسان ومولود يأتي إلى هذا الكون يحمل بين جنبيه عقيدة التوحيد ، وفطرة الإسلام .

قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود يُولَدُ إلّا على الفطرةِ ، فأبَوَاه يُهوِّدَانِه أو يُنصِرانِه أو يُمجِّسانِه ، كما تنتجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ ، هل تُحِسُّون فيها من جدعاءَ ؟** »[2].

فالإنسان بفطرته مجبول على التوحيد ، ويهديه قلْبُه وعقلُهُ إلى خالقه.

ولكن كيف يعلم هذا العبد حقيقة ربه حق المعرفة ؟

وكيف يعبد هذا العبدُ ربه ؟ وما هي العبادات التي يتقرب بها إلى الله .

وما هو الطريق الصحيح للوصول إلى مرضاة هذا الإله ؟

إن كل هذا هو وظيفة الرسل . ومن أجل ذلك أرسلهم الله تعالى، أرسلهم لكي يخبروا الناس بحقيقة ربِّهم ، ويعلمونهم قدرته وهيمنته وسلطانه، ويعلمونهم كيف يعبدون ربّهم ، ويرشدونهم إلى الطريقة المثلى في عبادة ربهم ، ويبشرون طائعهم بالجنة ، وينذرون عصاتهم بعذاب أليم .

ومن هنا كان لابد من وجود هؤلاء الرسل ، وكيف لا وهم همزة الوصل بين العباد ورب العباد ، وكيف لا وبهم قد صحّت العبادة ، وقبلت الطاعات ، وفتحت أبواب الجنان لكل عبد آمن بهم واتبعهم ومات على ذلك .

فكان وجود هولاء الرسل تكملةً وتمامًا لهذه الفطرة السليمة القويمة التي تعرَّفتْ على خالقها ، واشتاقت لمعرفة كيفية عبادة الله تعالى .

---

(١) الروم : (٣٠) .

(٢) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (ما قيل في أولاد المشركين) ، ومسلم (كتاب القدر) باب (كل مولود يولد على الفطرة) .

٤ – عدد الأنبياء والرسل :

إن عدد الأنبياء والرسل كثير جدًا ، وهو مُخْتَلَف فيه[١] ، فإن الله سبحانه وتعالى قصَّ علينا منهم ، ومنهم من لم يقصص علينا ، وذكر لنا القرآن منهم ما يقارب خمسة وعشرين ، وذكر منهم ثمانية عشر في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] .

والباقون وهم (سبعة) فقد ذُكروا في آيات متفرقة في كتاب الله تعالى وهم : [**آدم ، وإدريس ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وذو الكفل**]

وأما (**شيث عليه السلام**) فلم يذكر في القرآن الكريم ، ولكن ذكر في السنة المطهرة في حديث أبي ذر رضي الله عنه .

وأما من لم يقصص الله علينا منهم فيجب الإيمان بهم كال الإيمان مثل الذين قد قصهم علينا ، فوجب الإيمان بهم إجمالًا .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[٣] .

٥ – الإسلام هو دين جميع الرسل :

إن الدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين الموحدين ،

---

(١) جاء في حديث أبي ذر لما سأل الرسول ﷺ كم الأنبياء ؟ قال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، فسأله أبو ذر : كم الرسل من ذلك ؟ قال : « ثلثمائة وثلاثة عشر » انظر تفسير ابن كثير (سورة النساء) آية (١٦٤) .

(٢) الأنعام : (٨٣ : ٨٦) .

(٣) غافر : (٧٨) .

فهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وبعث به كل الرسل ليُبلّغوه للناس ودعا له الرسلُ ، ونشروه في أرجاء المعمورة ، فهو أصل رسالتهم الذي اتحدوا عليه ، وانطلقوا منه ، فكان هو دينهم جميعًا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2] .

فالإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شرائعهم وأحكامهم ، فإنهم متفقون على الأصل الأول وهو التوحيد والإسلام ، فمثلًا :

أخبر الله عن نوح عليه السلام: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

وأخبر عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] .

وأخبر عن موسى عليه السلام قوله : ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[5] .

وأخبر عن حواريِّ المسيح : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[6] .

وأخبر عن سليمان عليه السلام على لسان بلقيس : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7] .

وأخبر سبحانه وتعالى عن الأنبياء الذين تقدموا: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ

---

(١) آل عمران : (١٩) .
(٢) آل عمران : (٨٥) .
(٣) يونس : (٧٢) .
(٤) البقرة : (١٣١) .
(٥) يونس : (٨٤) .
(٦) المائدة : (١١١) .
(٧) النمل : (٤٤) .

الذين أسلموا للذين هادوا ﴾[١] .

٦ - **الدعوة لعبادة الله وحده :**

لقد بعث الله تعالى جميع الرسل والأنبياء لكي يأمروا الناس ويحثوهم ويرشدوهم إلى عبادة الله وحده ، لا شريك له ، ولا شريك معه .

والعبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فهذه العبادة : لابد أن تصرف لمن يستحقها ، وهو الله جل جلاله ؛ لأنه هو الخالق لهذا الإنسان ، وهو الذي رزقه . وهو الذي يميته ، وهو الذي سوف يبعثه ، وهو الذي سوف يحاسبه ، فكيف يَعبد هذا الإنسان غير هذا الإله . ولذلك نجد أن دعوة كل الأنبياء والمرسلين الأصل فيها هو الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وصرفها عمن سواه ، وبيان أن هذا هو حق الله على العباد .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾[٢] .

فبيّن سبحانه وتعالى أن المقصود والغاية من خلق الجن والإنس أن يحقّقوا تلك العبودية التي أرادها الله سبحانه وتعالى لنفسه ، فهي حقه على خلقه ، وذلك كما جاء في حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له : « **حَقُّ اللهِ عَلى العبادِ أن يَعْبُدُوه ولا يُشرِكُوا به شَيْئًا** »[٣].

وقال الله تعالى آمرًا نبيه ﷺ بالعبادة : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[٤] .

وأخبر سبحانه عن الذين أُوتوا الكتاب أنهم أُمروا بالعبادة وأن يتركوا الشرك ويميلوا عنه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

---

(١) المائدة : (٤٤) .
(٢) الذاريات : (٥٦ : ٥٧) .
(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (حق الله على العباد) .
(٤) الزمر : (٦٦) .

حُنَفَاءَ ﴾[(١)] .

والآيات في القرآن الكريم كثيرة جدًا تبيّن أن هؤلاء الرسل والنبيين إنما جاءوا ليدعوا الناس لعبادة الله تعالى وعدم الشرك به .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[(٢)] .

وقال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[(٣)] .

وأخبر سبحانه وتعالى عن (**نوح عليه السلام**) قوله لقومه وأمره لهم بعبادة الله وعدم اتّخاذ غيره شريكًا معه في العبادة : قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[(٤)] .

والدعوة إلى عبادة الله وحده هي أيضًا دعوة (**هود عليه السلام**) لقومه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[(٥)] .

وعبادة الله أيضًا هي الصيحة التي نادى بها (**صالح عليه السلام**) في قومه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[(٦)] .

وما كان (**لشعيب عليه السلام**) أن يدعو لغير ما دعا إليه إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، فهو الذي بعث إلى مدين لكي ينهاهم عن الغشّ والتّطفيف والإفساد في الأرض ، ولكي يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، قال الله

(١) البينة : (٥) .
(٢) الأنبياء : (٢٥) .
(٣) النحل : (٣٦) .
(٤) الأعراف : (٥٩) .
(٥) الأعراف : (٦٥) .
(٦) الأعراف : (٧٣) .

تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[1] .

وهكذا كانت دعوة كل هؤلاء الأنبياء والمرسلين هي إرشاد العباد إلى عبادة الله وحده وألّا يشركوا معه أحدًا من خلقه ، وأن يُحقّقوا هذه العبودية التي أرادها الله لنفسه ، والتي خُلقوا من أجلها .

وهذه العبادة هي من أظهر الأمور التي تفرّق بين الإيمان والكفر ، وبين حزب الشيطان وحزب الرحمن ، وهي التي كان عليها الخلاف بين الرسل وأممهم ، من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ ، فصرْف العبادة لغير الله تعالى ، أو لأحدٍ آخر مع الله تعالى ، هو كفرٌ وشرك ، فكانت دعوة الرسل جميعًا هي تخليص العبادة لله وحده ، دون سواه ، وأن يخرج الناس من عبادة الناس لعبادة ربّ الناس ؛ فإن الذي خلق هو الأحقّ بالأمر والعبادة على خلقه أجمعين ، قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] . فيُدلّل الله تعالى على أحقّيّته في (الأمر) المتمثل في (افعل ولا تفعل) أي (الأمر والنهي) : يُدلّل على أحقيته في ذلك بأنه الخالق ، بل هو رب العالمين ، فمن خلق وربّى فهو أحقّ بالعبادة ، فلا يُعْبَدُ سواه في ملكه . ولا يتجرّأ على الكفر به وإشراك معه غيره ، إلا كلُّ ظالمٍ لنفسه ، فاقد لعقله ، خاسرٍ لدينه ودنياه وبئس القرار .

٧ - معجزات الرسل والأنبياء :

لقد شاء الله تعالى أن يبعث في خلقه أنبياء ومرسلين ، وذلك لكي يُعَرِّفوهم كيفية عبادة الله تعالى ، ويدُلُّوهم على طريق الاستقامة الذي يُوصِّلهم إلى رضوان الله ورحمته ، وأيضًا أرسلهم لكي يُقيموا الحجة على خلقه ، وذلك لئلّا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل .

ولما كان ذلك كذلك ، أراد الله سبحانه وتعالى أن يقيم البرهان الساطع

---

(١) الأعراف : (٨٥) .
(٢) الأعراف : (٥٤) .

والدليل القاطع على صدق هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، مخاطبًا بذلك العقل الذي خلقه في الإنسان ، وجَعَلَه مناط التكليف ، فهذا العقل الذي فطره الله على التَّمْييز بين الغثّ والسمين ، وبين الطّيِّب والخبيث ، وبين الخير والشر ، إنه ليدرك بفطرته هذه المعجزات ، التي هي من عند الله تعالى ويعجز عن مثلها البشر ، فما يكون من ذلك الإنسان صاحب هذا العقل السليم السوي الصحيح إلّا أن يسلِّم ويرضخ لأمر الله تعالى ، وذلك عن اقتناعٍ وعن تفكير وإمعان ورويَّة .

لأن هذا العقل هو من صنع الله تعالى ، وهذه الرسالات وهذه المعجزات هي من عند الله تعالى ، [فلا يتعارض خلق مع دين الله] .

ولقد تعدَّدَتِ المعجزاتُ واختلفتْ، وذلك حَسَب الزمان والمكان وطبائع الناس الذين بُعِث فيهم رسولهم ، وكانت السِّمة الغالبة في هذه المعجزات أن تكون فيما برع فيه أهلُ هذا الزمان؛ حتى يفهموها ويعوها، وتكون أبلغ في التعجيز. وأيْقَن في نفوس الناس أنها من عند الله تعالى، تصديقا لهذا النبي وذاك الرسول.

فمثلًا : لقد بعث **موسى عليه السلام** في قوم فشا فيهم السحر وانتشر ، وبرعوا فيه وبلغوا الذِّروة ، فكانت معجزته الكبرى - عليه السلام - هي قلْب العصا حيَّةً تسعى وتَلْقَف ما حولها .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

وأما عيسى - عليه السلام - فلقد برع قومه في الطِّبِّ وبلغوا فيه مبلغًا ، فكان من أبرز معجزاته إحياء الموتى بإذن الله ، وإبراء الأَكْمَهِ والأبرص بإذن الله ، وأيضا كان يخبرهم (بما يأكلون وبما يدَّخِرون في بيوتهم) .

قال الله تعالى مُخْبِرًا عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ

---

(١) الشعراء : (٤٥ : ٤٧) .

فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١].

أما سيدنا محمد ﷺ فلقد بُعثَ إلى قومٍ أهلِ لغةٍ ، وعندهم من البديع والبيان ما يفوق الوصف ، وما يحار له العقل ، فلقد برعوا في البلاغة ونظْم الكلام شِعْره ونثره ، فكانوا أصحاب حسٍّ مُرْهفٍ ، وذوقٍ رفيع ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن تكون أكبر وأعظم معجزة لرسولنا محمد ﷺ هي القرآن الكريم ، الذي هو حروف كلامهم ، ولكنْ لا يستطيعون الإتيان بجزءٍ ضئيلٍ من آياته الكريمة ، ولذلك تحدَّاهم الله تعالى في كتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٢] .

بل أكثر من هذا ، لقد تحدَّاهم الله أن يأتوا حتى ولو بعشر سورٍ ؛ وذلك لأنهم ادَّعوا أن هذا القرآن من صنع البشر ، ولكنَّهم عجزوا أيضًا لأنه كلام رب العالمين ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٣] .

فلم يكن من هؤلاء الجاحدين إلا النَّظْر إلى بعضهم البعض، يعلوهم العجز، وتغشاهُمُ الخيبة ، فيزيد الله البرهان على افترائهم الكذب على الله ، وذلك بادِّعائهم أن القرآن مُفْتَرى ، فتحدَّاهم الله تعالى أن يأتوا حتى بمجرَّد سورةٍ واحدةٍ مثل سور القرآن الكريم ، فكان هذا التَّحدِّي هو التعرية لهم وبيان كذبهم وافترائهم ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٤] .

---

(١) آل عمران : (٤٩) .
(٢) الإسراء : (٨٨) .
(٣) هود : (١٣) .
(٤) يونس : (٣٨) .

○ محمد ﷺ خير البرية ○

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى على الثقلين جميعًا (الجن والإنس) بأن بَعَث فيهم خير البرية وكاشف الغُمَّة ، وماحي الظلمة ، ومخرجهم من الظلمات إلى النور ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي ، المنحدر من صُلْب إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم .

فلقد فضَّله الله تعالى على جميع أنبيائه ورسله ، وخصَّه بما لم يَخُصّ به غيره ، فجعله خير خَلْقِه على الإطلاق ، وجعل أمته خير أمةٍ أُخرجت للناس ، فهو حبيب الرحمن ، وأفضل عباده المصطفين الأخيار ، وهو أول من ينشقّ عنه القبر يوم القيامة ، وأول من يجتاز الصراط ، وأول شافع ، وأول مشفَّع ، وأول من يُفتح له أبواب الجنة .

قال رسول الله ﷺ : « **أنا سيِّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القِيامةِ ، وأوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عنه القبرُ يومَ القيامةِ ، وأوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ** »[1].

فلتسعد كل البشرية ، بل كل العالمين بميلاد هذا النبي العظيم ﷺ ، فإن مولده تخليصٌ للبشرية من ظلمات الشرك والكفر والإلحاد ، ودخولهم في نور الإيمان ومغفرة الرحمن ، وتوديعٌ للظلم والجاهليات واستقبالٌ لمولد عهد العدل والإنصاف ، واتِّصال الأرض بالسماء عن طريق جبريل عليه السلام ، فطوبى لمن كان من أتباع النبي العدنان - فهو من حزب الرحمن - وحربًا على الشيطان ، محبًا لعباد الرحمن ، سيفًا مسلولًا على أولياء الشيطان .

فمحمد ﷺ مفخرة للبشرية جمعاء ، بل إن الأرض لتشرئب بعنقها فخرًا لأن محمدًا ﷺ وَطِئَها بقدميه ، والسماء تُعْلِن عن عزها وفخرها وغبطتها وسعادتها لأنها أظلَّتْ محمد بن عبد الله ﷺ ، فهو خير الأنبياء ، وأمته خير الأمم جمعاء ، فلا جنة إلا بالإيمان به ، ولا دخول للجنة إلا خلفه ، ولا انصراف من الموقف إلا بعد شفاعته ، ولا دين إلا ما جاء به ، ولا عِزّ إلا باتباعه ولا شرف

---

(١) رواه مسلم (كتاب الفضائل) باب تفضيل النبي ﷺ على جميع الخلائق .

إلا في نهجه . جعلنا الله تعالى من أمته والسائرين على سنته المقتفين لأثره ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

١ - عالمية الرسالة :

لقد كان كل رسولٍ وكل نبي يأتي إلى قومه خاصة ، وفي فترة محدَّدةٍ من الزمان ، ولنوعيَّةٍ خاصَّةٍ من البشر ، ويأتي لهم بالتشريع الذي يناسبهم ، وذلك لعلم الله تعالى أنه سيأتي بعده أناس آخرون ورسلٌ جدد ، وشرعٌ جديد يلائم غيرهم من البشر .

ولما كان في علم الله تعالى أن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلقد بعثه الله تعالى إلى كل الناس ، وإلى الجن ، وإلى كل زمان وإلى كل مكانٍ ، فإن رسالته ﷺ تتَّسم بالعالمية، وإنها باقية إلى يوم القيامة، فهي المنهج والشريعة، وهي الحاكمة إلى يوم الدين :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] .

وأيضًا نرى هذه العالمية في الرسالة، ونلمحها في أحاديث رسول الله ﷺ، فلقد أخبر بذلك في أكثر من حديثٍ يُبيِّن أنه بُعث للناس كافةً وللإنس والجن ، ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة :

قوله ﷺ : « فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍ ؛ أُعْطِيتُ جوامعَ الكَلِم ، ونُصِرتُ بالرُّعْبِ ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغنائمُ ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ طَهُورًا ومَسْجدًا ، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً ، وخُتِمَ بِيَ النَّبيونَ »[4].

---

(١) الأعراف : (١٥٨) .

(٢) سبأ : (٢٨) .

(٣) الأنبياء : (١٠٧) .

(٤) رواه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) باب (أول كتاب للساجد) .

* **وقفة مع عالمية الرسالة :**

فعالمية الرسالة تضعنا – نحن المسلمين – أمام مسئولية عظيمة نحملها على عاتقنا ، فنحن ورثة محمدٍ بن عبد الله ﷺ ، فكما بُعث هو للعالمين ﷺ فنحن مُكَلَّفون بتوصيل وتبليغ رسالته لكل العالمين ، ونشرها في أرجاء المعمورة ، وتوصيلها لكل مخلوقٍ على وجه الأرض ، حتى لا نكون مِمَّن خان الأمانة وضيَّع الرسالة ، وحتى لا يُحَاجّنا كثيرٌ من الخلق أمام الله تعالى إذا نحن لم نُوصِّل لهم هذا الدين ، ولم نُعَرِّفهم العقيدة ، ولم نأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة والفلاح والرشاد ، فيجب علينا بذل الجهد وتسخير النفس والمال ، وتَحَمُّل كل المشاق في سبيل نشر دين الله تعالى ، وكفانا شرفًا أننا نعمل بعمل الأنبياء صلوات الله عليهم ، ونبتغي الأجر والمثوبة من الله تعالى ، وإن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملًا .

٢ – خاتم الأنبياء والمرسلين :

لقد شاء الله تعالى أن يكون نبيُّنا محمدٌ ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن تكون رسالتُه خاتمةَ الرسالات ، وأن تكون شريعته هي الحاكمة إلى يوم الدين ، ولذلك جَعَل الله تعالى هذه الشريعة صالحةً لكلّ زمانٍ ومكانٍ ، ولكل الناس مع اختلاف ألوانهم ، وألسنتهم ، وأجناسهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وذلك لأن الله تعالى يعلم أنه لن يأتي رسول من بعد محمدٍ ﷺ ، ولن ينزل شرعٌ آخر بعد الشريعة الإسلامية الغرَّاء ، قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] .

ويبين لنا الرسول ﷺ ذلك الأمر بأنه هو المُتَمِّم والخاتم لهذه الرسالات وهؤلاء الرسل :

قال رسول الله ﷺ : « **مَثَلي ومَثَلُ الأنبياءِ من قَبْلي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بنى بيتًا فأحْسَنَهُ وجَمَّلَهُ ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ واحِدةٍ ، فجَعَلَ النّاسُ يطوفون به ويَعْجَبُون**

(١) الأحزاب : (٤٠) .

لَهُ ، ويقولونَ : هَلَّا وضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ ؟ فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتمُ النبيِّين »[1].

وكان النبي ﷺ دائمًا يُقرِّر أنه عبد الله ، ويفتخر بتلك العبودية ، وأيضًا يؤكِّد على أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ونرى ذلك واضحًا في هذا الحديث الشريف، حيث يقول النبي ﷺ : « إني عَبْدُ اللهِ وخاتمُ النبيِّين وإنَّ آدمَ لمُجَنْدَلٌ في طِينتِهِ »[2].

والنبي ﷺ يؤكِّد ذلك وبصورة جليَّةٍ ، وبألفاظ صريحةٍ واضحةٍ ، حتى لا يكون هناك عذرٌ عند أحدٍ من خلق الله، ، فلقد أقام عليهم الحجة ، وتركهم على المحجَّةِ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلَّا هالكٌ .

قال رسول الله ﷺ : « إن الرسالةَ والنُّبوَّةَ قدِ انقطعتْ ، فلا رسولَ بعدِي ولا نبيَّ »[3].

وقال ﷺ : « إنَّ لي أسماءً : أنا مُحمَّدٌ ، وأنا أحمدُ ، وأنا الماحي ، يمحو اللهُ بِيَ الكُفْرَ ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمي ، وأنا العاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ »[4].

ولقد مر علينا أيضًا قول النبي ﷺ : « فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستٍّ :.... وخُتِمَ بِيَ النبيُّون »[5].

ومن هذه الأدلة يجب الاعتقاد الجازم أن سيدنا محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين ، فلا حلال إلَّا ما أحلَّه ، ولا حرام إلَّا ما حرَّمه ، ولا دين إلَّا ما شرعه ، وهو رسول الله إلى خلقه كافةً إلى يوم الدين .

---

(١) رواه البخاري (كتاب المناقب) باب (خاتم النبيين ﷺ) . ومسلم (كتاب الفضائل) باب (كونه ﷺ خاتم النبيين) .

(٢) رواه البخاري في التاريخ ، وأحمد وابن حبان وصححه .

(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه .

(٤) رواه مسلم (كتاب الفضائل) باب (أسمائه ﷺ) .

(٥) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) باب (أول كتاب المساجد) .

٣ - وجوب الإيمان به واتّباعه :

مما تقرّر سابقًا ثبت أن الرسول ﷺ هو مبعوث من عند الله ، وللناس أجمعين ، بل للإنس والجن معًا ، ويجب الإيمان به ، ولا يَسَعُ أحدًا سمع به الخروجُ عليه ، فالإيمان به واجب ، واتّباعه فَرْضٌ وحَتْمٌ ، فلا يصحُّ إيمان العبد ولا إسلامه ، ولا يُقْبَل منه أيُّ عمل - ولو أنفق مثل جبل أُحُدٍ ذهبًا - ما لم يؤمن بمحمد ﷺ.

قال الله تعالى آمرًا كلَّ الخلق بالإيمان بمحمد ﷺ واتّباعه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[(١)] .

وقال الله تعالى مؤكّدًا وجوب إيمان العالمين بمحمد ﷺ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[(٢)] .

وقال الله تعالى مُثْبِتًا نبوّته ورسالته ﷺ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[(٣)] .

وهذا الإثبات يُوجِب الإيمان به ﷺ ، فمن لم يؤمن به فهو كافر ، وتحرم عليه الجنة ، فهي محرّمةٌ على الكافرين ، وهو خالدٌ في النار ، وذلك لصريح الآيات التي تأمر وتفرض الإيمان به ﷺ ، وأيضًا لأن النبي ﷺ داخلٌ في عموم الرسل الذين أوجب الله الإيمان بهم ، وعدُّ عدم الإيمان بهم - أو بأحدٍ منهم - كفرًا يُخْرِج من الملة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[(٤)] .

ولقد صرَّح النبي ﷺ أيضًا بأنه لا بد لجميع من يسمع به أن يؤمن به وينصاع له ، سواءٌ أكان من أهل الكتاب أو من غيرهم ، فالكل يتساوى في التكليف ، قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسُ محمَّدٍ بيَدِهِ ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأُمّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أُرسِلْتُ به ،**

---

(١) النساء : (١٧٠) .
(٢) الفرقان : (١) .
(٣) الفتح : (٢٩) .
(٤) النساء : (١٣٦) .

إلا كانَ من أصحاب النارِ »[١].

وفي حديث آخر يُعلّق النبي ﷺ دخول الجنة على طاعته ، ومن لم يُطِع الرسول ﷺ فقد حُرِمَ من الجنة ونعيمها ، قال رسول الله ﷺ : « **كُلُّكم يدخُلُ الجنةَ إلا من أبى** » . قال : ومَنْ يأبى يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « **مَنْ أطاعني دخلَ الجنةَ ، ومَنْ عصاني فقد أبى** »[٢].

وعلق أيضًا الرسول ﷺ طاعة الله سبحانه وتعالى على طاعته ﷺ ، حيث قال : « **مَنْ أطاعني فقد أطاعَ اللهَ ، ومَنْ عصاني فقد عصى اللهَ ، ومَنْ أطاعَ أميري فقد أطاعني ، ومَنْ عصى أميري فقد عصاني** »[٣].

وهذه الأحاديث كلها تأكيدٌ لقول الله الذي يأمر فيه الناس جميعًا لأن يطيعوا الرسول ﷺ ، وأن طاعته ﷺ طاعةٌ لله سبحانه وتعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٤] .

فإن الله عز وجل في هذه الآية الكريمة يشترط أن من يُطيع الرسول ﷺ أنه قد أطاع الله تعالى .

والتعبير القرآني عن طاعة الرسول ﷺ بصيغة المضارع هنا – في فعل الشرط (يطع) – به من الجمال والعظمة ما لا يعلمه إلا الله ، وصيغة المضارعة هنا – والله أعلم – لتفيد وجوب ولزوم استمرارية طاعة الرسول ﷺ دائمًا دون انقطاعٍ ، فهي ليست فعلًا يُفعَل ثم يُترَك أو يُهمَل ، بل يجب ملازمة الطاعة وكأنها مستمرة باستمرارِ حياةِ الإنسان . **وأيضًا** نجد جواب الشرط بدأ بالفاء التي تفيد العطف مع التعقيب ، **وأيضًا** وقوع (قد) في جواب الشرط يفيد التحقيق والتأكيد على أنها طاعة لله تعالى .

إطاعة الرسول ﷺ تدخل المسلم في دائرة طاعة ربه : وأيضًا نجد جواب

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ).
(٢) رواه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) باب (الاقتداء بسنة النبي ﷺ).
(٣) رواه البخاري (كتاب الجهاد) باب (السمع والطاعة للإمام) .
(٤) النساء : (٨٠) .

الشرط وهو (أطاع) جاء هكذا بالماضي ، فإن من يطع الرسول ﷺ فقد فرغ وانتهى أمره ، ومضى حكم الله أنه قد أطاع الله . والله أعلم .

٤ – من معجزات نبينا محمد ﷺ :

لقد بعث الله نبينا محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ولو جحد الجاحدون ، لأن الله قد ارتضاه نبيًّا ورسولًا وارتضى دينه شريعةً ومنهاجًا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[1].

ولذلك فقد أيده الله تعالى بمعجزات جمَّةٍ وعظيمة كلها تشهد بأنها من عند الله تعالى، وأن صاحبها نبي الله ورسوله، وذلك حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد هؤلاء الرسل .

ومن أعظم المعجزات وأخلدها هي (معجزة القرآن الكريم) .

أ – معجزة (القرآن الكريم) :

كلام الله إلى خلقه . أنزله على نبيه ورسوله محمد ﷺ عن طريق الوحي وبواسطة جبريل عليه السلام . والجدير بالذكر أن كل رسول كانت له معجزات وكانت له شريعة ومنهج وكتاب ، ولكن المعجزة غير الكتاب الذي يدعو إليه .

ولكن النبي ﷺ كانت أعظم معجزاته وهي (القرآن الكريم) هي نفسها الكتاب المُنزل عليه ، وذلك لكي تكون هذه المعجزة حيّة ، نابضة ، يراها ويحسُّها كل إنسانٍ إلى يوم القيامة ، وذلك لأن القرآن الكريم هو آخر كتاب سماوي لهؤلاء الخلق ، فلن يأتي بعده أي كتاب يَنْسَخُه ، فأراد الله أن يري هذه المعجزة كل من أراد، وذلك بخلاف معجزات باقي الرسل والأنبياء، فإن معجزاتهم كانت محصورة فقط فيمن يراها من قومهم ، بل قد يكون من هو في عصر وزمن هذا النبي أو ذاك الرسول ولم ير معجزته . وهذه الخاصية لكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) دون غيره من الكتب .

---

(١) آل عمران : (١٩)

ب الإسراء والمعراج :

أيضًا من معجزات النبي ﷺ حادثة الإسراء والمعراج، حيث أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[١] ، وصلّى فيه بالأنبياء والمرسلين إمامًا، قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

ثم عُرِج به إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى ، وهنالك أوحى الله تعالى لعبده ما أوحى ، وهناك خلا الحبيب بحبيبه ، وناجى الرسول ﷺ ربه ، وأُعطي النبي ﷺ حينئذٍ ثلاث: أُعطي الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لا يشرك بالله شيئًا من أُمّته المقحمات[٣] .

وبعد ذلك رجع النبي ﷺ إلى فراشه وهو دافىء لم يبرد بعد .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[٤] .

جـ - انشقاق القمر :

أيضا من معجزات الرسول ﷺ (انشقاق القمر) قال الحافظ ابن كثير : « وهذا أمر متفقٌ عليه بين العلماء ، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ ، وأنه كان إحدى معجزاته الباهرات »[٥] .

قال الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[٦] .

---

(١) أين المسجد الأقصى الآن ؟ إنه أسير في أيدي اليهود يئنُّ أنينًا ، ويصرخ في وجوهنا قائلًا: لقد هان عليكم أُولى القبلتين ومَسْرى رسولكم! إني أشكو إلى الله أمثالكم !!!

(٢) الإسراء : (١) .

(٣) انظر صحيح مسلم (كتاب الإيمان) باب (الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات) .

(٤) النجم : (٨ : ١١) .

(٥) انظر تفسير ابن كثير (سورة القمر) .

(٦) القمر : (١) .

فعن أنس بن مالك ، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقّين ، حتى رأوا حِراء بينهما[١] ، فانشق القمر فرقتين ، فكان فرقة على جبل وفرقة على جبل، ورغم ذلك لم يؤمنوا، وما كان منهم إلّا الإعراض، بل رموا النبي ﷺ بالسحر ، وما ذلك إلّا اتباعًا للهوى وما تهوى الأنفس ، رغم الآيات البينات ، والحجج الواضحة ، والبراهين الساطعة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴾[٢] .

د – معجزات أخرى[٣] :

لقد ذكرنا نبذة مختصرة عن معجزات نبينا محمد ﷺ ، ولكن المعجزات كثيرة جدًّا ، كلها تدلُّ على صدق هذا النبي الكريم ، وأنه مبعوث من عند الله تعالى ، ومن هذه المعجزات أيضًا :

إخباره ﷺ بالمغيب :

فعن أبي حُمَيْد قال : قَدِمْنا تبوك فقال رسول الله ﷺ : « ستهُبُّ ريحٌ شديدةٌ » . فقام رجلٌ فحملَتْه الريحُ حتى ألقتْه بجبلَي طَيِّءٍ[٤].

خروج الماء من بين أصابعه ﷺ :

فعن أنسٍ ، أن النبيَّ ﷺ دعا بماءٍ ، فأُتِيَ بقَدَحٍ رَحْرَاحٍ ، فجعلَ القومُ يتوضئونَ فحزرْتُ ما بين الستين إلى الثمانين . قال : فجعلتُ أنظرُ إلى الماء ينبُعُ من بينِ أصابِعِهِ[٥].

---

(١) رواه البخاري (كتاب التفسير) تفسير سورة القمر باب (وانشق القمر) . ومسلم (كتاب صفة القيامة) باب (انشقاق القمر) .

(٢) القمر : (١ : ٧) .

(٣) يراجع معجزاته ﷺ في الصحيحين وفي كتب السنة الصحيحة .

(٤،٥) رواهما الإمام مسلم (كتاب الفضائل) باب (معجزات النبي ﷺ) .

بركته ﷺ مع أم مالك :

فعن جابر أن أمَّ مالكٍ كانت تُهدي للنبيِّ ﷺ في عكَّةٍ لها سمنًا ، فيأتيها بنُوها فيسألونَ الأُدْمَ ، وليس عندهم شيءٌ ، فتعمدُ إلى الذي كانت تُهدي فيه للنبي ﷺ فتجدُ فيه سمنًا ، فما زالَ يُقيمُ لها أُدْمَ بيتِها حتى عصرتْه ، فأتتِ النبيَّ ﷺ فقال : « عصرتِها » ؟ قالتْ : نعم . قالَ : « لو تركتيها ما زالَ قائمًا »[1].

حلول بركته ﷺ على الماء :

فعن مُعاذِ بن جبلٍ قالَ : خرجْنا مع النبيِّ ﷺ عامَ غزوةِ تبوك ... إلى أن قال : فجئناها والعينُ مِثْلُ الشِّراك تَبضُّ بشيءٍ من ماءٍ (معناه أن ماء العين قليل جدًّا) . قال : وغسلَ رسولُ اللهِ ﷺ فيه يديه ووجْهَهُ ، ثم أعاده فيها فجرَتِ العينُ بماءٍ منهمرٍ . أو قال : غزيرٍ ...[2].

٥ - من خصائص النبي ﷺ[3] :

أفضل الخلق عند الله الرسل ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ، وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[4] . وأفضل الرسل أولو العزم منهم ؛ وهم خمسة (نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد) عليهم الصلوات من الله والتسليم ، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه ؛ في الأحزاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[5] . وفي الشورى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[6] . وأفضلهم محمد ﷺ ؛ لقوله ﷺ :

(١، ٢) رواهما الإمام مسلم (كتاب الفضائل) باب (معجزات النبي ﷺ) .
(٣) انظر شرح لمعة الاعتقاد صـ ١٣٥ ، ١٣٧ .
(٤) النساء : (٦٩) .
(٥) الأحزاب : (٧) .
(٦) الشورى : (١٣) .

« أنا سيِّدُ الناسِ يومَ القيامة »[1]. وصلاتهم خلفه ليلة المعراج ، وغير ذلك من الأدلة ثم إبراهيم ؛ لأنه أبو الأنبياء ومِلَّته أصل المِلَل ، ثم موسى؛لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم ، ثم نوح وعيسى؛لا يجزم بالمفاضلة بينهما .

وقد اختُصَّ النبي ﷺ بخصائص ، منها :

١ - **خاتم النبيين** ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[2].

٢ - **سيِّدُ المرسلين** ؛ لقوله ﷺ : **« أنا سيِّدُ الناسِ يوم القيامة »**[1].

٣ - **لا يتمُّ إيمانُ عبدٍ حتى يؤمن برسالته** ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[3]. وغيره من الأنبياء يُبعثون إلى أقوامٍ معيَّنين ، كلٌّ إلى قومه .

٤ - **لا يُقضى بين الناس إلا بشفاعته .**

٥ - **سَبْق أمته الأمم في دخولها الجنة** ؛ لعموم قوله ﷺ : **« نحنُ الآخرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ »**[4].

٦ - **صاحب لواء الحَمْد يحمله ﷺ يوم القيامة ، ويكون الحامدون تحته** ؛ لحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : **« أنا سيِّدُ ولَدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فَخْرَ ، وما من نبيٍّ يومئذٍ : آدمَ فَمَنْ سواه ، إلَّا تحتَ لوائي ، وأنا أوَّلُ مَنْ تنشَقُّ عنه الأرضُ ولا فَخْرَ »**[5].

---

(١) رواه البخاري (كتاب التفسير) ، ومسلم (كتاب الإيمان) ، باب (الشفاعة) .
(٢) الأحزاب : (٤٠) .
(٣) النساء : (٦٥) .
(٤) رواه مسلم أول (كتاب الجمعة) .
(٥) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه ، وصححه الألباني في الصحيحة .

٧ - **صاحب المقام المحمود** ، أي العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق ؛ لقوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[1] . وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها .

٨ - **صاحب الحوض المورود** ، والمراد الحوض الكبير الكثيرُ واردوه ، أمَّا مجرَّد الحياض فقد ورد أن لكل نبي حوضًا .

٩ - **إمامُ النبيين وخطيبُهم وصاحبُ شفاعتهم** ، لحديث أُبي بن كعب أن النبي ﷺ قال : « **إذا كانَ يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النبيين وخطيبَهم وصاحبَ شفاعتهم غيرَ فَخرٍ** »[2] .

١٠ - **أمَّته خير الأمم** ؛ لقوله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾[3] .

* * *

(١) الإسراء : (٧٩) .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) آل عمران : (١١٠) .

الفصل الخامس
الإيمان باليوم الآخر

□ الفصل الخامس □

○ الإيمان باليوم الآخر ○

إن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، وعمود من أعمدة هذا الإيمان ، فلا يتم إيمان العبد ولا تصحّ عقيدتُه إلّا بعد أن يُحقِّق هذا الركن الركين ، وهو الاعتقاد الجازم الذي لا يدخله شكٌّ ولا ريب - بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه العزيز ، أو جاء على لسان نبينا محمد ﷺ عن ذلك اليوم وما يحدث فيه بما في ذلك (الساعة وعلاماتها ، القبر ونعيمه وعذابه ، والصراط ومحنته ، والصحف وتطايرها ، والميزان وانتصابه ، والجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ...) .

أولًا : أدلة الإيمان باليوم الآخر :

إن الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر كثيرة جدًا ، يأمر فيها الله عباده أن يؤمنوا بهذا اليوم وأنه حق ؛ قال الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] .

وتارة أخرى يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالإيمان بهذا اليوم ويعدنا عليه الأمن والبراءة من الحزن : قال الله تعالى : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] .

وأيضًا جاء الأمر بالإيمان باليوم الآخر في السنة المطهرة في أكثر من موضع بل عَدَّهُ النبي ﷺ ركنًا من أركان الإيمان ؛ وذلك في حديث جبريل عليه السلام

---

(١) البقرة : (١٧٧) .

(٢) البقرة : (٦٢) .

المشهور ، الذي يَسأل فيه جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإيمان فيجيب : « **الإيمانُ : أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والْيومِ الآخرِ وتؤمنَ بالقَدَرِ خيْرِهِ وشرِّهِ** »[1].

وتأكد من هذه النصوص وغيرها وجوب الإيمان باليوم الآخر ، وأنه ركن من أركان الإيمان وأن من أنكره أو جحده ، أو شك فيه وفي وقوعه فهو كافر خارج من الملة ، مرتدّ عن دين الله تعالى ؛ وذلك كما حكى القرآن الكريم عمَّن أنكروا البعث ، ووصمهم بالكفر ؛ قال الله تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[2] فلقد انسحب عليهم الكفر لإنكارهم يوم القيامة والبعث والنشور .

ثانيًا: الساعة وأشراطها :

المقصود بالساعة : هو يوم يخرج الناس من قبورهم ، بأمر ربهم ؛ ليُحاسَبوا ؛ فيَنْعَم محسنهم ، ويُعذَّب مسيئهم . وهذا اليوم ذُكِر بأكثر من اسم في القرآن الكريم ، منها : يوم القيامة ، القارعة ، يوم الحساب ، يوم الدين ، الطامَّة ، الواقعة ، الحاقَّة ، الصاخَّة ، الغاشية ...

١ - أدلة وقوعها :

وأدلة وقوعها كثيرة جدًا في كتاب الله تعالى ، وفي سنة النبي ﷺ والآيات والأحاديث في الإخبار عن وقوع ذلك اليوم كثيرة جدًا ، وهي متواترة في هذا الأمر ، ومن هذه النصوص :

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ

---

(١) رواه مسلم (من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) (كتاب الإيمان) باب تعريف الإسلام والإيمان .

(٢) التغابن : (٧) .

(٣) الحج : (٧) .

(٤) القمر : (١) .

ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [(١)].

وقال الرسول ﷺ يجزم بوقوعها ، ويُبيِّن اقترابها ، وأنها أوشكت على الوقوع ، بل إن مجرد بعثة الرسول ﷺ هي علامة على قربها .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتينِ . وأشار بأصبعيه السبَّابة والتي تليها** »[(٢)].

٢ – علاماتها :

إن ليوم القيامة ووقوع الساعة علامات وأمارات تدل على وقوعها ، ومن هذه العلامات : علامات صغرى ، وهي التي تكون قرب الساعة ، وتدل على اقترابها ؛ وعلامات كبرى وهي التي تكون بين يدي الساعة ؛ قريبة جدًّا منها .

○ (أ) العلامات الصغرى ○

العلامات الصغرى التي تدل على اقتراب يوم القيامة كثيرة جدًّا ، وكثير منها قد وقع في زماننا هذا، إن لم يكن أغلبها؛ فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة . ومن هذه العلامات الصغرى ما يلي :

١ – بعثة النبي ﷺ فهي من علامات القيامة؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتينِ . وأشار بأصبعيه السبَّابة والتي تليها** »[(٣)].

٢ – ومن أماراتها الصغرى أيضًا : ضياع الأمانة ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا ضُيِّعتِ الأمانةُ**

---

(١) طه : (١٥ : ١٦) .

(٢،٣) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب (بعثت أنا والساعة كهاتين)، ورواه مسلم (كتاب الفتن)، باب قرب الساعة .

فانتظرِ الساعةَ »(١).

٣ – ومن أماراتها أيضًا : زخرفة المساجد والتباهي بها والافتخار بمنظرها ؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقومُ الساعةُ حتى يتباهى الناسُ في المساجدِ** »(٢).

٤ – ومن أماراتها : انقلاب الموازين ، وتطاول الرعاة في البنيان ؛ ففي حديث عمر بن الخطاب سأل جبريل عليه السلام عن علامات وأشراط الساعة فقال له الرسول ﷺ : « **أنْ تلدَ الأَمَةُ رَبَّتها ، وأن ترى الحفاةَ العراةَ رعاةَ الشاءِ يتطاولونَ في البنيانِ** »(٣).

٥ – ومن هذه العلامات التي على وشك الوقوع إن شاء الله تعالى : هي مقاتلة اليهود وقتلهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تقومُ الساعةُ حتى يُقاتلَ المسلمون اليهودَ ؛ فيقتُلُهُمُ المسلمون حتى يختبىءَ اليهوديُّ من وراءِ الحجرِ والشجرِ ، فيقولُ الحجرُ والشجرُ : يا مسلمُ ، يا عبدَ اللهِ ، هذا يهوديٌّ خلفي ، تعالَ فاقتلْه ، إلا الغرْقَدَ فإنَّهُ من شجَرِ اليهودِ** »(٤).

٦ – إن العلامات الصغرى كثيرة جدًا ، ونذكر منها أيضًا على سبيل المثال : [**تقارب الزمان ، نقص العمل ، ظهور الفتن ، كثرة القتل ، كثرة الزنا والفسوق** ..].

○ (ب) العلامات الكبرى ○

إن العلامات الكبرى لوقوع الساعة هى التي تكون بين يديها ، وقريبة منها ، وتنذر ببدء وقوعها ؛ وسُمّيَتْ كبرى لشدة قربها من الساعة .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب رفع الأمانة ، ومسلم (كتاب العلم) باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه .

(٢) رواه أحمد ، راجع الفتح الكبير (٣ / ٣٣٥) .

(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب أمارات الساعة .

(٤) رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير) باب قتال اليهود .

وهذه العلامات الكبرى كثيرة ، وقد أخبر الرسول ﷺ عنها ، وفصَّل فيها القول ، وحددها تحديدًا واضحًا ، قال رسول الله ﷺ : « **إنها لن تقومَ الساعةُ حتى تَرَوْا قبلها عشرَ آيات** » . **فذكَرَ منها** : « **الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خَسْفَ المشرق ، وخسف المغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرجُ من اليمن ، تطردُ الناسَ إلى محْشَرِهم** »[1].

ومن هذه العلامات الكبرىٰ التي جاءت بها الأحاديث الصحيحة الصريحة عن النبي ﷺ ما يلي :

١ – خروج المهدي :

ولقد ورد ذكر المهدي في كثير من أحاديث الرسول ﷺ توضح وتخبر عن خروجه في الناس ، وذلك بعد ما يعم الأرض الظلم والفساد والطغيان ؛ فيأتي ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت جورًا وظلمًا .

وهو من سلالة النبي ﷺ ومن أبناء فاطمة رضي الله عنها ، وعلى خده شامة كأنها كوكب دري .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ ؛ لَطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يبعثَ اللهُ رَجُلًا مني ، أو قال من أهلِ بيتي،يُوَاطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أبيه اسمَ أبي ، يملأُ الأرضَ قِسْطًا وعدلًا كما مُلِئَتْ جَوْرًا وظُلْمًا** »[2].

٢ – خروج الدجال :

الدجَّال لغةً : صيغة مبالغة من الدجل وهو الكذب والتمويه .

الدجَّال شرعًا : رجل مموه : يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية[3].

---

(١) رواه مسلم (كتاب الفتن) باب (أشراط الساعة) .

(٢) رواه الترمذي (كتاب الفتن) وقال:حسن صحيح .

(٣) انظر شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (للشيخ محمد بن صالح العثيمين) .

وخروج الدجال أكبر فتنة يتعرض لها الناس، وذلك لما سوف يقدره الله على أيدي هذا الرجل من أمور خارقة للعادة ، يغتر بها ضعاف العقيدة ، الذين غلبت عليهم شقوتهم ؛ فيتبعونه ويكونون جندًا له ، وذلك لما يرون من الأمور التي يفعلها ليضل بها عباد الله ومنها : إنه ليأمر السماء فتمطر ، ويأمرها فتمسك ، ويأمر الكلأ فينبت ، ويُحيي الميت، فتتبعه كنوز الأرض ...

فكل هذه الأفعال التي يفعلها سوف تنهار وتتحطم على صخرة العقيدة الإسلامية لدى الذين صدقوا الله عز وجل ، ولا يزيدهم هذا الدجال وهذه الخرافات إلا رسوخًا في الإيمان ، حتى إنه كلما رأى الرجل المسلم صاحب العقيدة السليمة خوارق هذا الدجال قال له : والله ما يزيدني ذلك إلَّا كفرًا بك ، أنت الدجال الذي أخبرنا عنك الرسول ﷺ .

ومن صفات هذا الرجل أنه أعور وفي سن الشباب ، وشديد جعود الشعر ، وعينه طافية قد ذهب نورها ، وقد شبَّهه النبي ﷺ بعبد العزى بن قطن ، ومن الأحاديث التي وردت في شأن الدجال ما يلي :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما بُعِثَ نبيٌّ إلَّا أنذرَ أُمَّتَهُ الأعورَ الكذَّابَ ، ألَا إنه أعْوَرُ ، وإن ربَّكُمْ ليس بأعورَ ، وإنَّ بين عينيه مكتوبٌ : كافرٌ »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أُحَدِّثُكُم حديثًا عن الدجَّالِ ، ما حدَّثَ به نبيٌّ قومَهُ ؛ إنه أعْوَرُ وإنه يجيءُ معه بمثالِ الجنةِ والنارِ ، فالتي يقولُ إنَّها الجنةُ هي النارُ »[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يأتي الدَّجَّالُ وهو مُحَرَّمٌ عليه أنْ يدخُلَ أنقابَ المدينةِ فينتهي إلى بعض السِّباخِ ، فيخرجُ إليه رَجُلٌ هو يومئذٍ خيْرُ الناسِ أو من خيْرِ الناسِ ، فيقولُ : أشهدُ أنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حدَّثنا

---

(١) رواه البخاري (كتاب الفتن) باب (ذكر الدجال) .

(٢) رواه مسلم (كتاب الفتن) باب (ذكر الدجال) .

عنك رسولُ اللهِ حديثَهُ ، فيقولُ الدجّالُ : أرأيتم إنْ قتلتُ هذا ثم أحييتُهُ ، هل تشكُّونَ في الأمرِ ؟ فيقولون : لا ، فيقتُلُه ثم يُحييه ، فيقولُ حينَ يُحييه[1]: واللهِ ما كنتُ قطُّ أشدَّ بصيرةً من اليومِ ، فيقولُ الدجّالُ : أقتلُهُ ؟ ولا يُسلَّطُ عليه »[2].

٣ - نزول عيسى عليه السلام :

ينزل عيسى عليه السلام على المنارة البيضاء شرقي دمشق؛ فينزل واضعًا حالة نزوله كفيه على أجنحة ملكين وقت صلاة الصبح ؛ وينزل ليقتل الدجال ، ويدعو إلى دين الإسلام ، ويحكم به ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعوه الناس للصلاة بهم فيمتنع ؛ ويقول : إمامكم منكم ، فيتقدم المهدي فيصلي إمامًا بهم وبه ؛ وذلك إكرامًا لسيدنا محمد ﷺ وبيان أن جميع الأنبياء والمرسلين له تبعٌ ويأتون خلفه ، فهو قائدهم في الدنيا ، وسابقهم إلى الجنة يوم القيامة .

وهذا أيضًا فيه تكريم لهذه الأمة وهو أن يصلي نبي من أولي العزم خلف فرد من أمة محمد ﷺ فالحمد لله تعالى الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس ، وجعلنا من أمة محمد ﷺ .

والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام كثيرة جدًا وصحيحة ، ومنها ما يلي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : « والذي نفسي بيدِهِ لَيوشِكَنَّ أنْ ينزلَ فيكمُ ابنُ مريمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فيكْسِرُ الصليبَ ، ويقتُلُ الخنزيرَ ، ويضعُ الجزيةَ ، ويَفيضُ المالُ حتى لا يَقْبَلَهُ أحدٌ »[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يُقاتِلونَ على الحقِّ ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ ، فينزلُ عيسى

---

(١) الذي يقول هو الرجل المؤمن .

(٢) رواه مسلم (كتاب الفتن) باب (صفة الدجال) .

(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب نزول عيسى بن مريم حكمًا .

ابنُ مريمَ ، فيقولُ أميرُهُم : تعالَ صلِّ لنا ، فيقولُ : لا ، إن بعضَكم على بعضٍ أُمَرَاءُ . تكْرِمةَ اللهِ هذه الأُمّةَ »[1].

ويمكث عيسىٰ عليه السلام بعد قتل الدجال أربعين عامًا ، ثم بعد ذلك يتوفاه الله عز وجل، وبعد ذلك يصلي عليه المسلمون، وذلك لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إنَّ عيسى يبقى بعد قَتْلِ الدجَّالِ أربعينَ سنةً ، ثم يُتوفَّى ويُصلِّي عليه المسلمون** »[2].

٤ - يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان ، أو عربيان مشتقان من المأج ، وهو الاضطراب ، أو من أجيج النار وتلهبها .

وهما أُمتان من بني آدم موجودتان ، وذَكر القرآن الكريم قصتهما مع ذي القرنين وما فعل معهما ، وذكر أيضًا القرآن الكريم قصة السد الذي بناه ذو القرنين حاجزًا لهؤلاء الناس ؛ وقال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[3] .

ومن صفات هؤلاء البشر أنهم عراض الوجوه ، صغار العيون ، صهب الشعاف ، من كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المجان المطرقة .

وهم من سلالة آدم عليه السلام ، وذلك كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « **إنَّ اللهَ تعالى يقولُ : يا آدمُ ! فيقولُ : لبَّيك وسعْدَيْك ، فيقولُ : ابعثْ بَعْثَ النارِ ، فيقولُ : وما بَعْثُ النارِ ؟ فيقولُ : منْ كلِّ ألفٍ تسعُمائةٍ وتسعةٌ وتسعينَ إلى النارِ وواحدٌ إلى الجنةِ . فحينئذٍ يشيبُ الصغيرُ ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ، فقالَ**

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (نزول عيسى عليه السلام حاكمًا) .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) الكهف : (٩٣ ، ٩٤) .

إن فيكم أُمّتين ما كانتا في شيء إلا كثّرتاهُ : يأجوجُ ومأجوجُ »[1].

وفي رواية أخرى : « أبشِرُوا ، فإنَّ منكم واحدًا ، ومن يأجوجَ ومأجوجَ ألفًا »[2].

وقال بعض العلماء : إنهم من نسل (يافث) ولد نوح عليه السلام ، ويافث هذا أبو الترك ، وقالوا : إنما سمي هؤلاء تركًا لأنهم تُركوا وراء السد من هذه الجهة ، وإلا فهم أقرباء أولئك

ومن صفاتهم أنهم مفسدون في الأرض ، وسوف يشربون ماء بحيرة طبرية . قال الله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[3] .

قال ابن عباس وعكرمة وأبو صالح الثوري وغيرهم : أي يسرعون في المشي إلى الفساد في الأرض (والحَدَب هو المرتفع من الأرض)[4] .

٥ - خروج الدابّة :

الدابة لغة : هي كل ما دبَّ على الأرض ، سواء أكان حيوانًا أو إنسانًا أو أي شيء له دبيب على الأرض . ولكن المراد هنا بالدابة هي التي يخرجها الله تعالى قرب قيام الساعة للدلالة على قيامها واقترابها . .

وهذه الدابة لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ؛ يراها كل أهل جهة في جهتهم ، وتكتب بين عيني المؤمن مؤمنًا فيضيء وجهه ، وتكتب بين عيني الكافر كافرًا فيَسْوَدّ وجهه ، وتنادي المسلم يا مسلم ، وتنادي الكافر يا كافر .

حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق ويقولون : بكم ذا يامؤمن ؟ بكم هذا يا كافر ؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من

(١، ٢) رواه البخاري (الأنبياء) باب (قصة يأجوج ومأجوج) . ومسلم (كتاب الإيمان) باب(هذه الأمة نصف أهل الجنة) .

(٣) الأنبياء : (٩٦) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (سورة الكهف والأنبياء) .

كافرهم .

حتى إن الدابة تقول : يافلان ، أبشر أنت من أهل الجنة ، ويافلان ، أنت من أهل النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[١] .

أما كلامها ففيه أقوال :

قال ابن عباس والحسن وقتادة ويُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : تكلمهم كلامًا ؛ أي تخاطبهم مخاطبة .

وقال عطاء الخراساني – ويُروى أيضًا عن علي، واختاره ابن جرير–: إنها تقول لهم : « إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . قال ابن كثير رحمه الله : وفي هذا القول نظر لايخفى[٢] .

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين :

وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها ، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صِحَّتها نظر . وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك ، والله أعلم[٣] .

٦ – طلوع الشمس من مغربها :

إن من علامات الساعة الكبرىٰ أيضًا طلوع الشمس من مغربها ، وهذا إنذار ببدء تغير الكون ، وتَحَوُّل الأشياء عن أحوالها وأوضاعها التي أَلِفَها الناس ، فلسوف يتغير كل شيء ، وحينما يرى الناس هذه العلامة يدخلهم الفَزَع والهلع وما يكون منهم إلا أن يسارعوا كلهم بالإيمان والتوبة والندم ، ولكن هيهات لهم

---

(١) النمل : (٨٢) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (سورة النحل) .

(٣) انظر شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي (شرح صالح ابن عثيمين) .

هيهات ، لقد قُضِيَ الأمر ، ولن ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾(١) .

ولقد أخبر الرسول ﷺ عن طلوع الشمس من مغربها في أكثر من حديث مبينًا أنها من علامات الساعة الكبرىٰ التي لا يُقبل معها إيمان ولا توبة ولا ندم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **لا تقومُ الساعةُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها فإذا طلعتْ ورآها الناسُ آمَنُوا أجمعون ، وذلك حين** ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ »(٢) .

٧ – علامات أخرىٰ :

إن هناك علامات أخرىٰ أخبر عنها الرسول ﷺ تنذر أن بين يديها الساعة ونذكر منها على وجه السرعة : [**خروج نار على أرض الحجاز ، رفع القرآن الكريم من الصدور والسطور ، رجوع الناس كفارًا حتى إنهم ليعبدون الأصنام ، يغزو جيش من الحبشة الكعبة فيقتلعها حجرًا حجرًا ويستخرج كنوزها من تحتها ، لا يقال على الأرض : لا إله إلا الله ، تأخذ الأرض زينتها ويعطي الله القدرة لأهلها عليها ، تكلم السباع والإنس ، إتيان النساء في الطريق كالحمير ، قبض أرواح المؤمنين**] . ولقد ورد في هذه العلامات أيضًا أحاديث كثيرة وصحيحة عن النبي ﷺ .

فيجب الإيمان بكل هذه العلامات التي وردت عن النبي ﷺ عن طريق كتاب الله تعالى أو عن طريق السنة الصحيحة، فإنّ هذا جزء من عقيدة المسلم، وجزء من الإيمان التي امتدح الله تعالى من يتصف بصفة الإيمان بالغيب . فلا يحتاج العبد المسلم المؤمن الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا ، لا يحتاج هذا العبد لبراهين ولا معاينة ليؤمن بهذه الإخباريات ،

---

(١) الأنعام : (١٥٨) .

(٢) رواه البخاري (كتاب التفسير) سورة الأنعام باب (لا ينفع نفسًا إيمانها) ومسلم (كتاب الإيمان) باب (الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان) .

بل بمجرد ثبوتها عن رسول الله ﷺ ونقلها عنه فهي عند المؤمن في مكان العقيدة وكأنه يراها رأي العين ، فقد ترى البصيرة ما لا يراه البصر ، ويطمئن القلب لما يُرضي الرب، فصدق الرسول ﷺ فيما بلغ عن ربه ، ونحن على ذلك من الشاهدين .

○ حديث جامع بين الدجال والمسيح ويأجوج ومأجوج وغيرهم ○

لقد ذكر الرسول ﷺ حديثًا جمع فيه بين الدجال ، والمسيح ، ويأجوج ومأجوج وبعض العلامات الأخرىٰ التي هي من علامات الساعة الكبرىٰ ، مُبيّنًا فيه أوصافهم وأحوالهم ، وما سيحدث من هؤلاء جميعًا ، إنذارًا بقيام الساعة الكبرىٰ ، وإليك هذا الحديث الشريف :

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : « ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدجّالَ ذاتَ غداةٍ ، فرَفَّعَ فيه وخفَّضَ ، حتى ظننّاهُ في طائفةِ النخلِ ، فلما رحْنا إليه عرفَ ذلك فينا ، فقال : ما شأنُكم ؟ قلنا : يا رسولَ اللهِ ذكرتَ الدجّالَ غداةً ، فخفّضتَ فيه ورفّعتَ ، حتى ظننّاهُ في طائفةِ النخلِ . قال : غيْرُ الدَّجّالِ أخوَفُني عليكم ، إنْ يخرُجْ وأنا فيكم فأنا حَجيجُهُ دونَكم ، وإنْ يخرُجْ ولستُ فيكم فامْرؤٌ حجيجُ نفسِهِ ، واللهُ خليفتي على كلِّ مسلمٍ . إنّه شابٌّ قَطَطٌ[1]، عينُهُ طافِئةٌ[2]، كأنّي أُشبِّهُهُ بعبدِ العُزّى ابنِ قَطَنٍ ، فمَنْ أدرَكَهُ منكم فليَقْرأْ عليْهِ فواتحَ سورةِ الكهفِ ، إنّه خارجٌ خلَّةً[3] بينَ الشأمِ والعراقِ ، فعاثَ[4] يمينًا وعاثَ شمالًا ، يا عبادَ اللهِ ، فاثْبُتوا ، قلنا : يا رسولَ اللهِ ، وما لَبْثُهُ في الأرضِ ؟ قال : أربعونَ يومًا ؛ يومٌ كَسَنَةٍ ، ويومٌ كَشَهْرٍ ، ويومٌ كَجُمُعَةٍ ، وسائرُ أيّامِهِ كأيّامِكُم ، قلنا : يا رسولَ اللهِ ، فذلك اليومُ الذي كَسَنَةٍ ،

---

(١) شاب قطط : شديد جعودة الشعر .
(٢) عينه طافئة : أي ذهب نورها .
(٣) خلة : أي : طريقًا .
(٤) عاث أي : أفسده والعيث شدة الفساد .

أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ ؟ قال : لا ، اقْدُروا له قَدْرَهُ ، قلنا : يا رسولَ اللهِ ، وما إسراعُهُ في الأرضِ ؟ قال : كالغيثِ استدبَرَتْهُ الرِّيحُ . فيأتي على القومِ فيدعُوهم ؛ فيؤمنونَ به ويستجيبونَ له ، فيأمرُ السماءَ فتُمطِرُ ، والأرضَ فتُنبتُ ، فتَرُوحُ عليهم سارِحَتُهم أطْوَلَ ما كانتْ ذُرًا[1]، وأسبَغَهُ ضُرُوعًا ، وأمَدَّهُ خواصِرَ ، ثم يأتي القومَ فيدعُوهم فيرُدُّونَ عليه قولَه ، فينصرفُ عنهم ، فيُصبِحُون مُمْحِلينَ ليسَ بأيدِيهم شيءٌ من أموالِهم ، ويَمُرُّ بالخَرِبَةِ فيقولُ لها : أخرجي كنوزَكِ . فتتبعُهُ كنوزُها كيَعَاسيبِ[2] النَّحلِ ، ثم يدعو رَجُلًا مُمتلِئًا شبابًا ، فيضربُه بالسيفِ فيقطعُهُ جَزْلَتينِ[3] رَمْيَةَ الغرضِ ، ثم يدعوه فيُقبِلُ ويتهلَّلُ وجهُهُ ، يضحَكُ ، فبينا هو كذلك إذ بعثَ اللهُ المسيحَ ابنَ مريمَ فينزلُ عند المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دِمَشْقَ بينَ مَهْرُودَتَيْنِ[4]، واضعًا كَفَّيْهِ على أجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، إذا طأطأَ رأسَهُ قَطَرَ ، وإذا رفعَهُ تَحدَّرَ منه جُمَانٌ كاللؤلؤِ فلا يَحِلُّ لكافرٍ يجدُ ريحَ نَفَسِهِ إلا ماتَ ، ونَفَسُهُ ينتهي إلى حيثُ ينتهي طَرْفُهُ ، فيطلبُهُ حتى يُدرِكَهُ ببابِ لُدٍّ فيقتُلُهُ ، ثم يأتي عيسى ابنَ مريمَ قومٌ قد عصمَهُمُ اللهُ منه ، فيمسحُ عَنْ وجوهِهِم ويُحدِّثُهم بدَرَجَاتِهِم في الجنَّةِ ، فبينا هو كذلك إذْ أوحى اللهُ إلى عيسى : إنِّي قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدَانِ لأحدٍ بقِتالِهِم فحرِّزْ عبادي إلى الطُّورِ ، ويَبعثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ ، وهُمْ من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فيَمُرُّ أوائِلُهم على بُحَيْرَةِ طبريَّةَ ، فيشربون ما فيها ، ويمُرُّ آخِرُهُم فيقولون : لقد كانَ بهذهِ مرَّةً ماءٌ . ويُحصَرُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُهُ ، حتى يكونَ رأسُ الثَّوْرِ لأحدِهِم خيرًا من مائةِ دينارٍ لأحدِكُمُ اليومَ . فيرغبُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُهُ ، فيرسِلُ اللهُ عليهِمُ النَّغَفَ[5] في رقابِهِم ، فيُصْبِحون فَرْسَى[6] كَمَوْتِ

---

(١) ذُرًا : يعني أسنمة .

(٢) يعاسيب النحل : ذكرها .

(٣) جزلتين : قطعتين .

(٤) مهرودتين : المهرودة الثوب المصبوغ .

(٥) النغف : دود يكون في أنوف الإبل وفي رؤوسها .

(٦) فرسى : جمع فريس يعني يموتون موتة واحدة .

نفسٍ واحدةٍ ، ثم يَهبطُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُهُ إلى الأرضِ ، فلا يجدونَ في الأرضِ موضعَ شبْرٍ إلا مَلأَهُ زَهَمُهُم[1] ونَتْنُهُمْ ، فيرغبُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُهُ إلى اللهِ ، فيُرسِلُ اللهُ طيْرًا كأعناقِ البُخْتِ فتحمِلُهم ، فتطرحُهم حيثُ شاءَ اللهُ ، ثم يُرسلُ اللهُ مطرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ؛ فيغسِلُ الأرضَ حتى يتركَها كالزَّلقةِ[2] ، ثم يُقالُ للأرضِ : أنبتي ثمرتَكِ ، ورُدِّي بركتَكِ ، فيؤمئذٍ تأكلُ العِصَابةُ من الرُّمَّانةِ ، ويستظِلُّونَ بِقحْفِها ، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ[3] ، حتى إن اللِّقْحَةَ من الإبلِ لَتكفي الفِئامَ من الناسِ ، واللِّقْحَةَ من البقرِ لَتكفي القبيلةَ من الناس ، واللِّقْحَةَ من الغنمِ لَتكفي الفَخِذَ من الناسِ ، فبينما هم كذلك إذ بعثَ اللهُ رِيحًا طيِّبةً ؛ فتأخُذُهم تحتَ آباطِهم ؛ فتقبضُ رُوحَ كلِّ مُؤمنٍ وكُلِّ مُسلمٍ ، ويبقى شِرارُ الناسِ ؛ يَتَهارجُونَ[4] فيها تَهَارُجَ الحُمُرِ ، فعليهم تقومُ الساعةُ »[5].

○ ثالثًا : فتنة القبر وعذابه ونعيمه ○

١ - حتمية الموت :

إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وحكم عليهم بالفناء ، وكتب لنفسه جلَّ وعلا البقاء ، فالبقاء والدوام من صفات الإله ، والفناء والعدم من خصائص المخلوقات ؛ قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[6]

---

(١) زهمهم : دهن أجسامهم .
(٢) الزلقة : المرآة .
(٣) الرسل : اللبن ، واللقحة : اللبون .
(٤) يتناكحون كالبهائم أمام بعضهم البعض .
(٥) رواه مسلم (كتاب الفتن) باب ذكر الدجال .
(٦) الرحمن : (٢٦ - ٢٧) .

فالله عز وجل خلق الإنسان من التراب ، وحكم عليه أن يرجع مرة أخرى إلى التراب ، وإن طال عمره ، وإن مَدَّ الله له في أجله . قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[١] . فلابد من اليوم الذي يوافي فيه المرء أجله ، ويلاقي ربه ؛ فليعمل المسلم لهذا اليوم ، الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم . فيجب على المسلم أن يفيق من غفلته ، ويستيقظ من نومته ، ويستعد لليوم الذي يفارق فيه الأهل والأحباب ، ويترك المال والدار ، ويرحل من دار الفناء ، ليستعد لدار البقاء ، فليس هناك إلَّا جنة أو نار . قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[٢] .

قال بعض الحكماء :

ألا أيها النـــاسي رحيلَـــه	أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوي بالظاعنين إلى البلى	وقد تركوا الدنيا جميعًا كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة	وما عمروا من منزل ظل خاليا
وهم في بطون الأرض صرعى جَفَا	هُمُ صَدِيقٌ وخِلٌّ كان قبل موافيا
وأنت غدًا أو بعده في جوارهم	وحيدًا فريدًا في المقابر ثاويا
جفاك الذي قد كنت ترجو وداده	ولم تر إنسانًا بعهدك وافيـا
فكن مستعدًا للحمام[٣] فإنـه	قريب ودع عنك المنى والأمانيا[٤]

٢ – فتنة القبر :

الفتنة لغة : هي من الاختبار والابتلاء[٥] .

وشرعًا : هي سؤال الميت في قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه .

---

(١) طه : (٥٥) .
(٢) ق : (١٩ – ٢٢) .
(٣) الحمام : الموت .
(٤) نقلا عن كتاب اليوم الآخر (عبد القادر الرحباوي) .
(٥) انظر المعجم الوسيط .

وهذه الفتنة وهذا السؤال ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، والأدلة على ذلك متظافرة وكثيرة في الكتاب والسنة الصحيحة ، مما لا يبقى بعده شك لأحد . قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[1] . فالمؤمن القوي يثبته الله عز وجل في قبره ؛ فلا يخاف ولا يفزع ، لأنه قد قدَّم لهذا اليوم وعمل له ؛ لأن هذا اليوم كان نصب عينيه ؛ فعمل له وجاهد نفسه وهواه ، وأسهر ليله ، وأظمأ نهاره ؛ مخافة هذا اليوم العصيب ، الذي تشيب منه الرؤوس ، وتقشعر منه الجلود ، ويمتلىء القلب منه رعبًا ، فهنيئًا لهؤلاء الرجال الصادقين ، والمؤمنين المخلصين ، هنيئًا لهم تثبيت الله إياهم في هذا الوقت العصيب . وأما الكافر والمنافق فإنه يفزع ويمتلىء قلبه رعبًا وخوفًا ، وكيف لا وهو الذي طالما أنكر هذا اليوم العظيم ، أو شكَّ في وقوعه ، ولم يعمل له ؟ فما يكون له اليوم إلَّا الندم والحسرة والخجل ، وعض اليدين حسرة وندامة، ولكن لا ينفع الندم، ولا تشفع الحسرة؛ فذلك بما قدمت أيديهم، وما ربك بظلام للعبيد . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2] .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **المسْلِمُ إذا سُئِلَ في القبْرِ شهِدَ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعالى :** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[3] »[4] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ **قال : نزلت في عذاب القبر ؛ فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ونبيي محمد** ﷺ »[5] .

وعن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ العبد**

---

(١) إبراهيم : (٢٧) .

(٢) الحج : (١٠) .

(٣) إبراهيم : (٢٧) .

(٤،٥) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (ما جاء في عذاب القبر) .

إذا وُضِع في قبرِه وتولَّى عنه أصحابُهُ ، إنه لَيسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهم ، قال : يأتيه مَلَكانِ فيُقْعِدانِهِ فيقولانِ له : ما كُنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ قال : فأمَّا المؤمنُ فيقولُ : أشهَدُ أنه عبدُ اللهِ ورسولُه ، قال : فيُقالُ له : انظرْ إلى مقعدِكَ من النارِ ، قد أبدلَكَ اللهُ به مقعدًا من الجنةِ ، قال النبي ﷺ : فيراهما جميعًا » . قال قتادةُ : وذُكِرَ لنا أنه يُفسَحُ له في قبرِهِ سبعون ذراعًا ويُملأُ عليه خضِرًا[1] إلى يوم يُبعثون[2] .

ولقد ثبت بهذا الحديث وغيره وجود الملكين وسؤالهما للعبد في قبره ، كما ورد في الحديث السابق أنهما يقعدانه ويسألانه ثلاثة أسئلة : عن ربه وعن دينه وعن رسوله ، والملكان هما : منكر ونكير ، وذلك كما ورد في حديث أبي هريرة مرفوعًا عند الترمذي ، وقال عنه : حسن غريب[3] .

والسؤال في القبر عامٌّ للمكلفين من المؤمنين والكافرين ، ومن هذه الأمَّة وغيرهم على القول الصحيح ، أما غير المكلفين ففيه خلاف ورجَّح العلّامة ابن قيم الجوزية سؤالهم[4] .

٣ - الشهيد يأمن فتنة القبر :

كما ورد أن كل ميت يسأل في قبره ، ولابد من فتنته في قبره ، ولكن ورد عن النبي ﷺ أن هناك من يأمن فتنة القبر ألا إنه الشهيد ، ومَن مات مرابطًا في سبيل الله ؛ وذلك لما لهما من الكرامة عند الله تعالى ؛ لأنهما قد دفعا أغلى ما عندهما في سبيل الله ، وفي سبيل هذا الدين ، وإعلاءً لمراتبه ، وذودًا عن عقيدته ، لقد حملوا أرواحهم على أكفهم ، وقدَّموها رخيصة زهيدة في سبيل الله ؛ فحق لهم أن يأمنوا مما يخاف منه الناس ، ويجتازوا ما يعوق الناس ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه ، حقًّا إنه دين القيِّمة .

---

(١) خضِرًا : النعم الغضة الناعمة، وأصله من خضرة الشجرة .

(٢) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (ما جاء في عذاب القبر) .

(٣) رواه الترمذي وابن حبان وحسَّنه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة ، وقال في سلسلة الأحاديث الصحيحة : إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات رجال مسلم .

(٤) انظر كتاب الروح لابن القيم .

روى النسائي : **أنّ النبيّ ﷺ سألَهُ رجُلٌ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، ما بالُ المؤمنين يُفتَنُونَ في قبورهم إلّا الشهيد ؟ قالَ : « كَفَى ببارقةِ السيوفِ على رأسِهِ فتنةً »**[1].

وورد ذلك أيضًا في حق المرابط في سبيل الله ، من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه في صحيح الإمام مسلم ، رحمه الله[2] .

٤ - عذاب القبر ونعيمه :

إن عذاب القبر ونعيمه ثابت بظاهر الكتاب وصريح السنة وإجماع أهل السنة ، قال العلّامة ابن القيم رحمه الله : « وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه »[3] .

فيجب على المسلم الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ، وذلك من تمام عقيدته ، ولأن ذلك ممكنٌ عقلًا وثابتٌ شرعًا :

إمكانه عقلًا :

١ - فإن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان من تراب ، وأوجده من عدم ؛ فلا غرابة أن يعذّب الله عز وجل عبده أو ينعمه في قبره ؛ فإن الذي أوجد من عدم لا يُستبعد ولا يُستغرب أن يُعذّب من أوجده في أي وقت ، وفي أي مكان ، وبأي صورة ، وعلى أية هيئة .

٢ - إن النائم قد يرى الرؤيا مما يُسَرُّ لها ؛ فيتلذّذ بها ، وينعم بتأثيرها في نفسه ، الأمر الذي يحزن له أو يأسف إن هو استيقظ كما أنه قد يرى الرؤيا مما يكره فيستاء لها ويغتم ؛ الأمر الذي يجعله يحمد من أيقظه ، فهذا النعيم أو العذاب في النوم يجري على الروح حقيقةً ، وتتأثر به ، وهو غير محسوس ولا مشاهد لنا ، ولا ينكره أحد ، فكيف يُنكَر إذًا عذاب القبر أو نعيمه ، وهو نظيره

---

(١) رواه النسائي وقال الألباني في أحكام الجنائز : سنده صحيح ٧٤ .

(٢) انظر صحيح الإمام مسلم : (كتاب الإمارة) (باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل) .

(٣) نظر كتاب الروح لابن قيم الجوزية .

تماما[1] ؟

٣ – لا حجة ولا دليل لمن ينكر عذاب القبر ونعيمه ، وإن كان حجتهم في ذلك عدم رؤية هذا العذاب وهذا النعيم وعدم حسه وسماعه فنرد عليهم ونقول : إن هذه الأمور من المغيبات التي نؤمن بها ، ونسلّم ، وإن لم نرها ولم نحسها ولم نسمعها ؛ وذلك قياسًا على ما سمعناه وعرفناه وأحسسناه ، وشهد الواقع بصدقه .

٤ – وأيضًا نرد عليهم بأن رؤية وحِسّ هذه الأمور يستحيل ؛ لأنها حياة غير هذه الحياة التي نعيشها والتي نلمسها فهي حياة برزخية بين حياة الدنيا وحياة الآخرة ، فصاحب الحياة الدنيا غير مؤهل لأن يرى الحياة البرزخية ؛ لأنها عالم غير هذا العالم ، وحياة غير هذه الحياة .

٢ – إثباته شرعًا :

أولًا من الكتاب :

لقد دل ظاهر كتاب الله عز وجل على عذاب القبر ونعيمه ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[2] .

قال ابن كثير رحمه الله :

إن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة ، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ، ولهذا قال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي أشدُّه ألمًا وأعظمه نكالًا، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[3] .

---

(١) نقلًا من كتاب منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري .

(٢) غافر : (٤٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (سورة غافر) .

وقال تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[١] . فعن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية قال : قام رسول الله ﷺ خطيبًا يوم الجمعة فقال: «اخرج يافلان فإنك منافق، واخرج يافلان فإنك منافق» فأخرج من المسجد ناسًا منهم فضحهم ، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياءً أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبأوا هم من عمر ؛ ظنوا أنه علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين:أبشر يا عمر ! قد فضح الله المنافقين اليوم . قال ابن عباس : فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثاني عذاب القبر . وكذلك قال الثوري عن السدي عن أبي مالك نحو هذا[٢] .

قال مجاهد في رواية له في قوله : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ قال : بالجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم .

قال الحسن البصري : عذاب في الدنيا وعذاب في القبر .

وقال سعيد عن قتادة : عذاب الدنيا وعذاب القبر[٣] .

ثانيًا : من السنة النبوية :

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ فهي صريحة وصحيحة في إثبات عذاب القبر ، وتصل إلى حد التواتر ، مما لا يبقى لأحد شك في نفسه ولا ريب ومن هذه الأحاديث ما يلي :

١ – عن عائشة رضي الله عنها : **أنَّ يهوديَّةً دخلتْ عليها فقالتْ : نعوذُ باللهِ من عذابِ القبرِ ؛ فسألت عائشةُ رضي اللهُ عنها رسولَ اللهِ ﷺ عن عذابِ القبرِ ؛ فقالَ ﷺ : « نعَمْ ، عذابُ القبرِ حَقٌّ » . قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : فما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بعدُ صلَّى ، إلا تعوَّذَ من عذابِ القبرِ**[٤] .

---

(١) التوبة : (١٠١) .

(٢،٣) انظر تفسير ابن كثير (سورة التوبة) .

(٤) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (ما جاء في عذاب القبر) .

٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ جهنَّمَ وأعوذُ بك من عذابِ القبرِ ، وأعوذُ بك من فتنةِ المحيا والمماتِ ، وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ »[1].

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يدعو : « اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ القبرِ ، ومن عذابِ النارِ ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ ، ومن فتنةِ المسيحِ الدجَّالِ »[2].

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال : « إنهم لَيُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ . ثم قال : بلى ، أمَّا أحدُهما فكانَ يسعى بالنميمةِ ، وأمَّا أحدهما فكان لا يستترُ من بولِهِ . قال : ثم أخذَ عُودًا رَطْبًا فكَسَرَهُ باثنتينِ ، ثم غرز كلَّ واحدٍ منهما على قبرٍ[3]، ثم قال : لعلَّه يُخفَّفُ عنهما ما لم يَيبسَا »[4].

٥ - ولقد مرَّ علينا حديث أنس بن مالك قال : قال نبي الله ﷺ : « إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُهُ ، إنه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نعالِهِم ، قال : يأتيه مَلَكانِ فيُقْعدانِهِ ، فيقولانِ له ، ما كُنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ قال : فأمَّا المؤمنُ فيقولُ : أشهدُ أنه عبدُ اللهِ ورسولُهُ . قال : فيُقالُ له : انظرْ إلى مقعدِكَ من النارِ قد أبدلَكَ اللهُ به مقعدًا من الجنةِ . قال نبيُّ الله ﷺ : فيراهما جميعًا . قال قتادةُ . وذُكِرَ لنا أنه يُفسَح له في قبرِهِ سبعونَ ذِراعًا ، ويُملأُ عليه خضرًا إلى يومِ يُبعثون »[5].

---

(١) رواه مسلم (كتاب المساجد) باب (ما يستعاذ منه في الصلاة) .

(٢) رواه البخاري راجع (كتاب الأذان) باب (الدعاء قبل السلام) .

(٣) هذه الحادثة خاصة بالنبي ﷺ وببعض القبور ولا تعم ، بدليل عدم مواظبة النبي ﷺ على ذلك ، ولم يرد فعله عن الصحابة والسلف الصالح .

(٤) رواه البخاري (كتاب الوضوء) باب (من الكبائر أن لا يستتر من بوله)

(٥) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (ما جاء في عذاب القبر) .

٦ – وفي حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قال رسول الله ﷺ في المؤمن : **« فيُنادي مُنادٍ من السماء أنْ صدَق عبدي ، فأفرِشوه من الجنةِ ، وألبِسُوه من الجنةِ ، وافتحوا له بابًا إلى الجنةِ . فيأتيه من رِيحِها وطِيبِها ويُفسَحُ له في قبرِهِ مَدَّ بَصَرِه »** . قال في الكافر : **« فينادي مُنادٍ من السماءِ أنْ كذَبَ عبدِي ؛ فأفرِشُوه من النارِ ، وافتحوا له بَابًا من النارِ . فيأتيه من حَرِّها وسُمومِها ، ويُضيَّق عليه قبرُهُ حتى تختلفَ أضلاعُه »**[(١)].

٥ – عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن :

إن العذاب والنعيم في القبر يكون على الروح والبدن ، وبذلك يتم العذاب ، ويكون أبلغ إذا كان على الروح والجسد معًا ، وأيضًا لكي يتم النعيم الكامل للمؤمنين في قبورهم ، وذلك على أرواحهم وأبدانهم .

ولا يمنع ذلك ولا يجعله مستحيلًا كون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو حيتان البحر ، أو احترق حتى صار رمادًا ، أو غير ذلك ؛ فإن الذي خلقه وأماته قادر على عذابه وتنعيمه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن مُنَعَّمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب[(٢)] .

٦ – أنواع عذاب القبر :

إن عذاب القبر نوعان :

النوع الأول :

وهو (العذاب الدائم) في القبر ، وذلك يكون للكفار والمنافقين وبعض

---

(١) حديث صحيح ، رواه أحمد وأبو داود ، وصححه الألباني ، وقال الحافظ في الفتح (٣ / ٢٨٢): وهو أتم الأحاديث سياقًا .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤ / ٢٨٢) .

العصاة ، وهو دائم عليهم لا ينقطع عنهم ، وذلك إلى يوم القيامة ، حيث يُرَدُّون إلى أشد العذاب ؛ فهم في قبورهم في عذاب دائم لا ينقطع عنهم ، فهم يُعْرَضون على النار صباحًا ومساءً ، قال تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1] .

النوع الثاني :

وهو (عذاب مؤقت) يستمر مدة ثم ينقطع ، وهذا النوع من العذاب هو عذاب بعض العصاة الذين خفَّت وقلَّت جرائمهم ؛ فيعذب كل واحد بحسب جرمه ومعصيته ، ثم يخفف عنه العذاب أو ينقطع عنه ؛ وذلك إما لكون معصيته لا تستحق من العذاب إلَّا هذا القدر، وإما بسبب حصول بعض مكفرات الذنوب مما يكون للإنسان بعد مماته من دعاء ولدٍ صالح أو صدقة جارية خلَّفها في الدنيا أو علم يُنتفَع به ، ولقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلَّا من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، أو عِلْمٍ يُنتفعُ به ، أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له** »[2]. وليس معنى أن هذا النوع من العذاب عذاب مؤقت أن يستهين به البعض أو أن يجعلهم يُقلِّلون من حجمه ومصيبته ؛ فمَن ذا الذي يقوى على عذاب الله ؟! ومن يتحمَّل فقط وحشة القبر وظلمته ، وفتنة القبر وضمته ؟! فإن للقبر ضمة – والعياذ بالله – تختلف منها الأضلع ؛ لشدة هذه الضمة ،عافانا الله والمسلمين من فتنة القبر وعذابه وضمته ؛ فيجب على المسلم العاقل أن يعمد إلى عمل يكون سببًا في رضى ربه تبارك وتعالى ، ويكون سببًا في النجاة من عذاب القبر (دائمه ومؤقته) قليله وكثيره ، بل يكون هذا القبر – إن شاء الله تعالى – روضة من رياض الجنة . فكما جاء عن النبي ﷺ فيما أخبر أن القبر إما أن يكون حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، نجانا الله والمسلمين من عذاب القبر ، وجعل قبورنا روضة من

---

(١) غافر : (٤٦) .

(٢) رواه مسلم (كتاب الوصية). باب (ما يلحق الإنـ[illegible] الثواب بعد وفاته) .

رياض الجنة ، هو وليّ ذلك والقادر عليه .

○ رابعًا : النفخ في الصور ○

الصور لغة : هو شيء كالقرن يُنفخ فيه[١] .

وشرعًا : قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه .

وإسرافيل: هو أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش . فإذا أراد الله القضاء على المخلوقات بالموت ونهاية الدنيا يأمر إسرافيل عليه السلام بالنفخ ، فتموت الخلائق جميعًا إلّا من شاء الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٢] . وقيل في ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل : إنهم جبريل وميكائيل ، وإسرافيل ومَلَك الموت وحملة العرش ، ومَن في الجنة من الحور والولدان، ومالك خازن النار، وقيل: هم الشهداء.

النفخة الأولى :

ينفخ إسرافيل عليه السلام نفختين : أما النفخة الأولى كما تقدم يصعق على أثرها كل مَن في السموات والأرض إلّا من شاء الله تعالى ، وذلك من إنس وجن وملائكة ، قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٣]. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **ثم يُنفَخُ في الصُّور فلا يسمعُهُ أحدٌ إلّا أصغى لَيْتًا[٤] ورفعَ لَيْتًا ثم لا يبقى أحدٌ إلّا صَعِقَ ثم يُنزلُ اللهُ مَطرًا كأنه الطَّلُّ أو : الظِّلّ – شكُّ الراوي – فتنبُتُ منه أجسادُ الناس ، ثم يُنفَخُ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون** »[٥].

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢،٣) الزمر : (٦٨) .

(٤) لَيْتًا : الليت صفحة العنق ، وهي جانبه .

(٥) رواه مسلم في حديث طويل (كتاب الفتن) باب (ذكر الدجال) .

وإن إسرافيل عليه السلام خلقه الله تعالى ملتقم القرن، منتظر الأمر بالنفخ؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيفَ أنعمُ وقد التقمَ صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ، وَحَنَى جبهتهُ، واضعًا سمْعَه؛ يَنْتَظِرُ أنْ يُؤمَرَ فينفخ. فكأنَّ ذلك ثقُل على أصحابهِ رضي اللهُ عنهم. فقالوا: كيفَ نفعلُ؟ وكيف نقول؟ قال: قولوا: حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ، توكَّلنا على اللهِ. ورُبَّما قال: على اللهِ توكَّلنا**»[1].

وكما ورد في الحديث الصحيح أنه بعد موت الخلائق كلها من الإنس والجن والملائكة يأمر الله ملك الموت أن يقبض روح من تبقى من الخلق؛ فيقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يأمره الله تعالى بمعالجة روح نفسه، وعندئذ تبقى السموات والأرض خالية من الخلق، ولم يبق إلا الله سبحانه وتعالى، ثم ينادي الله سبحانه ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾[2] فلا يجيبه أحد ثم يجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[3].

النفخة الثانية:

بعد النفخة الأولى وفناء وموت كل الخلق تبقى السمواتُ خاليةً من الملائكة، والأرضُ خالية من الخلق؛ فلا إنس ولا جن، ولا وحش ولا طير. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[4].

وبعد ذلك يحيي الله إسرافيل وجبريل وميكائيل ومَلَك الموت عليهم السلام، ويأمر إسرافيل أن ينفخ النفخة الثانية؛ فتبعث الخلائق أجمع منذ خلق الله الدنيا إلى قيام الساعة، إنسها وجنها، وحيواناتها وطيورها.

وأول من يبعث من الأرض هو سيدنا محمد ﷺ ويأتيه جبريل عليه السلام بلواء الحمد.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢،٣) غافر: (١٦).

(٤) الحديد: (١٠).

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[١]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾[٣]

ما بين النفختين أربعون :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« ما بينَ النفختين أربعونَ . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يومًا ؟ قال : أَبَيْتُ[٤]. قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أَبَيْتُ . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أَبَيْتُ ، ثم يُنزلُ اللهُ من السماءِ ماءً ؛ فينبُتون كما يَنبُتُ البَقْلُ . قال : وليس من الإنسانِ شيءٌ إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْبُ الذَّنَبِ ، ومنه يُرَكَّبُ الخلقُ يومَ القيامةِ »[٥].**

فعجب لهذا اليوم العظيم ، فلا ينفع فيه مال ولا بنون ، ولا جاه ولا سلطان ، ولا جيش ولا قرش ، ولا جمال ولا وجاهة ، ولا لحن ولا لباقة ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، قلب منيب ، قلب خاشع ، خاضع لرب العالمين ، قلب طالما ذكر الله تعالى ، وآمن به حق الإيمان ؛ فحمله على الرضا عن الله ، وعلى شكر الله تعالى، والتواضع له، والإذعان لأوامره. فلا كفر ولا جحود، ولاشك ولا شرك ، ولا نفاق ولا شقاق ، بل رضا وتسليم ، وإخبات وإنابة . فهنيئًا لهذا القلب في هذا اليوم العظيم ، فهو آمن وقت الخوف ، مطمئن وقت الفزع ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه

---

(١) يس : (٥١) .

(٢) ق : (٤٢) .

(٣) المعارج : (٤٣ ، ٤٤) .

(٤) قال أبيت : أي أبيت الجزم إلا بأربعين فقط من غير تمييز .

(٥) رواه البخاري (كتاب التفسير) سورة النبأ باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا) ، ومسلم (كتاب الفتن) باب (ما بين النفختين) .

يوم الحصاد :

فلتعلم أخي المسلم أن جميع الخلائق تخرج في هذا اليوم العظيم من قبورها بأمر الواحد القهار ؛ فكلٌ لا صوت له ولا حركة ، ولا تسمع في ذلك اليوم إلا همسًا ، حتى الأنبياء لا يقولون إلا : سلِّم يارب سلِّم ؛ فإنه موقف صعب ، يوم يحصد كل الخلائق ما عملوا وما قدموا ، وهنالك تجزى كل نفس بما كسبت ، فإن خير فخير وإن شر فلا تلومن إلا نفسها وما ربك بظلَّام للعبيد .

فيا فرحة من أطاع ربه ، ونهى النفس عن الهوى وخالف هواه ، وتحكَّم في نفسه وشهواته ، وهذَّب غريزته وفق أوامر الله تعالى ، فكبح جماح نفسه وجعلها مسخرة لله تعالى مؤتمرة بأمره ، مجتنبة نواهيه ، فلا تخرج هذه الشهوات إلا فيما أحله الله ورضيه ، ولا تتطلع هذه النفس إلا لرضا ربها ، وتبذل الغالي والرخيص طالبة رضا ربها . قد عملت لهذا اليوم الفريد ، لهذا اليوم المذهل . قد جعلت هذا اليوم نصب أعينها فكان خير معين لها بعد الله تعالى على فعل الطاعات والتلذذ بها والبعد عن المعاصي وبغضها ، خافت من ربها في الدنيا حينما ملكت أن تعصي ربها وهي مالكة لأسباب المعاصي ودوافعها ولكن أبت إلا أن تطيع الله تعالى ، وتخافه وتخشاه بالغيب ، أبت إلا أن ترتفع عن هذه الحيوانية والشهوانية ، وترتفع إلى مقام الملائكة ، فتاقت نفسها للقاء ربها لتلقى تكريم مولاها فلا خوف عليهم في هذا اليوم ولا هم يحزنون؛ فحق لهم أن يرحمهم الله تعالى ، فطالما عملوا لهذا اليوم ، وانتظروا يوم الحصاد ، حصاد ما فعلوا وما قدموه في الدنيا ، فهذا يوم التكريم ، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، إنه لَيوم الفرحة فهم في شوق للقاء ربهم عن حب ورضا ، عن شوق وتلهف ؛ فلقد طال صبرهم في هذه الحياة الدنيا ؛ فلكم تحملوا مشاقَّها ، وضيق عيشها ، وظلم أهلها ، وطغيان حكامها ، وفسق شعوبها ، فيفرحون بتلقي كتابهم بأيمانهم ، ويودون لو أن كل الخلائق اطَّلعوا على أعمالهم ، لما فيها من صحائف بيضاء من طاعة الله والإذعان والخضوع له على علم وتوحيد وهدى وتقى ، فهم في جنة عالية ، قطوفها دانية ، يأكلون فيها ويشربون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هنيئًا

لهم بما قدمت أيديهم، وبما قدموا من حسن ظن بالله، واستقامة على شرع الله، واتباع لسنة رسول الله ﷺ وتغلبوا على كل صعاب الحياة، ودعوة الشيطان والشهوات، وصبروا على كل ظالم متكبر جبار، فهذا يوم يشفي فيه الله قلوب قوم مؤمنين ، ويجزي كل امرىء بما كسب فلا ظلم اليوم فاليوم يوم الحصاد .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[1] .

* * *

(١) الحاقة : (١٩ : ٢٤) .

○ خامسًا : البعث والحشر ○

١ - معنى البعث والحشر :

البعث لغة : الإرسال والنشر ، ويوم البعث : يوم القيامة .

البعث شرعًا : إحياء الأموات يوم القيامة للحساب .

والحَشْر لغة : الجمع والاجتماع[(١)].

الحشر شرعًا : جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم .

٢ - دليل البعث والحشر :

البعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

قال تعالى : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾[(٢)]. قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾[(٣)]. قال تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾[(٤)].

بل إن الله سبحانه وتعالى سوف يحشر حتى الحيوانات ليفصل بينها حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، لا ظلم اليوم . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[(٥)].

وسيحشر الناس إلى أرض المحشر ، وهم في ذلك ، متفاوتون على قدر

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) التغابن : (٧) .

(٣) الواقعة : (٤٩ : ٥٠) .

(٤) المرسلات : (٣٨) .

(٥) التكوير : (٥) .

أعمالهم ؛ فمنهم الراكب ، ومنهم الماشي ، ومنهم من يُحشر على وجهه .

٣ – أصناف الناس عند الحشر :

فالناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف :

قال تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[(١)].

أ – السابقون :

وهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء ؛ فهؤلاء يحشرون يوم القيامة ركبانًا . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[(٢)]. أي ركبانًا .

يخبر الله تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم ، وأطاعوهم فيما أمروهم به ، وانتهوا عما نهوهم عنه وزجروهم – أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه ، والوفد هم القادمون ركبانًا ، ومنه الوفود . وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة ، وهم قادمون على خير موفود إليه ، إلى دار كرامته ورضوانه[(٣)].

ب – أصحاب الميمنة :

وهم عامة المؤمنين ، وهؤلاء يحشرون على أقدامهم ؛ فهم في مرتبة أدنى من مرتبة السابقين وهم سواد أهل الجنة .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ

---

(١) الواقعة : (٧ : ١١) .
(٢) مريم : (٨٥) .
(٣) انظر تفسير ابن كثير (سورة مريم) .

ٱلْيَمِينِ ﴾[1].

جـ - أصحاب المشئمة :

وهؤلاء هم الذين يُسحبون على وجوههم يوم القيامة ، إذلالًا لهم ؛ جزاءً بما قدمت أيديهم ، وبما كانوا يكذبون ، ويحاربون الله ورسوله وعباده المؤمنين ؛ فاليوم هو يوم إهانتهم ، وشفاء صدور قوم مؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[2] أي : نحشرهم عطاشا .

قال عطاء وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحدٍ : « وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم فإنهم يساقون عنفًا إلى النار عطاشًا »[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثةَ أصنافٍ ؛ صنفًا مشاةً ، وصنفًا ركبانًا ، وصنفًا على وجوهِهم . قيل : يا رسولَ اللهِ ، وكيف يمشون على وجوهِهم ؟ قال : إنَّ الذي أمشاهم على أقدامِهم قادرٌ أن يُمشيَهم على وجوهِهم ، أما إنَّهم يتَّقُون بوجوهِهم كلَّ حَدَبٍ وشوْكٍ** »[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على ثلاثِ طرائقَ ، راغبينَ راهبينَ ، واثنانِ على بعيرٍ ، وثلاثةٌ على بعيرٍ ، وأربعةٌ على بعيرٍ ، وعشرةٌ على بعيرٍ ، وتُحشَرُ بقيتَهُمُ النارُ ، تقيلُ معهم حيثُ قالُوا ، وتبيتُ معهم حيثُ باتُوا وتُصبِحُ معهم حيثُ أصبحُوا وتُمسي معهم حيثُ أمسَوْا** »[5].

---

(١) الواقعة : (٩٠ - ٩١) .

(٢) مريم : (٨٦) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (سورة مريم) .

(٤) رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن وقال : حديث حسن .

(٥) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .

- أرض المحشر :

إن الله عز وجل يحشر الناس على أرض غير هذه الأرض التي نعيش عليها الآن . سوف يحشرهم على أرض بيضاء لم يسفك عليها دم ، ولم يظلم عليها أحد ، ولم يمارس عليها معصية ، فهي أرض طاهرة لا يقام عليها إلّا العدل ، ولا يكون فيها إلّا الإنصاف ، فهي كقرص نقي ؛ أي كالرغيف النقي المخبوز من الدقيق المنخول المنظف ، وهذه الأرض ليس بها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ؛ فيها لم تسكن من قبل ، وذلك كما جاء في الحديث الشريف عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ[1] كقُرصَةِ النَّقيِّ[2] ليس فيها عَلَمٌ لأحدٍ[3]** »[4].

- هيئة الناس في الحشر :

يحشر الناس عند الحشر حفاة عراة غرلًا بُهْمًا ؛ فهم في خوف وفزع وهلع ، قد بُعثوا كما خُلقوا أول مرة ، مجردين من كل شيء ، فلم ينفعهم مال ولا بنون ، ولم يشفع لهم ملك ولا سلطان ، ولم يُغنِ عنهم حسب ولا نسب . قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[5] .

وفي حديث عبد الله بن أنس المرفوع قال رسول الله ﷺ : « **يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ عُراةً غُرْلًا[6] بُهْمًا** » . قلنا : وما بُهْمًا ؟ قال : « **ليسَ معهم شيءٌ** »[7].

وقال ﷺ : « **إنكم لَمحشورونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا** » ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا

---

(١) بيضاء عفراء : أي بيضاء بياضًا يضرب إلى الحمرة .
(٢) قرصة النقي : أي الرغيف المخبوز من الدقيق المنخول المنظف .
(٣) ليس فيها علم لأحد : ليس بها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر .
(٤) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ومسلم (كتاب صفات القيامة) باب البعث والنشور .
(٥) الأنبياء : (١٠٤) .
(٦) غرلًا : لا ختان فيهم .
(٧) رواه أحمد ، والحديث حسن .

عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1] « وأوَّل مَنْ يُكسىٰ إبراهيمُ عليه السلامُ »[2].

٦ – بشرى المؤمنين وحسرة الكافرين :

إن الملائكة لتستقبل المؤمنين وتبشرهم بالجنة ، وتؤمنهم من الفزع ومن هول هذا اليوم العصيب، فتبيض وجوههم؛ فهي يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة، وأما الكافرون والمنافقون– والعياذ بالله – فتسْوَدّ وجوههم ؛ فهي يومئذ عليها غبرة وترهقها قترة ، إنهم كانوا قبل ذلك كفرة فجرة ، يملأ الرعب والفزع قلوبهم ، وتعلوهم الندامة ، وتغشاهم الحسرة ، وذلك من الخزي والخذلان .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] .

قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾[4] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا وإنَّ أوَّل الخلائقِ يُكسىٰ يومَ القيامةِ إبراهيمُ عليه السلامُ ، وإنَّ الملائكةَ تستقبلُ المؤمنينَ من قبورِهم وتُبشِّرُهم بالجنةِ** »[5].

قال تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[6] .

---

(١) الأنبياء : (١٠٤) .

(٢) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب كيف الحشر،ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة .

(٣) آل عمران : (١٠٦ – ١٠٧) .

(٤) عبس : (٣٨ : ٤٢) .

(٥) رواه البخاري (كتاب الأنبياء) باب قوله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلًا ﴾ .

(٦) الأنبياء : (١٠٣) .

○ سادسًا : العرض والحساب ○

١ – معنى الحساب ودليله :

الحساب لغة : العدد والعَدُّ[1] .

الحساب شرعًا : إطلاع الله عباده على أعمالهم .

إن الحساب ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، والإيمان به من عقيدة المسلم ، ولا تصح عقيدة المسلم ولا يكون مؤمنًا إلا بالإيمان بالحساب ؛ وذلك لإخبار الله تعالى عن الحساب في كتابه العزيز ، وإخبار الرسول ﷺ أيضًا عن هذا اليوم ، وهذا الحساب مما لا يسع أحدًا – مع هذه النصوص من الكتاب والسنة – إنكاره ، وإلا فقد فسدت عقيدته ، ونُقض إيمانه ، وارتد عن إسلامه . قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[4] .

وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته : « ...**اللَّهمَّ حاسبني حسابًا يسيرًا ، فقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : ما الحسابُ اليسيرُ ؟ قال : أنْ ينظرَ في كتابهِ فيتجاوزُ عنه** »[5] .

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) الغاشية : (٢٥ : ٢٦) .

(٣) الأعراف : (٦) .

(٤) غافر : (١٧) .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، وقال الألباني في تخريج السنة : إسناده صحيح .

٢ - كيفية الحساب :

إن كيفية الحساب هي أن الله سبحانه وتعالى يُطْلِع الإنسان على أعماله في الحياة الدنيا ويقرره بذلك ، وسوف يكون بين العبد وربه ، وليس بين العبد وربه واسطة ولا ترجمان ؛ وذلك لما جاء عن النبي ﷺ ؛ فعن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمُهُ رَبُّه ، ليس بينه وبينه تُرْجُمانٌ ؛ فينظرُ أيْمَنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عملِهِ ، وينظرُ أشأَمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم ، وينظرُ بين يديه فلا يرى إلا النارَ تلقاءَ وجهِهِ ؛ فاتقُوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ »[١].

ومن رحمة الله تعالى أنه لا يناقش عباده المؤمنين الحساب على أعمالهم . وإنما يعرضها عليهم عرضًا فقط فيقررهم بها ، فلقد سترها عليهم في الدنيا ويسترها عليهم في الآخرة ؛ فلا يطَّلع أحد من أهل المحشر على هذه الأعمال وهذه الذنوب والمعاصي، ويقول لهم ربهم: إني قد سترتها عليكم في الدنيا؛ وأنا أغفرها لكم اليوم.

وذلك بخلاف الكفار والمنافقين ؛ فإنهم ينادَوْن على رؤوس الأشهاد، ويُشَهَّر بذنوبهم، ويفضحون بمعاصيهم وغدراتهم؛ فإنهم لا حرمة لهم ولا كرامة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ليس أحدٌ يُحاسَبُ إلّا هَلكَ . قالتْ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ - جعلَني اللهُ فِداكَ - أليسَ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[٢] قال : ذاكَ العَرْضُ يُعرَضُون ، ومن نُوقِشَ الحسابَ هلَكَ »[٣].

وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سُئل : كيفَ سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ في النجوى ؟ قالَ : سمعتُهُ يقولُ : « يُدْنَى المؤمنُ يومَ القيامةِ من ربِّهِ عزَّ وجلَّ حتى يضعَ عليه كَنَفَهُ[٤] فيُقَرِّرُهُ بذنوبِهِ ، فيقولُ : هل تعرِفُ ؟ فيقولُ

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب من نوقش الحساب عُذِّب .
(٢) الانشقاق : (٧ : ٨) .
(٣) رواه البخاري (كتاب التفسير) سورة الانشقاق، باب «فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا».
(٤) كنفه : سترُه وعفوه .

أي ربِّ أعرفُ ، قالَ : فإني قد سترتُها عليك في الدنيا ، وإني أغفرُها لك اليومَ ؛ فيُعطى صحيفةَ حسناتِهِ ، وأمَّا الكُفَّارُ والمنافقون فيُنادَى بهم على رؤوسِ الخلائقِ : هؤلاء الذين كذَبُوا على اللهِ »[1].

٣ - أول من يحاسب يوم القيامة :

إن أول من يحاسب يوم القيامة هي أمة سيدنا محمد ﷺ وكيف لا ؛ فإن نبيها هو خير الخلق ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأول من يدخل الجنة ؛ فلا عجب - وأمته هي خير أمة أخرجت للناس - أن تكون أول أمة تحاسب ، وأول أمة تدخل الجنة ، رغم أنها آخر هذه الأمم عهدًا بالدنيا ، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

- فعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « نحنُ الآخِرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ ، المقضي بينهم قبلَ الخلائق »[2].

- وفي رواية أخرى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحنُ الآخِرونَ ، السابقونَ يومَ القيامةِ ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قَبْلِنا »[3].

- وفي رواية أخرى عن ابن عباس مرفوعًا : « نحنُ آخِرُ الأُمَمِ وأوَّلُ مَنْ يُحاسَبُ »[4].

٤ - قوم لا يحاسبون :

إن الحساب عامٌّ لجميع الناس ، بل هو للإنس والجن ، ولكن دائمًا ترى هذه الأمة المحمدية يخصها الله تعالى بما لم يخص غيرها ؛ وذلك إكرامًا لنبيها ﷺ

---

(١) رواه مسلم (كتاب التوبة) باب (سعة رحمة الله بالمؤمنين) .
(٢) رواه مسلم (كتاب الجمعة) باب فضل هذه الأمة .
(٣) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب « يريدون أن يبدلوا كلام الله » . ومسلم (كتاب الجمعة) باب فضل هذه الأمة .
(٤) رواه ابن ماجه والبيهقي في دلائل النبوة ، قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، وصححه الألباني .

فلقد أوحى الله إلى نبيه ﷺ أنه سيُعافَى بعضٌ من أمته ، ولن يحاسبوا يوم القيامة ، وسيدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب ، ومنهم الصحابي الجليل عكاشة بن محصن رضي الله عنه وأرضاه ؛ فعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « **عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَطُ ، والنبيَّ ومعهُ الرجُلُ والرَّجُلانِ ، والنبيَّ وليس معه أَحَدٌ ، إذْ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ ؛ فظننتُ أنهم أُمَّتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومُهُ ، فَنَظَرْتُ فإذَا سَوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : هذه أُمَّتُكَ ومعهم سبعونَ ألفًا يدخلون الجنةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ ، ثم نهضَ فدخلَ منزلَه ؛ فخاضَ الناسُ في أولئك ، فقالَ بعضُهُم : فلعلَّهم الذين صَحِبُوا رسولَ اللهِ ﷺ ، وقال بعضُهُم : فلعلَّهم الذين وُلِدُوا في الإسلامِ فلم يُشركوا باللهِ شيئًا ، وذكروا أشياءَ ، فخرج عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فأخبره ، فقالَ : هم الذين لا يَسْتَرْقُون ولا يكتوونَ ولا يتطيَّرونَ ، وعلى رَبِّهم يتوكَّلونَ . فقامَ عُكَّاشةُ ابن مِحصنٍ فقال : ادعُ اللهَ أن أكونَ منهم ، فقال : أنت منهم يا عُكَّاشةُ ، فقام رَجُلٌ آخرُ فقال : ادعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهم ، فقال : سَبَقَكَ بها عُكَّاشةُ** »[1].

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « **فاستزدتُ ربِّي فزادني مع كلِّ ألفٍ سبعينَ ألفًا** »[2].

٥ – أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة :

أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله يوم القيامة : الصلاة ؛ فهي عمود الدين ، ورأس الأمر كله ، وهي الصلة بين العبد وربه ، وهي التي يناجي فيها العبد ربه ، وهي التي كانت تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، ولذلك فهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **أوَّلُ ما يُحاسَبُ به**

---

(١) رواه البخاري (كتاب الطب) باب (من اكتوى أو كوى غيره) . ومسلم (كتاب الإيمان) باب (دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب) .

(٢) رواه أحمد والبيهقي وقال الحافظ: سنده جيد. وذكر له شواهد .

العبدُ يومَ القيامةِ : الصلاةُ ، فإنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سائرُ عَمَلِهِ ، وإنْ فسدتْ فسدَ سائرُ عَمَلِهِ »[1].

فياليت المقصرين في أداء الصلوات في وقتها ومع الجماعة يعتبرون بهذا الحديث الشريف الذي علق فيه الرسول ﷺ قبول الأعمال وصلاحها على قبول الصلاة ، فإذا كان ذلك في حق من جاء بصلاة فهو مرتهن بقبولها أو ردها ، فما البال بمن لم يأت بصلاة قط ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٦ - أول ما يقضى بين الناس في الدماء :

إن أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء ؛ وذلك لحرمة هذا الدم على المسلم ، فإن الله سبحانه وتعالى امتدح عباده ونسبهم إليه (عباد الرحمن) وقال عنهم ووصفهم بأنهم: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[2].

ولذلك نرى النبي ﷺ يؤكد على حرمة هذا الدم في خطبة الوداع ، فقال : **« ألا إنَّ دماءكم وأموالكُم وأعراضَكُم حرامٌ عليكم كحُرْمةِ يومِكُم هذا في شهرِكُم هذا في بلدِكم هذا »**[3].

ويبين لنا النبي ﷺ في حديث آخر أن الدماء هي أول شيء يُقضى بين الناس في يوم الحساب .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« أوَّلُ ما يُقْضى بين الناسِ يومَ القيامةِ في الدِّماءِ »**[4].

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه (والحديث صحيح) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

(٢) الفرقان : (٦٨) .

(٣) رواه البخاري (كتاب العلم) باب (قول الرسول ﷺ :رب مبلغ أوعى من سامع) .

(٤) رواه البخاري (كتاب الديات) ، و (كتاب الرقاق) باب القصاص يوم القيامة ، ورواه مسلم (كتاب القسامة) باب المجازاة بالدماء يوم القيامة .

وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ : « يُؤتى بالقاتلِ والمقتولِ يومَ القيامةِ ، فيقولُ : أيْ رب ، سلْ هذا فيمَ قتلَني . فيقولُ : أيْ ربّ ، أمرَني هذا . فيُؤخذُ بأيديهما جميعًا (القاتلُ ومَنْ أمرَهُ بالقتلِ) فيُقذفانِ في النارِ »[١].

«وندرأ بهذه الآيات وهذه الأحاديث في نحور هؤلاء المجرمين والطواغيت الذين يتجرءون على عباد الرحمن المؤمنين، ينتهكون حرماتهم، ويسفكون دماءهم ويزهقون أرواحهم، ولا يألون فيهم إلًّا ولا ذمة، ولا يدرون أنهم بذلك أعلنوا الحرب على الله، وأن الله سيتولى الدفاع عن عباده المؤمنين، ويشفي صدور عباده الموحدين، فهم لا يعلمون- أو يدعون الجهل- بأن الله هو الذي يدافع عن الذين آمنوا، ولئن طال وقت تمكينهم من رقاب عباد الله الصالحين، وإن قويت شوكتهم، وإن كثر وعمّ فسادهم وطغيانهم، وإن كانت الغلبة لهم، فما ذلك إلا استدراج من الله لهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢]، فإن الله سبحانه وتعالى يمهلهم ولا يهملهم، حتى إذا أخذهم أخذهم ولم يفلتهم، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر، أخذ فيه عبرة لمن خلفهم ولذريتهم الذين يمشون على طريقتهم، ويقتفون آثارهم، أخذ يشفي فيه الله صدور قوم مؤمنين؛ فليرتقب هؤلاء الطغاة الظالمون، فإن الدائرة سوف تكون عليهم، ولسوف يقتص الله لعباده المؤمنين الموحدين، ويهلك الظالمين، الذين طالما تلطخت أيديهم بدماء إخواننا المؤمنين ظلمًا وعدوانًا، والله على إذلالهم وتنكيس راياتهم لقدير، وهو نعم المولى ونعم النصير»[٣].

* * *

(١) رواه الطبراني ، وذكره الهيثمي في المجمع وقال : رجاله كلهم ثقات .
(٢) البقرة : (١٥) .
(٣) نقلًا من كتاب (البيان في صفات عباد الرحمن) للمؤلف صـ ١٥١ .

○ سابعًا : الميزان ○

١ - معنى الميزان ودليله :

معنى الميزان لغة : الآلة التي توزن بها الأشياء خفة وثقلًا[١].

معنى الميزان شرعًا : ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

والإيمان بالميزان ووضع الموازين يوم القيامة واجب على كل مسلم ، ولا يصبح مؤمنًا إيمانًا صحيحًا إلّا بالإيمان به ؛ وذلك لإخبار الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه العزيز ولما ورد فيه من أحاديث سيد المرسلين ﷺ .

قال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**كلمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ خفيفتانِ على اللسانِ ثقيلتانِ في الميزانِ : سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ ، سبحانَ اللهِ العظيمِ**»[٥] .

٢ - حقيقة الميزان :

فهو ميزان حقيقي ، له كفتان حسيّتان ولسان ، وتوزن به الأعمال ، وذلك بعد انقضاء الحساب ، والتقرير بالأعمال ، وعرضها على ابن آدم .

وفي هذا الميزان إظهار للعدل الرباني ، وأنه لا ظلم اليوم ، فاليوم يوم عدل ، وليس فيه ظلم مثقال ذرة ، بل هو يوم يثاب فيه من عَدَلَ في الحياة الدنيا ويعاقب ويعذب فيه الظالمون .

---

(١) انظر المعجم الوسيط .
(٢) المؤمنون : (١٠٢ ، ١٠٣) .
(٣) الأنبياء : (٤٧) .
(٤) القارعة : (٦ : ٩) .
(٥) رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب فضل التسبيح ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب فضل التهليل والتسبيح .

وهناك أحاديث كثيرة تثبت الكفتين للميزان ، ومنها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة قال : « **فتوضعُ السِّجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ** »[1].

٣ – الميزان واحد أم متعدد :

لقد اختلف العلماء هل الميزان واحد أم متعدد ، فانقسموا إلى فريقين ، ولكلٍّ دليله ، فقال بعضهم : إن الميزان متعدد ، وذلك بحسب الأمة أو الأفراد أو الأعمال ؛ فربما يكون لكل أمة ميزان ، ولكل مجموعات ميزان ، أو يكون لكل عمل ميزان ، واستدلوا على ذلك بأن لفظ الميزان في القرآن الكريم لم يذكر إلا مجموعًا في كل الآيات (موازين) أما ما ذكر في الحديث مفردًا فذلك باعتبار الجنس . وقال بعضهم : هو ميزان واحد ؛ ذلك لأنه ورد في الحديث مفردًا ، وهو قول الرسول ﷺ : « **ثقيلتانِ في الميزانِ** »[2] وأما جمعه في الآيات فباعتبار الموزون . وكلا الأمرين محتمل ، والله تعالى أعلى وأعلم .

٤ – ما هو الذي يوزن :

(أ) – هل الذي يوزن هو العمل ؛ وذلك لظاهر قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[3]. ولظاهر الحديث السابق: « **كلمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ خفيفتانِ على اللسانِ ، ثقيلتانِ في الميزانِ : سبحانَ اللهِ وبحمدِه سبحانَ اللهِ العظيمِ** »[4].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب (فضل التسبيح) ومسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (فضل التهليل والتسبيح) .

(٣) الأنبياء : (٤٧) .

(٤) جزء من حديث رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب (فضل التسبيح) ومسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (فضل التهليل والتسبيح) .

(ب) – أم الذي يوزن هو صحائف العمل ، وذلك لحديث صاحب البطاقة ، وهو قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه عمرو بن العاص في صاحب البطاقة : « فتُوضَعُ السِّجِلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ »[1].

(جـ) – أمْ أن الذي يوزن ويوضع في الميزان هو العامل نفسه أي صاحب الأعمال ؛ وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه لَيأتي الرجُلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامة لا يَزِنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ ، اقرءوا : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[2] »[3].

لقد جمع بعض العلماء بين هذه النصوص ، وقالوا بأن الجميع يوزن ، أو أن الوزن حقيقة للصحائف ، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال .

وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته ، وهذا جمع حسن ، والله أعلم[4].

* * *

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في السلسلة .

(٢) الكهف : (١٠٥) .

(٣) رواه البخاري (كتاب التفسير) سورة الكهف باب « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » .

(٤) انظر شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لابن قدامة المقدسي (شرح محمد ابن صالح العثيمين) .

○ ثامنًا : الصراط ○

١ - معنى الصراط ودليله :

معنى الصراط لغة : هو الطريق[١].

معنى الصراط شرعًا : هو الجسر الممدود على ظهر جهنم ؛ ليعبر الناس عليه إلى الجنة .

يجب الإيمان بالصراط ، وأنه حق ، وأن الناس كلهم سوف يمرون من عليه ، ويكون المرور عليه على حسب إيمان العبد ، فكلما كمل إيمان العبد وقوي كلما مرَّ بسرعة على هذا الصراط ، وهو موقف عظيم ثابت بالكتاب والسنة المطهرة ، وقول السلف ، وإجماع الأمة .

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[٢].

(أ) -ولقد فسر الورود هنا عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط .

(ب) - وفسره جماعة - منهم ابن عباس - بالدخول في النار لكن ينجون منها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا يموتُ لأحدٍ من المسلمينَ ثلاثةٌ من الولدِ تمسُّهُ النارُ إلا تحلَّةَ القَسَم** »[٣]. يعني الورود .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **ثم يُضربُ الجِسرُ على جهنمَ وتحلُّ الشفاعةُ ويقولون : اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ** »[٤].

٢ - صفة الصراط :

إن هذا الصراط مضروب على جهنم ، وهو أحدُّ من السيف ، وأدق من الشعرة ، وترسل الأمانة والرحمة فتقومان جنبتي الصراط ، وفي حافتي الصراط

---

(١) انظر المعجم الوسيط . (٢) مريم : (٧١) .

(٣) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (فضل من مات له ولد فاحتسب) و (كتاب الأيمان والنذور) باب « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » .

(٤) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب « وجوه يومئذ ناضرة » ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب صفة الصراط .

كلاليب معلقة مأمورة بأخذ مَن أمرت به ، وقد أحاط بالصراط سماطان من الملائكة دعاؤهم : [يا الله سلِّم سلِّم] ، وإن الكلاليب التي في جهنم والتي تخطف الناس مثل شوك السعدان (وهو نبت له حسكة يعم الشوك محيطها) .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن الصراط فقال : « مدحَضَةٌ مزِلَّةٌ ، عليها خطاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكَةٌ مُفلطحةٌ ، لها شوكةٌ عُقيفاءُ ، تكونُ بنجدٍ ، يُقال لها : السَّعدانِ »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال عن الصراط : « وبهِ كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعدانِ غير أنها لا يعلمُ ما قدرُ عِظَمِها إلَّا اللهُ ، يخطفُ الناسَ بأعمالِهم »[2].

ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : « بلَغني أنه أدقُّ من الشعْرِ وأحدُّ من السيفِ »[3].

٣ - العبور على الصراط :

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون ، وذلك على قدر أعمالهم فلن يستطيع اجتياز هذا الصراط الغريب في شكله ، الفريد في هيئته ، المخيف في منظره ، إلَّا هؤلاء الصفوة الذين طالما استقاموا على صراط الله المستقيم ، الذين تلمسوا الطريق الصحيح ، الذين سلكوا طريق الله ، واهتدوا بنور النبوة واقتفوا أثر أنبيائهم ، هؤلاء الصفوة الذين اعتادوا سلك طريق الحق ما كان لهم أن يزلوا على هذا الصراط ، فكما ثبّتهم الله على صراطه المستقيم في الحياة الدنيا فسوف ينجيهم من على هذا الصراط في الآخرة ، فلقد ذكروا الله في الرخاء فلن ينساهم الله في الشدة ، تعرفوا إلى الله في الحياة الدنيا فلن ينساهم في الآخرة . وإنّ عبور المؤمنين على هذا الصراط سوف يكون على حسب إيمانهم ، وعلى قدر منزلتهم عند الله تعالى ، فمنهم من يمر كطرف العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل ، ومنهم من يُسحب سحبًا .

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة».

(٢) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب الصراط جسر جهنم ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب صفة الصراط .

(٣) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب رؤية الله تعالى في الجنة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **فيمرُّ المؤمنون كطرفِ العينِ ، وكالبرقِ وكالريحِ وكالطيرِ وكأجاويدِ الخيلِ والركابِ ، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوشٌ مُرسَلٌ ومَكْدوسٌ في جهنمَ** »[1].

ومن حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما : « **تجري بهم أعمالُهم ونبيُّكُم قائمٌ على الصراطِ يقولُ : يا ربِّ ، سَلِّمْ سَلِّمْ ، حتى تَعْجِزَ أعمالُ العبادِ ، حتى يجيءَ الرجُلُ فلا يستطيعُ السَّيْرَ إلا زحفًا** »[2].

ومن حديث أبي سعيد الخدري : « **حتى يمرّ آخِرُهم يُسحبُ سحبًا** »[3].

٤ – أول من يعبر الصراط :

إن أول من يعبر الصراط من الأنبياء والمرسلين هو سيدنا محمد ﷺ فهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأول من يعبر الصراط ، وأول من يدخل الجنة ﷺ .

وأول أمة سوف تعبر الصراط هي أمة الحبيب محمد ﷺ تكرمة الله لنبيه ﷺ فهي خير أمة أخرجت للناس ، وأول أمة ستحاسب ، وأول أمة تجتاز الصراط ، وأول أمة تدخل الجنة ، فالحمد لله الذي جعلنا من أتباع محمد ﷺ ، والحمد لله الذي شرفنا بالانتساب إلى أمته ﷺ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ويُضرَبُ الصِّراطُ بين ظَهرَي جهنمَ ، فأكونُ أنا وأُمَّتي أوَّلَ من يُجيزُها ، ولا يتكلَّمُ يومئذٍ إلَّا الرُّسُلُ ، ودعاءُ الرُّسُلِ يومئذٍ : اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ** »[4].

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (رؤية الله تعالى في الجنة) .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب(الشفاعة) .

(٣،٤) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ .

○ تاسعًا : الحوض ○

١ - معنى الحوض ودليله :

معنى الحوض لغة : مجتمع الماء ؛ يقال : حاض الماءَ يحوضه ؛ إذا جمعه ، ويطلق على مجتمع الماء[١] .

معنى الحوض شرعًا : حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ وهو مورد عظيم تَرِده أمة محمد ﷺ يوم القيامة ، فإن هذا النهر قد أعطاه الله عز وجل للنبي في يوم القيامة لكي يسقي أمته منه - قبل دخولهم الجنة- شربة هنيئة لا يظمئون بعدها أبدًا ، ويكون شربهم في الجنة عن تلذذ وليس عن ظمأ .

قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[٢] .

وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : **« إنّي فَرَطُكُم[٣] على الحوضِ »[٤].**

وعن أنس رضي الله عنه قال : **سُئل رسولُ الله ﷺ : ما الكوثرُ ؟ قال : « ذاكَ نهرٌ في الجنةِ أعطانيهِ اللهُ ؛ أشدُّ بياضًا من اللبنِ ، وأحلى من العسلِ ، فيه طيرٌ أعناقُها كأعْنُقِ الجزورِ . فقال عمرُ رضيَ اللهُ عنه : إنَّ هذه لَناعِمةٌ . فقال رسول الله ﷺ : أكَلُها أنعمُ منها »**[٥] (أي أكلتها أحسن منها) .

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) الكوثر : (١) .

(٣) فرطكم : الفرط هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء .

(٤) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب في الحوض ومسلم (كتاب الفضائل) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(٥) رواه أحمد ورواه الترمذي ،كتاب صفة الجنة وقال:حسن غريب .

٢ – صفة الحوض :

إن من صفات هذا الحوض العظيم أن طوله مسيرة شهر ، وعرضه مسيرة شهر ، وكل زاوية من زواياه مسيرة شهر ، فهو في غاية العِظَم والاتساع ، فيه ميزابان من الجنة ، عرضه مثل طول ما بين (عمَّان إلى أيلة) ويُمد من نهر الكوثر ، وهذان الميزابان أحدهما من ذهب والثاني من فضة . ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحًا من المسك ، آنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية ، مَن شَرِبَ منه لا يظمأ أبدًا ، ويُشرب في الجنة عن تلذذ وليس عن ظمأ .

وهذا الحوض موجود الآن ؛ وذلك لقول النبي ﷺ : « **وإني – والله – أنظرُ إلى حوضي الآنَ** »[1].

فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « **إنَّ قَدْرَ حوضي كما بينَ أيلةَ وصنعاءَ من اليمنِ ، وإنَّ فيه من الأباريقِ كعددِ نجومِ السماءِ** »[2].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : **قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، ما آنيةُ الحوضِ ؟ قال** : « **والذي نفسي بيدِهِ ، لآنيتُهُ أكثرُ من عددِ نجومِ السماءِ وكواكبِها في الليلةِ المظلمةِ المُصْحيةِ ، آنيةُ الجنةِ مَن شَرِبَ منها لم يظمأ آخِرَ ما عليه . يَشخُبُ فيه ميزابان[3] من الجنةِ ، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمأ . عَرْضُهُ مثلُ طُولِهِ ما بينَ عَمَّان إلى أيْلةَ وماؤه أشدُّ بياضًا من اللبنِ ، وأحلى من العسَلِ** »[4].

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب في الحوض ومسلم (كتاب الفضائل) باب حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(٢) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب في الحوض ومسلم (كتاب الفضائل) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(٣) ميزابان : قال في اللسان : وَزَبَ الشيءُ يَزِبُ وزوبًا ، إذا سال . الجوهري : الميزابُ : المِثْعب .

(٤) رواه مسلم كتاب (الفضائل) باب حوض نبينا وصفاته .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : **لما عُرِجَ بالنبيِّ ﷺ إلى السماءِ قالَ : « أتيتُ على نهرٍ حافتاه قِبابُ اللُّؤلُؤِ المُجوَّف فقلتُ : ما هذا يا جبريلُ ؟ قال : هذا الكوثرُ »**[1].

٣ - أناس يمنعون من ورود الحوض :

فبينا النبي ﷺ **واقف على حوضه ويدعو أمته لكي يشربوا من يده** الشريفة شربة لا **يظمئون بعدها أبدًا ، وبينا هو كذلك ﷺ إذ يرفع إليه أناس** فيناديهم ، حتى إذا أقبلوا عليه مُنعوا ، **فيقول الرسول ﷺ مدافعًا عنهم : أمتي** فيقال له ﷺ إنك لا تدري ما عملوا بعدك فإنهم ما زالوا يرجعون على أعقابهم ، فلقد مشوا القهقرى .

فيحزن الرسول ﷺ عليهم ويغضب منهم فيقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي.

فعن أسماء رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : **« أنا على حوضي أنتظرُ مَنْ يَرِدُ عليَّ ؛ فيؤخذُ بناسٍ من دوني ، فأقولُ : أُمَّتي ، فيُقالُ : لا تدري ، مشَوْا على القَهْقَرَى »**[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« أنا فرطُكُم على الحوضِ لَيُرْفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم حتى إذا أهويتُ لأناولَهم اختلَجوا دوني ، فأقولُ : أيْ ربِّ ، أصحابي . فيقولُ : لا تدري ما أحدثوا بعدَك »**[3].

ومن حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ يقول : **« سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بدَّل بعدي »**[4].

ولكن هل هؤلاء الذين ابعدوا عن الحوض هم من المرتدين عن الدين أم هم من عصاة المسلمين ؟

---

(١) رواه البخاري (كتاب التفسير) تفسير سورة الكوثر .

(٤،٣،٢) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب في الحوض ، ومسلم (كتاب الفضائل) باب إثبات حوض نبينا وصفاته .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني :

وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام فلا إشكال في تبرّي النبي ﷺ منهم وإبعادهم .

وإن كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن ، أو بدعة من اعتقاد القلب ، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم ؛ اتباعًا لأمر الله فيهم ؛ حتى يعاقبهم على جنايتهم ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته ، فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار والله أعلم [1] .

* * *

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (للإمام ابن حجر العسقلاني) كتاب الرقاق باب (في الحوض) .

○ عاشرًا : الشفاعة ○

١ - الشفاعة (تعريف وبيان) :

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب[١].

الشفاعة شرعًا : هي التوسط للغير بجلب منفعة له أو دفع مضرة عنه .

وأكثر ما يستعمل معنى الشفاعة في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى .

ومن الشفاعة دعاء المرء لأخيه وطلبه من الله تعالى بأن يهديه إلى الصواب ، أو يدفع عنه ضرًا ، أو يغفر له خطاياه ، سواء أكان ذلك في الحياة الدنيا من الحي للحي أو من الحي للميت ، أو كان ذلك يوم القيامة ، فإن الشفاعة سببٌ من الأسباب التي يرحم الله بها من يرحم من عباده فيستحقها أهل التوحيد ، وشفاعة المخلوق عند المخلوق تختلف عن شفاعة المخلوق عند الخالق ، فقد يقبل المخلوق شفاعة مخلوق مثله لمصلحة عنده ، أو لخوف منه ، أو حرصًا على وداده والتقرب منه لحسب أو نسب ، ولكن الله هو الغني الحميد ، فهو لا يقبل الشفاعة إلا لمن ارتضى من عباده .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] :

فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع ، بغير إذن المشفوع عنده ، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده إليه ، وإما لخوف منه ؛ فيحتاج أن يقبل شفاعته عنده ، والله تعالى غني عن العالمين وهو وحده سبحانه يدين العالمين كلهم ، فما من شفيع إلا بعد إذنه ، فهو الذي يأذن للشفيع في

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) انظر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم (لشيخ الإسلام ابن تيمية) .

الشفاعة ، وهو يقبل شفاعته كما يُلهم الداعي الدعاء ، ثم يجيب دعاءه ؛ فالأمر كله له .

٢ – لمن تكون الشفاعة يوم القيامة :

والشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الله عز وجل يوم القيامة وارتضاه شفيعًا ، فيلهمه الله بأن يشفع ، فيشفعه الله في من يشاء من عباده .

قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[1].

وهذا من عظمته تعالى وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[2] .

أي أنه لا تنفع الشفاعة عند الله يوم القيامة إلا لمن أُذِنَ له الله عز وجل ، ورضي له الله أن يتكلم ، فيومئذ لا يستطيع أحد أن يتكلم ، ولو كان نبيًّا مرسلًا أو ملكًا مقربًا إلا بعد إذن الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[3] .

٣ – شروط الشفاعة :

إن للشفاعة شرطين لابد وأن يتحققا ، فإن الشفاعة عند الله عز وجل تختلف عن الشفاعة عند غيره ، فهو يقبل الشفاعة ممن يريد وممن يأذن له ، ولا يتقبلها في كل من يُشْفع لهم ، بل يقبلها فيمن يريد من عباده ، فسبحان الذي له الأمر من قبل ومن بعد .

الشرط الأول :

إن الشرط الأول هو الإذن للشافع بأن يشفع ، والإذن له بالقول ؛ فلا

---

(١) البقرة : (٢٥٥) .
(٢) طه : (١٠٩) .
(٣) النبأ : (٣٨) .

يتال الشفاعة كل من أرادها ، ولكن الله هو الذي يصطفي من خلقه ويختار من يكرمهم بشرف الشفاعة لبعض خلقه .

قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾[٢] .

ويقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل : « **فأستأذِنُ على ربِّي فيؤذَنُ لي ويُلهِمُني محامدَ أحمَدُهُ بها ...** »[٣].

الشرط الثاني :

في تحقيق الشفاعة هو الرضى عن المشفوع له ؛ أي الرِّضا عن المشفوع له ، وقبول الشفاعة فيه ، وهذا الرِّضا لا يتأتَّى لأي إنسان ، ولكنه يكون من نصيب العبد الذي اتبع أوامر الله تعالى ، واجتنب نواهيه من أهل التوحيد ، فهو مَرْضِيٍ عند الله تعالى ، وقال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٤] . وقال تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٥] .

٤ – أنواع الشفاعة :

إن الشفاعة يوم القيامة نوعان :

١ – شفاعة خاصة بالنبي ﷺ (الشفاعة العظمى) .

٢ – شفاعة عامة للنبي ﷺ ولغيره .

الشفاعة الخاصة (الشفاعة العظمى) :

وهي الشفاعة الخاصة بنبينا محمد ﷺ فلقد خصَّه الله تعالى بها من بين خلقه ؛ وذلك لمكانة رسولنا ﷺ عند ربه ، وتفضيلًا له على الأنبياء والمرسلين .

---

(١) البقرة : (٢٥٥) .

(٢) النجم : (٢٦) .

(٣) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة » ومسلم (كتاب الإيمان) باب الشفاعة .

(٤) الأنبياء : (٢٨) . (٥) غافر : (١٨) .

وهذه الشفاعة العظمى هي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى نبيه ﷺ .

قال تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[1]، وذلك حين يشتد على الناس الموقف ويلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون ؛ فيودون أن يقضي الله بينهم ؛ لكي يرحمهم من هذا الموقف الصعب ، الذي تشتعل منه الرأس شيبًا ويمتلىء منه القلب رعبًا وفزعًا ، فيذهبون إلى أبيهم آدم عليه السلام ؛ لعلهم يجدون عنده مخرجًا أو يكون لهم عند الله شفيعًا ، فيأمرهم بالذهاب إلى نوحٍ عليه السلام ، ولكنهم لن يجدوا عند نوح عليه السلام جوابًا ولا شفاعةً ، فيأمرهم بالذهاب إلى إبراهيم عليه السلام ، فإنه كان أمة وحده ، ولكن لن يجدوا عنده إلا ما وجدوا عند مَنْ قبله ، فيأمرهم بالذهاب إلى موسى عليه السلام ، كليم الله ؛ فلقد صنعه الله على عينه ، وألقى عليه محبة منه ، ولكن ليس هو الفارس المنتظر لهذا الموقف ، فيأمرهم بالذهاب إلى عيسى عليه السلام ، ولكن هؤلاء الأنبياء والمرسلين يعتذرون بعذر واحد ، وهو أن الله غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وبذنوب حصلت منهم . ويأمرهم عيسى عليه السلام بالذهاب إلى محمد ﷺ ويقول لهم : اذهبوا إلى محمد بن عبد الله فهو لها فهو لها . فيذهبون إلى محمد ﷺ فيقول : أنا لها ، أنا لها ، فيشفع فيهم إلى الله ، فيأتي الله سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده[2].

الشفاعة العامة :

وهذه الشفاعة العامة تكون للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة وللمؤمنين ، فهي عامة ، ولكل مَن أَذِنَ له الله عز وجل . ورضي له قولًا ، ودليل ذلك حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : « **فيقولُ اللهُ تعالى : شَفَعَتِ الملائكةُ ، وشفعَ النبيُّونَ ، وشفعَ المؤمنون ولم يبقَ إلا أرْحمُ الراحمينَ ، فيقبضُ قبضةً من النارِ ، فيُخرجُ منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ قد عادوا حِمَمًا** »[3].

وهذه الشفاعة تكون فيمن دخل النار من المؤمنين ، وهم أهل الكبائر أن

---

(١) الإسراء : (٧٩) .

(٢) يراجع حديث الشفاعة الطويل في كتب السنة كالبخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد .

(٣) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها =

يخرجون منها بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا وحُممًا ، فهؤلاء المؤمنون يأذن الله لمن شاء من عباده أن يشفع فيهم ، رحمة بهم ولما في قلوبهم من إيمان وتوحيد ، وذلك بعد ما عُذِّبوا على قدر معاصيهم ، ومنهم من تدركه رحمة الله تعالى قبل أن يوفَّى له عذابه الذي يستحقه ، فإن الله تعالى هو أرحم الراحمين ، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أمَّا أهلُ النارِ الذين هم أهلُها فلا يموتون فيها ولا يحيَوْن ، ولكنْ أناسٌ (أو كما قال) تُصيبهم النارُ بذنوبهم – أو قال : بخطاياهم – فيُميتُهم إماتةً حتى إذا صاروا فحمًا أُذِنَ في الشفاعةِ** »[1] فلا غرابة أن تلحق رحمة الله هؤلاء العباد ، فرحمة الله وسعت كل شيء ، ولقد سمَّى نفسه تبارك وتعالى الرحمن الرحيم ؛ من أجل عباده المؤمنين المقصرين المفرطين الطامعين في رحمته ، بعد أن زلت أقدامهم ، فهم نصب أعينهم دائمًا حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **جعلَ اللهُ الرحمةَ مائةَ جزءٍ ، فأمسكَ عنده تسعةً وتسعين وأنزلَ في الأرضِ جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزءِ يتراحمُ الخلائقُ ، حتى ترفعَ الدابةُ حافرَها عن ولدِها خشيةَ أن تُصيبَهُ** »[2]. وفي رواية أخرى : « **إن للهِ تعالى مائةَ رحمةٍ ، أنزلَ منها رحمةً واحدةً بينَ الجنِّ والإنسِ والبهائمِ والهوامِّ ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطفُ الوحشُ على ولدِها ، وأخَّر اللهُ تسعًا وتسعين رحمةً ، يرحمُ بها عبادَه يومَ القيامةِ** »[3].

فعليك – أخي المسلم – أن تعبد الله [خوفًا وطمعًا] عليك أن تحذر غضب الله ، وعليك أن تتقي النار كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[4].

= ناظرة » ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب إخراج عصاة المؤمنين من النار .

(١) رواه أحمد في مسنده وقال ابن كثير في النهاية جـ / ٢ (صـ ٢٠٤) وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه .

(٢ ، ٣) رواه مسلم (كتاب التوبة) باب سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه .

(٤) التحريم : (٦) .

ولكن مع ذلك – أيها الأخ المسلم – لا تقنط من رحمة الله وعليك بالطمع في رَحمة الله تعالى ؛ فلقد وسعت رحمته كل شيء وإليك هذا الحديث الذي يجسد لنا فيه رسول الله ﷺ الصورة التي يجب أن يكون عليها المسلم دائمًا تجاه أمله في رحمة ربه ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : **قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ بسبي[١] فإذا امرأةٌ من السَّبي تسعى ، إذْ وجدتْ صبيًّا في السبي أخذتْهُ فألزمتْهُ ببطنِها فأرضعتْهُ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « أترونَ هذه المرأةَ طارحةً ولدَها في النارِ ؟ قلنا : لا . فقالَ : اللهُ أرحمُ بعبادِهِ من هذه بولدِها »[٢].**

فعليك أخي المسلم أن تطلب رحمة ربك ، وذلك بطاعته وفعل كل ما أمر به ، وترك كل ما نهى عنه ؛ لتفوز برضاه ورحمته ، فلكي تفوز بهذه الرحمة فعليك أن تسلك سُبُلها وتأخذ بأسبابها .

قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] .

شفاعة الرسول ﷺ للموحدين من أمته :

كما علمنا أن هناك شفاعة عامة – وهي للأنبياء والمرسلين والملائكة والمؤمنين – فإن هذه الشفاعة سوف تنفع عباد الله الموحدين ، وسوف تنفع كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مخلصًا بها قلبه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ ؟ فقالَ : « لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أنْ لا يسألَني عن هذا الحديثِ أحدٌ أوَّلَ منك ؛ لما رأيتُ من حرصِك على الحديثِ . أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ مَنْ قال : لا إلهَ إلَّا اللهُ ، خالصًا من قلبِهِ أو نفسِهِ »[٤].**

---

(١) السبي : النساء اللاتي يؤخذن من الكفار على إثر قتال .

(٢) رواه مسلم (كتاب التوبة) باب سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه .

(٣) الأعراف : (١٥٦) .

(٤) رواه البخاري (كتاب العلم) باب الحرص على الحديث .

فهذه الشفاعة إن شاء الله تعالى سوف تنال كُلّ موحد مات ولم يشرك بالله شيئًا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكلّ نبيٍّ دعوةٌ مُستجابةٌ ، فتعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوته ، وإنّي اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمّتي يومَ القيامةِ ، فهي نائلةٌ – إن شاء الله تعالى – مَن ماتَ من أمّتي لا يُشركُ باللهِ شيئًا »[1].

قال ابن القيم رحمه الله (في حديث أبي هريرة) :

تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته ﷺ تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين ، إن الشفاعة عندهم تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم ، فَقَلبَ النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد لله ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع ، ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليًا أو شفيعًا أن يشفع له وينفعه عند الله كما يكون عند خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلّا بإذنه في الشفاعة ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رَضِيَ قوله وعمله[2].

فهذه الشفاعة سوف تُنال أيضًا مَن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان أو أقل ، فلن يبقى في النار مَن قال يومًا : « لا إله إلا الله » ومات عليها ؛ فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال – بعد أن ذكر المقام المحمود –: « ثُمَّ أخِرُّ ساجدًا ، فيقولُ : يا مُحمَّدُ ، ارفعْ رأسَكَ ، وقلْ يُسمعْ لك ، وسَلْ تُعطَهْ ، واشفعْ تُشفَّعْ ، فأقولُ : يا ربِّ ، أُمّتي أُمّتي ، فيقولُ : انطلقْ ؛ فمَنْ كان في قلبه مثقالُ حبّةِ بُرةٍ أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأخرجه منها . فأنطلقُ فأفعلُ ، ثم أرجعُ إلى ربِّي فأحمَدُه بتلك المحامدِ ، ثم أخِرُّ ساجدًا ، فيُقالُ لي مثلَ الأوَّلِ ، فأقولُ : يا ربِّ ، أُمّتي أُمّتي ، فيُقالُ لي : انطلقْ ، فمَنْ كان في قلبِهِ مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرِجه منها ، فأنطلقُ فأفعلُ ، ثم أعودُ إلى ربِّي فأفعلُ كما فعلتُ ، فيُقالُ لي : ارفعْ رأسَكَ

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (الشفاعة) .

(٢) من كلام ابن القيم رحمه الله ، نقلًا عن كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) باب الشفاعة .

مثلَ الأولى ، فأقولُ : يا ربِّ ، أُمَّتي أُمَّتي ، فيُقالُ لي : انطلقْ ، مَنْ كان في قلبِهِ أدنى من مثقالِ حبَّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجْهُ من النارِ ، فأنطلقُ فأفعلُ ، ثم أرجعُ إلى ربِّي فأحمَدُه بتلك المحامدِ ، ثم أخِرُّ له ساجدًا ، فيُقالُ لي : يا مُحمَّدُ ، ارفعْ رأسَكَ ، وقلْ يُسمعْ لكَ ، وسلْ تُعطَهْ ، واشفعْ تُشفَّعْ ، فأقولُ : يا ربِّ لي فيمن قال : لا إلهَ إلا اللهُ ، قال : ليس ذلك لكَ ، أو قال : ليس ذلك إليك ، ولكن وعِزَّتي وجلالي وكبريائي وعَظَمتي لأُخرجنَّ من قال : لا إلهَ إلا اللهُ »[1].

٥ - قال ابن القيم رحمه الله : شفاعته ﷺ ستة أنواع :

لقد ذكر العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله أن شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة ستة أنواع :

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول : « أنا لها » وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ، ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يخرجهم من مقامهم في الموقف ، وهذه شفاعة يختص بها ، لا يشاركه فيها أحد .

الثاني : شفاعته لأهل الجنة في دخولها ، وقد ذكرها أبو هريرة في حديث طويل متفق عليه .

الثالث : شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار ، فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

الرابع شفاعته في العصاة من أهل التوحيد ، الذين دخلوا النار بذنوبهم . والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة ، وبدَّعوا من أنكرها ، وصاحوا به من كل جانب ، ونادوا عليه بالضلالة .

الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجتهم ، وهذا مما لم يتنازع فيه أحد .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (الشفاعة) .

السادس : شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه ، وهذه خاصة بأبي طالب وحده . « انتهى كلام العلّامة ابن القيم » .

ونقول : إن هناك نوعين لم يذكرهما العلّامة ابن القيم في تصنيفه لشفاعة الرسول ﷺ وهما :

أولًا : شفاعته ﷺ في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ، ودليل هذا النوع دعاؤه ﷺ لعكاشة بن محصن أن يكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لما طلب منه عكاشة رضي الله عنه ذلك ، فقال : « اللهمّ اجعلْهُ منهم » .

ثانيًا : شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ؛ ليدخلوا الجنة .

شفاعة المؤمنين لإخوانهم يوم القيامة :

ومن الشفاعة العامة أيضًا - كما ذكرنا سابقًا - شفاعة المؤمنين لإخوانهم العصاة ، وذلك بعد إذن الله تعالى لهم ، وبعد رضاه عن المشفوع فيهم ، وهذه كرامة للمؤمنين وتكريم لهم ؛ وذلك لما لهم عند الله من مكانة ودرجة ، فلكَم أطاعوا الله عز وجل في هذه الحياة الدنيا ، ولكَم عظّموه ، ولكَم انقادوا لأوامره ، وانتهوا عن نواهيه ؛ فيكرمهم الله عز وجل يوم القيامة ، ويأذن لهم في الشفاعة ، تفضُّلًا منه وحُبًّا لهم ، وتفضيلًا وتكريمًا لهم .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل قول رسول الله ﷺ : « وإذا رأوْا أنهم قد نجَوْا في إخوانِهم يقولون : ربَّنا ، إخوانُنا الذين كانوا يُصلُّون معنا ويعملون معنا ، فيقولُ الله تعالى : اذهبوا فمَنْ وجدتُم في قلبِهِ مثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرِجُوه ، ويُحَرِّم اللهُ صُورَهم على النارِ ، فيأتونهم وبعضُهم قد غابَ في النارِ إلى قدمِهِ وإلى أنصافِ ساقَيْهِ ، فيُخرجون مَنْ عرفوا ثم يعودون ، فيقولُ : اذهبوا فمَنْ وجدتُم في قلبِهِ مثقالَ نصفِ دينارٍ فأخرِجُوه ، فيُخرجون مَنْ عرفوا ثم يعودون ، فيقولُ : اذهبوا فمَنْ وجدتُم في قلْبِهِ مِثقالَ ذَرَّةٍ من إيمانٍ فأخرِجُوه فيُخرجون مَنْ عرفوا ... » الحديث[1] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة».

○ الجنة والنار ○

أولًا : الجنة :

تعريف الجنة لغةً : الحديقة ذات النخل والشجر أو البستان . والجمع جنان[1].

تعريف الجنة شرعًا : هي الدار التي أعدها الله في الآخرة لعباده المتقين ؛ أجْرًا وثوابًا لما قدَّموه في الحياة الدنيا من طاعة الله فيما أمر ونَهَى .

الجنة مخلوقة الآن :

ومن عقيدة المسلم أنه يؤمن بوجود الجنة ونعيمها وأن الجنة التي أعدها الله لعباده المتقين موجودة الآن تنتظر أصحابها وسكانها وعمارها في شغف وتلهف تكاد تنادي عليهم كل يوم وكل ليلة أن قد اشتقت لهؤلاء العباد الذين أطاعوا ربهم واتبعوا سنة نبيهم ، فهي أشد شوقًا إليهم منهم إليها ، ولقد هُيِّئت الآن وأُعِدَّت لهؤلاء العباد . قال تعالى : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]. والإعداد هو التهيئة ، فهي مهيأة الآن لاستقبال عباد الرحمن ، ولقد أخبر الرسول ﷺ بذلك من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ : حين صلى صلاة الكسوف قال : « إني رأيتُ الجنةَ ، فتناولتُ منها عُنقودًا ، ولو أخذْتُه لأكلتُم منه ما بقيتِ الدنيا ، ورأيتُ النارَ فلم أرَ كاليومِ منظرًا قطُّ أفظعَ ، ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ »[3].

فهنيئًا لعباد الرحمن الذين وجبت لهم الجنة فإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، هنيئًا لهم بما كانوا يعملون ، وبما قدمت أيديهم في الحياة الدنيا .

خلود الجنة وأهلها :

لقد حكم الله على كل شيءٍ بالفناء والعدم ، فكل نعيم في الحياة الدنيا مآله إلى الفناء ، مهما كبر ومهما كثر ومهما قدر عليه صاحبه ؛ ولذلك يسمى كل نعيم في هذه الحياة الدنيا بالعَرَضَ ، وذلك لأنه عُرْضَة للزوال والفناء . قال الله

---

(١) انظر المعجم الوسيط .
(٢) آل عمران : (١٣٣) .
(٣) رواه البخاري (كتاب الكسوف) باب صلاة الكسوف جماعة ، ورواه مسلم (كتاب الكسوف) باب عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف .

تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1] .

ولكن نعيم الجنة لن يزول ولن يفنى ؛ فهو نعيم أبدي شاء الله له الاستمرار والبقاء ، فهذه الجنة لا يفنى نعيمها ، ولا يموت سكانها ، ولا يهرم شبابها ، ولا تحيض نساؤها، ولا يخرج منها عُمّارها ، ولا يصل الهم والحزن إلى أهلها ، نعيمها دائم ، لا ممنوع ولا مقطوع ، قال الله تعالى : ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[3] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤتى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أملحَ ، فينادي مُنادٍ : يا أهلَ الجنةِ . فيشرَئِبُّونَ وينظرون ، فيقولُ : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ . وكلُّهم قد رآه ، ثُمَّ يُنادي : يا أهلَ النارِ . فيشرَئِبُّونَ وينظرون ، فيقولُ : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ . وكلُّهم قد رآهُ فيُذبح ، ثم يقولُ : يا أهلَ الجنةِ ، خلودٌ فلا موت ، ويا أهلَ النارِ ، خلودٌ فلا موت ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4] »[5] .

فيجب على المسلم أن يؤمن بوجود الجنة ، وأنها دار نعيم لعباد الله المؤمنين ، وأن الجنة لا تفنى ولا يفنى مَن فيها ، وأن الله قد كتب لها الخلود ولسكانها وعمارها ، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة والسلف الصالح .

مكان الجنة :

إن الجنة كما علمنا مخلوقة الآن ، وهي موجودة في أعلى عليين ؛ فحق لها أن تكون في أعلى عليين ؛ فإن العلو عنوان الكرامة والتكريم ، فهي عالية ونعيمها عظيم وعالٍ ، وأعدت لعباد اتخذوا العلو والكرامة والرفعة منهجًا لهم في حياتهم ،

---

(١) الرحمن : (٢٦، ٢٧) . (٢) البينة : (٨) .
(٣) الزمر : (٧٣) . (٤) مريم : (٣٩) .
(٥) رواه البخاري (كتاب التفسير من سورة مريم) باب « وأنذرهم يوم الحسرة » .

فلكم تعالوا وترفَّعَتْ أنفسهم عن الشرك وعن أن يقعوا في مهاوي الكفر والإلحاد ، ولَكَم تعَالَوا وترفَّعوا عن المعاصي وعن المحرمات ، فكان العلو عن الدنس ، ومهاوي الرذائل ، وخبائث الأمور - هو دَيْدَنَهم ، ولطالما رفعوا رؤوسهم عالية شامخة، يستعلون على كل كافر وعلى كل طاغية جبار، ولطالما رفعوا راية لا إله إلا الله عالية خفاقة على أرجاء المعمورة ، يأبون لها التنكيس .
فحق لهم أن يسكنوا هذه الجنة العالية في أعلى عليين . قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾[1] .

وفي حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قول رسول الله ﷺ : « **فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : اكْتُبوا كتابَ عبدِي في علِّيين وأعيدوه في الأرضِ** »[2].

نعيم الجنة :

لقد أعد الله تعالى لعباده المؤمنين المخلصين في الجنة الثواب العظيم والأجر الكبير جزاء إيمانهم الصادق ، وعملهم الصالح في الحياة الدنيا . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : أعددتُ لعباديَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ ، ولا خطرَ على قلب بشرٍ** »[3].
وهذا مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4] .

واعلم يا أخي أن الجنة هي فوق ما تقرأ أو تسمع ، وفوق ما يخطر ببالك حيث إن تصورنا وإدراكنا لا يحيط بالجنة ومعرفتها لأننا نتصور وندرك بقدر

---

(١) المطففين (١٨) .
(٢) جزء من حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده ، ورواه أبو داود وصححه الألباني وقال الحافظ في الفتح : هو أتم الأحاديث سياقًا .
(٣) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق) (باب صفة الجنة وأنها مخلوقة) ورواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) (باب صفة الجنة) .
(٤) سورة السجدة : (١٧) .

ما أوتينا في الدنيا من مُتع وزخرفة ، وشعورنا قاصر عن إدراك حقيقتها ، وأما ما جاء في القرآن والسنة من وصف بنائها ، وقصورها ، وولدانها ، وذهبها وأنهارها، وشجرها ، وثمرها - فلا يشبه شيئًا من جنسه في الدنيا ، وليس هو مثله ، وإن اشتركا في الاسم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1] : لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء[2] .

[والآن مع بعض النبذات السريعة من بعض نعيم أهل الجنة] :

١ - شجرها :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ في الجنةِ لَشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظِلّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها** »[3]. وفي رواية أُخرى عن أبي سعيد الخدري : « **إنّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ الجوادَ المُضَمَّرَ السريعَ مائةَ عامٍ ما يقطعُها** »[4].

٢ - رؤية الغرف :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « **إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم كما تتراءَون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ من الأُفقِ من المشرقِ أو المغربِ ، لتفاضُلِ ما بينهم . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، تلك منازِلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيدِهِ رجالٌ آمَنُوا باللهِ وصدَّقوا المرسلين** »[5].

٣ - سوق الجمعة :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنَّ في الجنةِ**

---

(١) البقرة : (٢٥) .

(٢) نقلًا عن (اليوم الآخر) للشيخ عبد القادر الرحباوي .

(٣،٤،٥) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب (صفة الجنة) .

لَسُوقًا يأتونها كلَّ جُمُعةٍ ، فتهُبُّ ريحُ الشَّمالِ فتحثو في وجوهِهم وثيابِهم فيزدادون حُسْنًا وجمالًا ، فيرجعون إلى أهليهم وقدِ ازدادوا حُسْنًا وجمالًا ، فيقولُ لهم أهلوهم : واللهِ لقدِ ازددتُم بعْدَنا حُسْنًا وجمالًا ، فيقولون : وأنتم واللهِ لقدِ ازددتم بَعْدَنا حُسْنًا وجمالًا »[١].

٤ – أنهارها :

قال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ... ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[٣] .

٥ – قصورها وخيمها :

قال تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[٤]

وقال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[٥] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **في الجنةِ خيمةٌ من لؤلؤةٍ مُجوَّفةٍ ، عرضُها ستُّون ميلًا ، في كلِّ زاويةٍ منها أهلٌ ، ما يرَوْنَ الآخرين ، يطوفُ عليهمُ المؤمنُ** »[٦].

---

(١) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب (صفة الجنة) .
(٢) محمد : (١٥) .
(٣) الواقعة : (١٧ : ١٩) .
(٤) الزمر : (٢٠) .
(٥) الفرقان : (٧٥) .
(٦) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) .

٦ - غلمانها :

قال تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾(٣) .

٧ - طعامها وشرابها :

قال تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾(٦) .

٨ - نساؤها :

قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٧) .

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾(٨) .

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾(٩) .

---

(١) الإنسان : (١٩) .
(٢) الطور : (٢٤) .
(٣) الواقعة : (١٧ : ١٩) .
(٤) الواقعة : (٢٠، ٢١) .
(٥) الواقعة : (٣٢، ٣٣) .
(٦) الواقعة : (١٧ : ١٩) .
(٧) البقرة : (٢٥) .
(٨) الصافات : (٤٨، ٤٩) .
(٩) الرحمن : (٥٦) .

وقال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أوَّلُ زُمرةٍ تَلِجُ الجنةَ ، صوَرُهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ولا يتغوَّطون فيها ، آنيتُهم وأمشاطُهم من الذهبِ والفضةِ ، ومجامرُهم من الألُوَّةِ ، ورشحُهُمُ المِسكُ ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتان ، يرى مُخُّ ساقِهما من وراءِ اللَّحمِ من الحسْنِ ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ ، قلوبُهم قلبٌ واحدٌ ، يُسبِّحُون اللهَ بُكْرةً وعشيًّا** »[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ولو أنَّ امرأةً من نساءِ أهلِ الجنةِ اطَّلعتْ إلى الأرضِ لأضاءتْ ما فيهما ، ولملأتْ ما بينهما ريحًا ، ولَنصيفُها (يعني خمارها) على رأسِها خيرٌ من الدنيا وما فيها** »[٥].

٩ – فرشها وأوانيها :

قال تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[٧] .

---

(١) الرحمن : (٥٨) .
(٢) الواقعة : (٣٥ : ٣٧) .
(٣) النبأ : (٣٣) .
(٤) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) (باب صفة الجنة) .
(٥) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل الجهاد (حديث صحيح) .
(٦) الرحمن : (٥٤) .
(٧) الغاشية : (١٣ : ١٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[١] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« جنّتانِ من فضةٍ آنيتُهما وما فيهما ، وجنتانِ من ذهبٍ آنيتُهما وما فيهما ، وما بين القومِ وبين أن يَنظُروا إلى ربهم إلّا رِداءُ الكبرياءِ على وجهِهِ في جنةِ عدنٍ »**[٢] .

حفت الجنة بالمكاره :

وبعد أن تجولنا جولة سريعة قصيرة مع بعض نعيم الجنة فلا بد لنا أن ننوه بأن هذا النعيم وهذه الجنة لابد لها من ثمن يدفعه العبد في الحياة لكي ينال هذا النعيم وهذا التكريم ؛ لأن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة .

ولن نجد الطريق مفروشًا بالورود والرياحين ولكن لابد أن يكون هناك ابتلاء وتمحيص ؛ كي يميز الله الخبيث من الطيب وذلك كما قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[٣] . فلابد من وجود الصعاب في كل طريق يؤدي إلى الجنة ، ولابد من محاربة الشيطان للإنسان ، وجلوسه على صراط الله المستقيم ؛ يصد عنه كل من أراد أن يسلكه ، ويُهبِّط من عزيمة هذه النفس التي جبلت على الراحة ، وتركن دائمًا للملذات والشهوات ؛ فالأمر يحتاج إلى يقين ثابت ، وعزائم صادقة ، وقلوب مخلصة ، لكي يجتاز كل هذه المهالك ، ويصل إلى رضوان الله وجنته .

وكما قال القائل : [**ليس العجب فيمن هلك كيف هلك ، ولكن العجب فيمن نجا كيف نجا**]. نعم فإن المهالك كثيرة ، سواء كان ذلك من الشيطان ، أو النفس ، أو الهوى ، أو العادات والتقاليد ، أو ما عليه الآباء والأجداد ، أو

---

(١) الإنسان : (١٥ : ١٦) .

(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (رؤية المؤمنين ربهم) .

(٣) العنكبوت : (١ : ٣) .

ما تعارف عليه المجتمعات والشعوب ؛ فإن طرق الباطل والمهالك كثيرة ، ولكن طريق الحق واحد ، لا يسلكه إلا من رضي الله عنه ، وعلم صدق إيمانه ، وإخلاص توحيده لله عز وجل .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **حُفَّتِ الجنَّةُ بالمَكارِهِ وحُفَّت النارُ بالشَّهَواتِ** »[1].

قال الإمام النووي رحمه الله :

هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن ، ومعناه : لا يوصل الجنة إلّا بارتكاب المكاره ، والنار بالشهوات ، وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب ، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره ، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات . فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات ، والمواظبة عليها ، والصبر على مشاقها ، وكظم الغيظ ، والعفو والحلم والصدقة ، والإحسان إلى المسيء ، والصبر عن الشهوات ونحو ذلك ، وأما الشهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر أنها الشهوات المحرمة ؛ كالخمر ، والزنا ، والنظر إلى الأجنبية ، والغيبة ، واستعمال الملاهي ، ونحو ذلك[2] .

○ رؤية الله تعالى في الجنة ○

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة رؤية الله تعالى في الجنة ، وهي أفضل ما يمنُّ الله به على عباده في الجنة ؛ لأنه لا يداني لذة النظر لوجه الله تعالى أي لذة مهما علت ، فكل نعيم وكل متعة وكل لذة فهي دون لذة ومتعة النظر إلى وجه الله تعالى ، ورؤيته في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب صفة الجنة .

(٢) انظر شرح الإمام النووي لصحيح مسلم أول (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) .

أولاً : الأدلة من الكتاب :

١ - قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١] .

معنى ناضرة : من النضارة ؛ أي حسنة بهية مشرقة مسرورة .

ومعنى ناظرة : أي ترى ربها عيانًا[٢] .

قال ابن كثير رحمه الله :

وهذا - بحمد الله - مُجْمَع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام، وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها[٣] .

٢ - وقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٤] . الزيادة هي النظر إلى الله تعالى .

قال ابن كثير رحمه الله :

« وزيادة » هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وزيادة على ذلك أيضا ، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور ، والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه : النظر إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أُعْطُوه ، لا يستحقونها بعملهم ، بل بفضله ورحمته .

وقد رُوي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الرحمن بن سابط ، ومجاهد ، وعكرمة وعامر بن سعد ، وعطاء ،

---

(١) القيامة : (٢٢ ، ٢٣) .

(٢،٣) تفسير ابن كثير ، سورة القيامة .

(٤) يونس : (٢٦) .

والضحاك، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف[١].

٣ – وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٢].

قال الشافعي رحمه الله :

ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ، ثم تواترت الأخبار عن الرسول ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة[٣].

وسئل الشافعي رحمه الله – وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٤] ؟ – قال الشافعي رحمه الله : لما أن حُجِبَ هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، قال الربيع: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله عز وجل ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لَمَا عَبَدَ الله عز وجل[٥].

٤ – وقال تعالى :﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٦].

ففي صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي « ولدينا مزيد » أنها النظر إلى وجه الله الكريم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله : « ولدينا مزيد » قال : يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير ، سورة يونس .
(٢) المطففين : (١٥) .
(٣) تفسير ابن كثير ، سورة القيامة .
(٤) المطففين : (١٥) .
(٥) رواه الحاكم عن الربيع . (نقلا عن معارج القبول شرح سلم الوصول) .
(٦) ق : (٣٥) .
(٧) انظر تفسير ابن كثير (سورة ق) .

ثانيًا : الأدلة من السنة المطهرة على ثبوت الرؤية لله :

فمنها ما يلي :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه « أنَّ ناسًا قالوا : يا رسول الله ، هل نرى رَبَّنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : هل تُضارُّونَ في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تُضارُّون في رؤية الشمسِ ، ليس دونَها سحابٌ ؟ قالوا : لا ، قال : فإنكم ترَوْنه كذلك . يَجمع الله الناسَ يوم القيامة فيقول : مَنْ كان يَعْبُدُ شيئًا فَلْيَتْبَعْهُ ؛ فيتَّبع مَنْ كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ ، ومن كان يعبدُ القمرَ القمرَ ، ويتَّبع مَن كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقَى هذه الأمَّةُ فيها مُنافِقُوها »[1].

٢ - وعن جرير بن عبد الله قال النبي ﷺ : « إنّكم ستَرَوْن ربَّكم عِيانًا »[2].

٣ - وعن جرير بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال : « إنّكم ستَرَوْن ربَّكم يوم القيامةِ كما تَرَوْن هذا لا تُضامُونَ في رُؤْيَتِهِ »[3].

٤ - وعن جرير بن عبد الله قال : كُنَّا جُلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظَر إلى القمرِ ليلةَ البدرِ فقال : « إنكم ستَرَوْن ربَّكم كما تَرَوْن هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وصلاةٍ قبلَ غروب الشمسِ فافْعَلُوا »[4].

٥ - وعن أبي سعيد الخدري قال : قلنا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تُضارُّون في رؤية الشمسِ والقمرِ إذا صَحَوًا ؟ قلنا : لا ، قال : فإنكم لا تُضارُّون في رؤيةِ ربِّكم يومئذٍ إلا كما تُضارُّون في رؤيتهما »[5].

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » . ومسلم (كتاب الإيمان) باب إثبات رؤية الله في الآخرة .

(٢،٣،٤) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى:«وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة».

(٥) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى:« وجوه يومئذ ناضرة) ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب رؤية الله في الجنة .

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله[1] :

« المؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ، ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه » إلى أن قال على تشبيه الرسول ﷺ رؤية الله بالشمس والقمر » وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير». ويعني بقوله: (تشبيه للرؤية بالرؤية) أي أن تشبيه الرسول ﷺ في حديثه إنما هو تشبيه لوضوح الرؤية ، فسوف تكون الرؤية في الآخرة لرب العالمين واضحة كوضوح رؤيتنا الآن للشمس والقمر ، ويعني بقوله : (لا للمرئي بالمرئي) أي ليس المقصود تشبيه ذات الله العليا بالشمس أو بالقمر حاشا لله رب العالمين أن يكون له شبيه ؛ ولذلك قال ابن قدامة بعدها : « فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير » .

قال الإمام البيهقي[2] :

في معنى كلمة « تضامُّون » سمعت الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد الصعلوكي يقول في إملائه في قوله : لا تضامُّون (بالضم والتشديد) معناه : لا تجتمعون لرؤيته في جهة ولا يضم بعضكم إلى بعض . ومعناه (بفتح التاء) كذلك ، والأصل : لا تتضامون في رؤيته باجتماع في جهة (بالتخفيف) من الضيم ، ومعناه : لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض ، فإنكم ترونه في جهاتكم كلها وهو مُتعالٍ عن الجهة ، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون التشبيه للمرئي تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

٦ – عن عبد الله بن قيس عن النبي ﷺ قال : « **جَنَّتانِ من فضةٍ ؛ آنِيَتُهما وما فيهما ، وجَنَّتان من ذهبٍ ؛ آنيتُهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن يَنْظُرُوا إلى ربِّهم إلا رِداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنةِ عدنٍ** »[3].

---

(١) انظر لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي

(٢) نقلًا عن فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب التوحيد). باب قوله تعالى: «وجوه يومئذٍ ناضرة».

(٣) رواه البخاري (كتاب التفسير تفسير سورة الرحمن) باب « ومن دونهما جنتان » ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب « رؤية المؤمنين لربهم » .

٧ – عن صهيب رضي الله عنه : « **أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[١] وقال : إذا دَخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النارِ النارَ نادَى مُنادٍ : يا أهلَ الجنةِ إنَّ لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنجِزَكُمُوه فيقولون : ما هو ؟ ألم يُثَقِّل موازيننا ؟ ألم يُبَيِّض وجوهَنا ويُدْخِلْنا الجنةَ ويُجِرْنا من النارِ ؟ قال : فيَكْشِف لهم الحجاب ، فيَنظُرُون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحَبَّ إليهم من النَّظَرِ إليه ، ولا أقَرَّ لأعْيُنِهم** »[٢].

قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله في نونيته :

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يُرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم ينكـره إلا فـاسـد الإيمان
وأتى به القرآن تصريحًا وتعـ ـريضًا هما بسياقه نوعـان
وهي الزيادة قد أثبتت في يونس تفسير مَن قد جاء بالقرآن
ورواه عنه مسلم بصحيحه يَروي صهيب ذا بلا كتمان
وهو المزيد كذاك فسره أبو بكر هو الصديق ذو الإيقان
وعليه أصحاب الرسول وتابعو هم بعدهم تبعية الإحسان
ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الـ ـرَّحمٰن في سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الـ إجماع فيـه جماعة ببيـان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم لغةً وعرفًا ليس يختلفـان[٣]

قال الدكتور خليل هراس في شرحه للنونية :

والمؤمنون في الجنة يرون ربهم سبحانه مِن فوقهم رؤية حقيقية بأبصارهم كما يرى الشمس والقمر صحوًا ليس دونهما سحاب ولا ضباب، وقد تواتر النقل بذلك عن الرسول فلا ينكره إلا مدخول في دينه وإيمانه ، روي ذلك عن جماعة

(١) يونس : (٢٦) .
(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة .
(٣) جزء من نونية ابن القيم رحمه الله .

كثيرة من أصحابه منهم : أبو بكر الصديق ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وصهيب بن سنان الرومي ، وعبد الله بن مسعود الهذلي ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو موسى الأشعري ، وعدي بن حاتم ، وأنس ابن مالك[١] .

* * *

---

(١) انظر شرح هذه الأبيات للدكتور محمد خليل هراس ، ضمن شرحه للنونية (٢/ ٤١٠ : ٤١٢) .

○ ثانيًا : النار ○

تعريف النار لغة : معروفة أنثى ، وتصغيرها نُوَيْرةٌ . والجمع [نيران – نيار] والأخيرة عن أبي حنيفة رحمه الله(١).

تعريف النار شرعًا : هي الدار التي أعدها الله تعالى في الدار الآخرة عقابًا للكافرين والمنافقين والعصاة من المسلمين .

خلود النار :

يجب على المسلم أن يؤمن بوجود النار وأنها حق ؛ أعدها الله تعالى لعقاب الكافرين والمنافقين والعصاة من المسلمين الذين شاء الله أن يعذبوا ، ويجب عليه أيضًا أن يؤمن بوجودها الآن ، قال تعالى : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٢) فهي قد أُعِدَّت وجُهِّزت ، وهي في انتظار أهلها ؛ فلقد خلقت من أجلهم .

ويجب أيضًا الإيمان بخلود هذه النار وأنها أبدية . قال تعالى : ﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾(٣)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾(٤). وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾(٥).

النار دار المتكبرين :

إن أكثر أهل النار هم المتكبرون الذين غرتهم الحياة الدنيا وزينتها ، غرتهم

---

(١) انظر لسان العرب .
(٢) البقرة : (٢٤) .
(٣) النساء : (١٦٨ : ١٦٩) .
(٤) الأحزاب : (٦٤ : ٦٥) .
(٥) الجن : (٢٣) .

قوتهم وأموالهم وجيوشهم وعروشهم فهم من سلالة إبليس – عليه لعنة الله – حينما منعه الكبر عن السمع والطاعة لخالقه ، حينما أمره بالسجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] فمنعه كبره من السجود لآدم ؛ فكان ذلك الكبر سببًا في شقائه وشقاء كل من تبعه من ذرية آدم عليه السلام .

فأعد الله هذه النار لكل من يتكبر على خالقه ولم يَنْصَعْ لأوامره. ولكل من خرج عن شرعه واستبدله بقوانين وضعية هي زبالة فكر البشر وحثالة ثقافتهم الخربة المنحرفة ، أعد الله هذه النار لكل من تكبر على عباد الله الصالحين وأذاقهم ألوان العذاب لمَّا قاموا وأمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر ؛ فأخذته العزة بالإثم ؛ فحسبه جهنم وبئس المصير . فليعلم هؤلاء المتكبرون أن النار في انتظارهم جزاء تكبرهم على خالقهم وعلى شرعه وعلى سنة نبيه وعلى عباده المؤمنين . فعن حارثة ابن وهب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ألا أخبركم بأهل الجنة ، قالوا : بلى. قال ﷺ : كلُّ ضعيفٍ مُتَضَعَّفٍ لو أقْسَمَ على الله لأَبَرَّه ثم قال : ألا أخبركم بأهل النار ، قالوا : بلى ، قال : كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ** »[2]. وفي رواية : « **كلُّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ** »[3].

والعتل : هو الجافي ، الشديد الخصومة بالباطل ، وقيل : الجافي الفظ الغليظ .

والجواظ : هو الجَموع المَنوع ، وقيل : كثير اللحم المختال في مشيته ،

---

(١) سورة البقرة : (٣٤) .

(٢، ٣) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) (باب جهنم أعاذنا الله منها) .

وقيل : القصير البطين .

والزنيم : هو الدعي في النسب ، الملصق بالقوم وليس منهم ؛ شُبِّه بزنمة الشاة .

والمستكبر والمتكبر : هو صاحب الكبر ، وهو بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنفانِ من أهل النارِ لم أرَهُما ، قومٌ معهم سِياطٌ كأذنابِ البقرِ ، يَضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائِلاتٌ ، رؤوسُهُنَّ كأسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الجنة ولا يَجدنَ رِيحَها ، وإن ريحها لَتُوجَد مِن مسيرةِ كذا وكذا »[2]. وفي رواية : « يُوشِكُ إن طالتْ بك مُدَّةٌ أن ترى قومًا في أيديهم مِثْلُ أذنابِ البقرِ يَغْدُون في غضبِ الله ويَرُوحُونَ من سَخَطِ الله »[3].

فهذا الحديث وعيد ظاهر لهؤلاء الطواغيت ولجيوشهم وأتباعهم الذين يتحكَّمون في عباد الله المؤمنين المخلصين ويسومونهم سوء العذاب ، يدخلون الرعب في قلوبهم وقلوب أهليهم ، ويعذبون أجسامهم ويتفننون في ألوان وأنواع العذاب لهؤلاء المؤمنين الصالحين ، وما نقموا منهم إلا أنهم قالوا ربنا الله ، إلا أنهم أبوا أن يركعوا ويسجدوا إلا لله تعالى ، أبوا أن يُحْكموا إلا بشرع الله تعالى ؛ فقام هؤلاء الطواغيت بما عندهم من قوة يضربون أبشارهم ويستحلون حرماتهم ، لا يألون في مؤمن إلًّا ولا ذمة ، فندرأ بهذا الحديث في وجوههم ، ونعوذ بالله من شرورهم ، فهذه النار موعدهم وجزاؤهم ؛ لأن الله يغار على دينه ، ويغار على شرعه ، ويغار على أوليائه ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

والصنف الآخر هن الكاسيات العاريات ، النساء المتبرجات ، اللاتي خرجن

---

(١) انظر تعليق الإمام النووي على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم .

(٢ ، ٣) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) (باب جهنم أعاذنا الله منها) .

عن شرع الله وكشفن عوراتهن ، وأظهرن مفاتنهن ؛ إغواءً لعباد الله ، ومحالفة مع الشيطان ؛ فكان جزاء هذا الجسد الذي حارب ربه في الدنيا أن يكون له النار في الآخرة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تحاجَّتِ النارُ والجنةُ ، فقالت النارُ : أُوثِرْتُ بالمُتكبِّرينَ والمُتجبِّرين ... »[1].

بعض أوصاف النار :

١ - شدة حرها :

إن هذه النار التي أعدها الله لكل مَن خرج عن طاعته واتبع هواه ، ولكل مَن تكبر في الأرض ، وحارب دين الله - فهؤلاء وغيرهم ممن وجبت لهم النار أُعِدَّت لهم هذه النار ؛ فأُوقِدَ عليها ألف سنة حتى احمرت ، وألف سنة حتى ابيَضت ، وألف سنة حتى اسودت ، فهي الآن مسودة في انتظار أصحابها ؛ فنارها شديدة ، وحرها فظيع لا يتحمله ولا يتخيله أحد ، فهي فوق ما نتصور ، وبخلاف ما نتخيل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نارُكم هذه التي يُوقِدُ ابنُ آدم جزءٌ من سبعين جزءًا من حرِّ جهنَّمَ ، قالوا : والله إن كانت لَكافِيةً يا رسول الله ، قال : فإنها فُضِّلتْ عليها بتسعةٍ وستين جزءًا كلُّها مِثْلُ حرِّها »[2]. كما ورد أيضًا أن بعضها أكل بعضها ، واستغاث بعضها من بعض .

٢ - بُعْد قعرها :

إن هذه النار شديد حرها ، بعيد قعرها ؛ فإن قعرها بعيد عن خيال البشر ، فإن الله أعدها وجهزها وجعلها دركات ، ولكلٍّ على قدر كفره ومعصيته، وإنَّ دركاتها إلى أسفل، وذلك بخلاف الجنة، فهي درجات، وإلى أعلى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنَّا مع رسول الله ﷺ إذ سَمِع وَجْبَةً ، فقال النبي ﷺ : « تدرون ما هذا ؟ قال : قلنا : اللهُ ورسولُهُ

(١، ٢) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) (باب جهنم أعاذنا الله منها) .

أعلم ، قال : هذا حجرٌ رُمِيَ به في النارِ منذ سبعين خريفًا ، فهو يَهْوِي في النارِ الآن حتى انتهى إلى قَعْرِها »[1].

٣ - ملؤها :

لقد حكم الله تعالى على هذه النار أن تمتلىء بالجن والإنس ، وذلك على رغم سعتها وبعد قعرها ، وهذه النار لا تسأم ممن يوضع فيها ويقذف في قعرها ، بل إنها تريد المزيد ، فكما قال الله تعالى عنها : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[2] .ويؤتى بجهنم - والعياذ بالله - تُجرُّ مِن قِبَل سبعين ألف ملك عند كل زمام من زمامها ، وإن لها سبعين ألف زمام .

قال رسول الله ﷺ : **« يُؤتَى بجهنَّمَ يومئذٍ لها سبعون ألف زمامٍ مع كلِّ زمامٍ سبعون ألف مَلَكٍ يَجُرُّونها »[3].**

ورغم حجم هذه النار الكبير وقعرها البعيد فلسوف يملؤها ربنا بالكافرين والطغاة عن آخرها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« تحاجَّتِ الجنةُ والنار ، فقالت النار : أُوثِرْتُ بالمُتكبِّرين والمُتجبِّرين ، وقالت الجنة : فما لي لا يَدخُلُني إلا ضعفاءُ الناسِ ، وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أُعذِّبُ بكِ مَن أشاء من عبادي ، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها ؛ فأمَّا النار فلا تمتلىء حتى يَضَعَ الله تبارك وتعالى رِجْلَه تقول : قطِ قطِ قطِ ، فهنالك تمتلىء ويُزْوَى بعضُها إلى بعضٍ ، ولا يَظلم الله من خَلْقِه أحدًا ، وأمَّا الجنةُ فإن الله يُنشىء لها خَلْقًا »[4].**

وقوله ﷺ : **« حتى يَضَعَ الله تبارك وتعالى رِجْلَه »** وفي رواية أخرى صحيحة : **« حتى يضع قدمه »** فهذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات . وقول جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يُتكلم في تأويلها ، بل نؤمن

---

(١) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) (باب جهنم أعاذنا الله منها) .

(٢) ق : (٣٠) .

(٣،٤) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) (باب جهنم أعاذنا الله منها)

أنها حق، على ما أراد الله، وأن لها معنى يليق بها[١]، وتُجرى مجرى بقية الصفات.

٤ - أبوابها :

إن جهنم - والعياذ بالله منها ومن عذابها - لها سبعة أبواب، لكل باب منها أهل، على حسب أعمالهم وكفرهم، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾[٢] .

أولًا : جهنم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾[٣] .

ثانيًا : لظى :

قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾[٤] .

ثالثًا : الحطمة :

قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾[٥] .

رابعًا : السعير :

قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾[٦] .

خامسًا : سقر :

قال تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا

---

(١) راجع تعليق الإمام النووي على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم . (الباب السابق) .

(٢) الحجر : (٤٣ : ٤٤) .

(٣) الكهف : (١٠٢) .

(٤) المعارج : (١٥ : ١٨) .

(٥) الهمزة : (٤ : ٩) .

(٦) الفرقان : (١١) .

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾[1] .

سادسًا : الجحيم :

قال تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[2] .

سابعًا : الهاوية :

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[3] .

* * *

---

(١) المدثر : (٣٩ : ٤٧) .

(٢) الدخان : (٤٧ : ٤٩) .

(٣) القارعة : (٨ : ١١) .

الفصل السادس

الإيمان بالقـدر

☐ الفصل السادس ☐

○ الإيمان بالقدر ○

* القـدر *

معنى القدر لغة : المقدار ؛ مقدار الشيء وحالاته المقدرة[١] .

شرعًا : هو تحديد مقادير الأشياء قبل وقوعها وكتابتها في اللوح المحفوظ ؛ قال تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾[٢] .

وجوب الإيمان بالقدر :

يجب الإيمان بقضاء الله وقدره ، وهو الركن السادس من أركان الإيمان ؛ فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بقضاء الله وقدره ؛ وذلك لإخبار الرسول ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[٣] .

ومعنى الإيمان بالقدر : التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره ، وأن جميع ما يجري في الآفاق وفي الأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله تعالى، ومكتوب قبل خلق الخليقة ، وكل شيء بإرادة الله تعالى ولا يخرج عن مشيئته في الأرض ولا في السماء ، ولو أراد الله تعالى أن يعبده كل خلقه ما عصاه أحد ، بيده كل شيء يُحْيِي ويميت وهو على كل شيء قدير . قال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) فصلت : (١٠) .

(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (بيان الإيمان والإسلام والإحسان) .

فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾[1]. وقال: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾[2]، وقال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾[4]، وقال: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾[5]، وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[6].

سبحانه وتعالى فلا يخرج عن إرادته وسلطانه شيء، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره سبحانه، ولا يُسأل عما يفعل؛ وذلك لكمال حكمته وقدرته وعظيم سلطانه.

ومن أحاديث رسول الله ﷺ في القدر ما يلي:

عن طاووس رحمه الله أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب الرسول ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ «**كلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتى العَجْزُ والكَيْسُ، أو الكيسُ والعجزُ**»[7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسألِ المرأةُ طلاقَ أختِها لِتفرغَ صَحْفتها ولتَنكِحَ فإنَّ لها ما قُدِّرَ لها**»[8].

وعن عبد الله بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه بينما هو

---

(١) الحديد: (٢٢، ٢٣).
(٢) الأنبياء: (٢٣).
(٣) القمر: (٤٩).
(٤) الفرقان: (٢).
(٥) الأنعام: (١٢٥).
(٦) هود: (١٠٧).
(٧) رواه مسلم (كتاب القدر) باب (حجاج آدم وموسى عليهما السلام).
(٨) رواه البخاري (كتاب القدر) باب «وكان أمر الله قدرًا مقدورًا».

جالسٌ عند النبي ﷺ جاء رجلٌ من الأنصار فقال : يا رسول الله إنا نُصيبُ سَبْيًا ، ونُحِبُّ المالَ ، فكيف ترى في العَزْلِ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أوَ إنكم تفعَلُون ذلك ؟ لا عليكم ألّا تفعلُوا ؛ فإنه ليست نَسَمَةٌ كَتَبَ اللهُ أن تخرُجَ إلا هي كائِنَةٌ »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : « لا يأتي ابنَ آدَمَ النَّذْرُ بشيءٍ لم يَكُن قد قدَّرتُه ، ولكن يُلقيه القَدَرُ ، وقد قدَّرتُه له أستَخرِجُ به من البخيلِ »[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « واعلَمْ أنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخطِئَك وما أخطأك لم يكن لِيُصيبَك »[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احْرِصْ على ما يَنْفَعُك ، واستَعِن بالله ، ولا تَعجِزَن ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقُل:لو أني فعلتُ كذا وكذا ، ولكن قُل : قدَّرَ الله وما شاءَ فَعَلَ ، فإنَّ لو تفْتَح عملَ الشيطانِ »[4].

الفرق بين القضاء والقدر :

لقد اختلف العلماء في مسألة الفرق بين القضاء والقدر ، وتعريفهم للقضاء وللقدر ، واختلف تقديرهم للفرق بينهما .

فمنهم من قال : إن **القدر** : تقدير الله في الأزل ، **والقضاء** : حكم الله بالشيء عند وقوعه ، فإذا قدر الله تعالى أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر ، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاءً وهذا كثير جدًا في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾[5]، وقال : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِي

---

(١) رواه البخاري (كتاب القدر) باب «وكان أمر الله قدرًا مقدورًا» .
(٢) رواه البخاري (كتاب القدر) باب إلقاء العبد النذر إلى القدر .
(٣) رواه الترمذي (كتاب صفة القيامة) وقال: حديث حسن صحيح (وهو كما قال) ورواه أحمد والحاكم والطبراني وابن السني والآجري .
(٤) رواه مسلم (كتاب القدر) باب (الأمر بالقوة وترك العجز) .
(٥) يوسف : (٤١) .

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾[1]. **فالقدر** : تقدير الله تعالى بالشيء في الأزل .
والقضاء : قضاؤه به عند وقوعه .

ومنهم من قال : إنهما بمعنًى واحد ، والراجح هنا : إن قُرنا جميعًا فبينهما فرق كما سبق ، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنًى واحد ، والله أعلم[2]. ومعنى ذلك أن القدر إذا أطلق شمل القضاء ، والقضاء إذا أطلق شمل القدر ، ولكن إذا قيل : القضاء والقدر؛ صار بينهما فرق ، وهذا كثير في اللغة العربية ، وذلك بأن تكون الكلمة لها معنًى شامل عند الانفراد ، ومعنى خاص عند الاجتماع : وهناك عبارة مشهورة في هذا الأمر : (إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا) ولقد مر علينا هذا الأمر في الفَرْق بين الإسلام والإيمان ، وما بينهما من عموم وخصوص ، وقلنا : لو أطلق الإسلام منفردًا شمل الإسلام والإيمان ، وإذا أطلق الإيمان وحده شمل الإسلام والإيمان ، وإذا أطلقا معًا أريد لكل منهما معناه المعروف بأركانه . والله أعلم .

حكم الرضا بالقدر :

إن حكم الرضا بالقدر واجب على كل مسلم ، لأن ذلك من تمام الرضا بربوبية الله تعالى ، فمن لم يرضَ بقدر الله وقضائه فكأنما رفض ربوبية الله تعالى وتمرد عليها .

ولكن هناك فرق بين القضاء والمقضي فالقضاء هو فعل الله يجب الرضا به ولا بد من ذلك للمؤمن ، ولكن المقضي هو مفعول الله؛ ففيه أحوال وتفصيل :

الحالة الأولى :

ما يجب الرضا به ، وذلك مثل الواجب الشرعي ، لأن الله حكم به كونًا وحكم به شرعًا فيجب على المؤمن الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي.

---

(١) غافر : (٢٠) .
(٢) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/١٥٤) .

الحالة الثانية :

ما يحرم الرضا به فيحرم الرضا بالمعاصي مهما كان الأمر وإن كانت واقعة بقضاء الله ، فمن حيث هذا المقضي - وهو معصية الله - فيجب ألّا يرضى المؤمن بها والواجب عليه أن يسعى لإزالة هذه المعصية وألّا يكون لها وجود ، وذلك مع العلم بوجوب الرضا بها من حيث القضاء الذي هو فعل الله تعالى ، وأن يعتقد العبد أن الله تعالى له حِكْمَةٌ في قضائه بوقوع هذه المعاصي ، سواء ظهرت لنا هذه الحكمة أم لم تظهر لنا ، ولكن نؤمن بوجودها .

قال ابن قدامة رحمه الله :

« ومن صفات الله تعالى أنه فعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور ، أراد الله ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه ، خلق الخلق وأفعالهم ، وقدّر أرزاقهم وآجالهم ، يهدي من يشاء بحكمته »[1] .

الحالة الثالثة :

ما يستحب الرضا به ، وهذا النوع يستحب الرضا به ، ويجب الصبر عليه ، وهو الذي يقع في المصائب والابتلاءات ، فإنه يستحب من العبد أن يرضىٰ بما وقع له من المصائب والشدائد والنوازل ، ولكنه في نفس الوقت يجب عليه الصبر ، والفرق أن العبد قد يصبر على الشيء وهو الواجب ، ولكنه قد يكون كارهًا لهذا الأمر وهذه المصيبة ؛ فلا شيء عليه ، وهناك آخر يصبر على ما أصابه من مصيبة ؛ وهذا الواجب ، ولكن عن رضا حتى عن هذه المصيبة ، وبدون جزع ولا سخط ، بل يسلّم بهذه المصيبة ويرضىٰ بها ؛ لأنها من عند الله تعالى ،

---

(١) انظر لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (لابن قدامة المقدسي) صـ ٨٩ ضمن شرحها لابن العثيمين .

وجاءته بقدر الله تعالى؛ وهذا هو المستحب، وهذه منزلة عالية لا يصل لها إلا الصفوة من خلق الله؛ ولهذا قال الجمهور: إن الصبر واجب وإن الرضا مستحب.

مراتب الإيمان بالقدر[1] :

إن الإيمان بالقدر على أربعة مراتب هي :

المرتبة الأولى :

وهي الإيمان بعلم الله الذي هو صفته الأزلية فهو سبحانه عالم بكل شيء ، وهو بكل شيء محيط ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، فهو عالم بكل ما يكون جملة وتفصيلًا بعلم سابق ، فهو يعلم جميع خلقه قبل خلقهم ، ويعلم ما سيكون منهم ، ويعلم سرهم وعلانيتهم ، وظاهرهم وباطنهم ؛ وذلك لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[5] .

أما أحاديث الرسول ﷺ التي تثبت ذلك العلم لله تعالى فمنها :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سُئِل النبيُّ ﷺ عن أولادِ

---

(١) أصل هذا التقسيم مأخوذ عن كتاب معارج القبول شرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي ، وغيره من كتب أهل العلم ؛ فيحسن الرجوع إليها لمن أراد المزيد .

(٢) الحج : (٧٠) .

(٣) الطلاق : (١٢) .

(٤) الحشر : (٢٢) .

(٥) سبأ : (٣) .

المشركين ؛ فقال : « اللهُ أَعْلَمُ بما كانوا عامِلِين »[١].

٢ – عن علي رضي الله عنه قال : « كان رسولُ الله ﷺ ذات يوم جالسًا وفي يده عُودٌ يَنْكُتُ به ، فَرَفَعَ رأسه فقال : ما منكم مِن نَفْسٍ منفوسةٍ إلا وقد عُلِم منزلُها من الجنةِ والنارِ . قالوا : يا رسول الله فلِمَ نَعْمَلُ ؟ أفلا نَتَّكِل ؟ قال : اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِق له ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[٢] »[٣].

٣ – عن عائشة رضي الله عنها قالت : « تُوُفِّي صَبِيٌّ ، فقلت : طُوبَى له ، عصفورٌ من عصافيرِ الجنةِ ، فقال رسول الله ﷺ : « أَوَ لا تَدرِين أن الله تعالى خَلَق الجنةَ وخلَق النارَ ، فخلَق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا ؟ »[٤].

المرتبة الثانية :

الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء ، ولم يفرط فيه من شيء ، فكل شيء عنده في كتاب مبين ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[٥] وقوله : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[٦]. وقوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٧].

---

(١) رواه البخاري (كتاب القدر) باب « الله أعلم بما كانوا عاملين » ، ورواه مسلم (كتاب القدر) باب « كل مولود يولد على الفطرة » .

(٢) الليل : (٥ : ١٠) .

(٣) رواه البخاري (كتاب القدر) باب «وكان أمر الله قدرًا مقدورًا»، ورواه مسلم (كتاب القدر) باب « كيفية خلق الآدمي في بطن أمه » .

(٤) رواه مسلم (كتاب القدر) باب « كل مولود يولد على الفطرة » .

(٥) الأنعام : (٣٨) .

(٦) يس : (١٢) .

(٧) الأنعام : (٥٩) .

ولقول النبي ﷺ فيما يرويه عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « كُنَّا جُلُوسًا مع النبي ﷺ ومعه عُودٌ يَنْكُت في الأرض ، قال : ما منكم من أحدٍ إلا قد كُتب مقعدُه من النارِ أو من الجنةِ ، قال رجل من القوم : ألا نتَّكِل يا رسولَ الله ؟ قال : لا ، اعملوا فكلٌّ مُيَسَّر ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾[1] »[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما رأيتُ شيئًا أشْبَهَ باللَّمَمِ مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « إن الله كَتَبَ على ابن آدَمَ حَظَّهُ من الزّنا أدْرَكَ ذلك لا مَحالَةَ ، فزنا العينِ النَّظَرُ ، وزنا اللسانِ المنطقُ ، والنَّفسُ تَمَنّى وتشتهي ، والفَرْجُ يُصدِّقُ ذلك ويُكذِّبُه »[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف النبي ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ : « يا غلامُ إني مُعَلِّمُك كلماتٍ يَنفعُكَ اللهُ بهنَّ : احْفَظِ الله يَحْفَظْك ، احفظِ الله تَجِدْه تُجاهَك ، وإذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاسْتَعِنْ بالله ، واعْلَمْ أن الأُمَّةَ لو اجتمعوا على أن يَضُرُّوك لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كَتَبَه اللهُ عليك ، رُفِعتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ »[4].

المرتبة الثالثة :

وهي الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة ، وقدرته الشاملة ، وأنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادته ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ،

---

(١) الليل : (٥) .

(٢) رواه البخاري (كتاب التفسير، سورة الليل) باب «فسنيسره لليسرى» و (كتاب القدر) باب « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

(٣) رواه البخاري (كتاب القدر) باب «وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون» ، ورواه مسلم (كتاب القدر) باب « قدر على ابن آدم حظه من الزنا » .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في صفة القيامة ، وقال : حديث حسن صحيح .

فما شاء كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[١] . وما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئة الله إيجاده ؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، ولا يخرج عن إرادته شيء ، فلا يجري في ملكه إلا ما يريده ؛ فهو الخالق المالك لا رادَّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[٢] .

المرتبة الرابعة :

وهي الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق لكل شيء فلا خالق غيره ، ولا رب سواه ، فهو خالق كل عامل وعمله ، وكل متحرك وحركته ، وكل ساكن وسكونه، سبحانه وتعالى عما يشركون؛ ومما يدل على ذلك: قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤]، وقال تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٦] .

* * *

---

(١) يس : (٨٢) .
(٢) الأنعام : (١٢٥) .
(٣) الفرقان : (٢) .
(٤) الفاتحة : (٢) .
(٥) البقرة : (١١٧) .
(٦) الصافات : (٩٦) .

○ للإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها[(١)] ○

الأولى : الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب ؛ بحيث لا يعتمد على السبب نفسه ؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى .

الثانية : أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده ؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالى ، بما قدره من أسباب الخير والنجاح ، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .

الثالثة : الطمأنينة ، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى ، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه ؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[(٢)]. ويقول النبي ﷺ : « عَجَبًا لأمْرِ المؤمنِ إن أمرَهُ كُلَّهُ خيرٌ ، وليس ذاك لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ ؛ إن أصابَتْهُ سرَّاءُ شكَرَ ؛ فكان خيرًا له ، وإن أصابَتْهُ ضرَّاءُ صبرَ ؛ فكان خيرًا له »[(٣)].

* * *

---

(١) انظر « كتاب شرح أصول الإيمان » لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين .
(٢) الحديد : (٢٢ : ٢٣) .
(٣) حديث صحيح رواه الإمام مسلم (كتاب الزهد) باب (في أحاديث متفرقة) .

الباب الثالث
أنواع التوحيد

الفصل الأول
تعريف التوحيد وبيان فضله

□ الفصل الأول □

○ تعريف التوحيد وبيان فضله ○

* التوحيد *

معنى التوحيد لغة : الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له أو : تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ، ويتخيل في الأوهام والأذهان[١] .

والتوحيد : مصدر وحد يوحد .

معنى التوحيد شرعًا : هو اعتقاد تفرد الله تعالى بالربوبية ، وإخلاص العبادة له ، وإثبات ما له من الأسماء والصفات . وقد فسَّر أهل السنة التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل .

قال أبو القاسم التيمي في كتاب الحجة :

التوحيد مصدر وحد يوحد ، ومعنى وحدت الله: اعتقدته منفردًا بذاته وصفاته ، لا نظير له ولا شبيه ، وقيل : معنى وحدته : عَلِمْتُه واحدًا .

وقيل : سلبت عنه الكيفية والكمية ، فهو واحد في ذاته ، لا انقسام له ، وفي صفاته ، لا شبيه له في إلهيته وملكه وتدبيره ، لا شريك له ، ولا رب سواه ، ولا خالق غيره[٢] .

التوحيد في آيات القرآن الكريم :

إن كل آية في القرآن فهي متضمنة التوحيد ، شاهدة به ، داعية إليه . فإن القرآن : إما خبر عن الله ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ فهو [التوحيد العلمي الخبري] ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يعبد دونه .

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) انظر مقدمة كتاب التوحيد لابن حجر العسقلاني في فتح الباري .

فهو [التوحيد الإرادي الطلبي] .

وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره ؛ فهي [حقوق التوحيد ومكملاته].

وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة ؛ فهو [جزاء توحيده] .

وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب، فهو (خبر عمَّن خرج عن حكم التوحيد).

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1].

التوحيد حق لله على عباده :

إن الله تعالى هو الذي خلق الخلق وتَفَرَّد بخلقهم ، ولم يشاركه أحد في الخلق، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ؛ فإن الذي خلق هو الذي له حق التشريع ، وحق الأمر والنهي ، وله حق أن يفرده خلقه ويُخُصُّوه بالعبادة ، فإن الخالق هو الذي يُعْبَد ، ويُفْرَد بالعبادة ؛ ولذلك فإن الله عز وجل يشير إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[2] ، فبيَّن سبحانه وتعالى أحقيته بالتشريع ، والأمر والنهي ، وصرف العبادة له ، وذلك من منطلق أنه هو الخالق .. والعقل يوافق ذلك والعُرف أيضًا ، فإن صاحب الشيء أحق به ، أفلا يكون خالق وموجد الخلق أحق بعبادتهم وتوحيدهم ؟!!!

والأدلة على ثبوت حق التوحيد لله تعالى من عباده ، وحثهم على ذلك ، وأن ذلك كان من أهم ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون ، الأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة المطهرة ، ومنها ما يلي :

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3]، وقال الله

---

(١) مدارج السالكين (لابن القيم) ضمن بغية القاصدين من كتاب مدارج السالكين (للشيخ عبد الله السبت) .

(٢) الأعراف : (٥٤) .

(٣) الذاريات : (٥٦) .

تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[٣] . ومن أحاديث رسول الله ﷺ الكثير والكثير ، نذكر منها ما يلي : قال ابن مسعود رضي الله عنه : « من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾[٤][٥] . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: **« كنت رَدِيفَ النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : يا معاذ أتدري ما حقُّ اللهِ على العباد ، وما حقُّ العبادِ على الله ؟ فقلت : اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ ، قال : فإن حقَّ الله على العباد أن يَعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا وحقُّ العبادِ على الله أن لا يُعذِّبَ مَنْ لا يُشرك به شيئًا ، فقلت : يا رسول الله أفلا أُبَشِّر الناسَ ؟ قال : لا تُبشِّرْهم فيَتَّكِلُوا »**[٦].

فضل التوحيد ومكانة من حققه :

إن للتوحيد مكانة عظيمة عند الله تعالى، ولقد خُلق الخلق من أجل تحقيقه؛ وذلك لما فيه من وضع الشيء في نصابه ، فيه توجيه العمل والنية والعبادة لمن يستحقها ، فيه اعتراف المخلوق بالخالق ، والإذعان له عن رضا وتَذَلُّلٍ وعرفانٍ

---

(١) النحل : (٣٦) .

(٢) النساء : (٣٦) .

(٣) الأنعام : (١٥١) .

(٤) الأنعام : (١٥١ – ١٥٣) .

(٥) رواه الترمذي في (التفسير) ، سورة الأنعام ، وحسنه ، وهو كما قال ، ورواه ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه .

(٦) رواه البخاري في (كتاب التوحيد) باب (دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب (حق الله على العباد وحق العباد على الله) ورواه ابن ماجه في (الزهد) .

ومحبة وإخلاص ؛ ولذلك فقد جعل الله عز وجل هذا التوحيد سببًا لدخول الجنة ونعيمها ، ومن حَادَ عن هذا التوحيد وزلت قدمه فقد وجبت له النار وبئس القرار ؛ فلا عجب ؛ لأن التوحيد هو أصل الأعمال ، وهو موجهها ، وعليه ينبى كل شيء فمن كان عمله على توحيد خالص صافٍ وإن قلّ عمله فهو مقبول ، مغفور له إن شاء الله تعالى ، وله الجنة إن شاء الله ولو بعد حين . ومن كان عمله على غير التوحيد فلن يقبل منه عمل ، ولو كان مثل جبل أُحد ؛ فكل ذلك يذهب هباءً منثورًا ؛ لأنه لا قاعدة له ، ولا أصل ثابت له ، قال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾[٢] .

ومن الآيات التي يبيّن فيها الله عز وجل فضل ومكانة أصحاب التوحيد — الذين لم يخلطوا إيمانهم بالشرك — قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[٣] .

قال الحافظ ابن كثير :

هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة ، المهتدون في الدنيا والآخرة[٤] .

وأقول : تخصيص الحافظ ابن كثير — رحمه الله — الأمنَ بيوم القيامة ، طيِّبٌ ولكن أرى أن الأمر فيه سعة ، والأمر أشمل من هذا فإن أهل التوحيد الذين حققوه وفرُّوا من الشرك لهم الأمن في الدنيا قبل الآخرة ، فإن من عقيدتهم وأصل إيمانهم

---

(١) الزمر : (٦٥) .
(٢) الكهف : (١٠٣ : ١٠٥) .
(٣) الأنعام : (٨٢) .
(٤) تفسير ابن كثير (سورة الأنعام) .

أن النفع والضر بيد الله عز وجل ، وأنه لن يقع في ملك الله إلا ما أراد الله تعالى ، وأن غير الله لا يملك نفعًا ولا ضرًا ، ولا حياة ولا موتًا ، فاطمأنَّت قلوبهم، وذهب عنهم الخوف، مهما تهددهم المهددون وتَوَعَّدهم المُتَوعِّدون، ومهما طغى عليهم الطغاة فقلوبهم مطمئنة خاشعة آمنة مستقرة تعلم أنه لن يأتيها إلا ما كتبه الله لها ، ولن يصيبها إلا ما كتبه الله عليها ، فهي راضية عن الله وعن كل ما يأتي من عند الله تعالى ، فَرَزَقها الله تعالى الأمن في الدنيا علامة وبشرى بالأمن في الآخرة .

ويؤيد ذلك قول سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يحدث عن ذلك الأمن الذي يعيشه ، والذي يملأ قلبه ، فهو لا يخاف ولا يهاب ما أشرك به قومه ، قال تعالى – على لسان إبراهيم –: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾[1]، وقوله أيضًا : ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾[2]،هكذا دائمًا يتكلم عباد الله الموحدون بمنطق الأمن ومن منطلق الطمأنينة، والثقة بالله عز وجل . فها هو أيضًا نبي الله هود عليه السلام يتحدى قومه أن يصيبوه هم وآلهتهم بسوء ، فهو آمن ثابت مطمئن ، واثق في الله ، ثابت بتأييد الله ، قال تعالى ، على لسان هود : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾[3].

﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي مهتدون في الدنيا لكل ما يحب الله عز وجل ويرضى ، موفقون دائمًا لطاعة الله تعالى ، ولكل ما يقربهم من الله عز وجل ، ومن رضاه وجنته . وهم مهتدون في الآخرة أيضًا ، فكما هداهم الله في الدنيا يهديهم في الآخرة فإنهم يقومون من قبورهم يعلمون أماكنهم ، ويرون كتبهم فيأخذونها بأيمانهم ، ويهديهم على الصراط فيجتازونه بسرعة البرق أو أسرع ، ويهديهم إلى رسولهم ﷺ فيردون حوضه ، ويشربون من يده الشريفة

(١) الأنعام : (٨٠) .
(٢) الأنعام : (٨١) .
(٣) هود : (٥٤ : ٥٥) .

شربة هنيئة لا يظمئون بعدها أبدًا ، وأخيرًا يهديهم ربهم إلى أماكنهم في الجنة ، فلقد عَرَّفها لهم ، وهداهم إليها ؛ فهم يعرفونها أكثر مما يعرفون بيوتهم في الدنيا ، والله أعلم .

ومن أحاديث الرسول ﷺ التي تبين فضل التوحيد ، ومكانة من حققه ما يلي :

١ – عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شهِدَ أن لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريك له وأن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ وأن عيسى عبدُ الله ورسولُهُ ، وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ ، ورُوحٌ منه ، والجنة حقٌّ ، والنار حقٌّ ، أدْخلَهُ الله الجنةَ على ما كان من العمل »[1].

٢ – ومن حديث عتبان قال رسول الله ﷺ : « لن يُوافَى عبدٌ يومَ القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجهَ الله إلا حَرَّمَ الله عليه النارَ »[2].

٣ – عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : « يا ابنَ آدم ! لو أتيتني بقِرابِ الأرض خطايا ثم لَقِيتَني لا تُشرك بي شيئًا لأتيتُك بقِرابها مغفرةً »[3].

٤ – ومن حديث أبي طارق بن أشيم الأشجعي ، والد أبي مالك رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قال : لا إله إلا الله ، وكَفَر بما يُعْبَد من دونِ الله حَرُمَ مالُهُ ودمُهُ ، وحسابُه على الله عز وجل »[4].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الأنبياء) (باب قوله تعالى: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ومسلم في (كتاب الإيمان) (باب عقائد التوحيد)، والترمذي في (الإيمان).

(٢) رواه البخاري (كتاب الرقاق) (باب العمل الذي يبتغى به وجه الله) ، وروى مسلم نحوه (كتاب الإيمان) (باب عقائد التوحيد) .

(٣) رواه الترمذي في (الدعوات) وحسنه ، ورواه الدارمي وأحمد من حديث أبي ذر ، والطبراني من حديث ابن عباس ، وحسنه الألباني في (الأحاديث الصحيحة) .

(٤) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) (باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه) ، وأحمد في المسند .

الفصل الثاني
التوحيد

□ الفصل الثاني □

○ التوحيد ○

* أنواع التوحيد *

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

١ – توحيد الربوبية .
٢ – توحيد الألوهية .
٣ – توحيد الأسماء والصفات .

○ أولًا : توحيد الربوبية ○

وهذا التوحيد هو توحيد الله تعالى بفعله ؛ فهو سبحانه وتعالى (الخالق والرازق ، والمحيي والمميت ، والمبدئ والمعيد ، والأول والآخر ، منزل المطر ، مجري السحاب ...) وهذا النوع هو الذي أقر به الكفار ، ولم يدخلهم في الإسلام ، وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ[2] قُلْ أَفَلَا

---

(١) يونس : (٣١) .

(٢) هكذا (لله) بالإضافة ، وذلك على قراءة حفص عن عاصم ، وهناك قراءة صحيحة بأل التعريف (الله) عند : نافع وابن كثير ، وأبي عمرو .

تتقون ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[١] .

إثبات ربوبية الله تعالى :

قال الشيخ حافظ الحكمي :

وأنه الرب الجليل الأكبر	الخالق البارىء والمصور
باري البرايا منشىء الخلائق	مبدعهم بلا مثال سابق

«وأنه الرب» أي وإثبات ربوبيته بأنه رب كل شيء ومليكه، رب الأولين والآخرين، رب المشرقين ورب المغربين، رب السموات والأرضين وما بينهما، رب العالمين، رب الآخرة والأولى، مالك الملك، فلا شريك له في ملكه يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويصل من يشاء ويقطع من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا، ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، يحيي الأرض بعد موتها، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مُسَمًّى، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، علَّم وألهم، ودبَّر فأحكم، وقضى فأبرم، لا رادَّ لقضائه، ولا مضاد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا شريك له في ملكه، ولا إله غيره ولا رب سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢].

مفهوم كلمة الرب في الكتاب والسنة :

مفهوم كلمة الرب في الكتاب والسنة أنه هو الخالق الذي أوجد ، والمتكفل

---

(١) المؤمنون : (٨٤ - ٨٩) .

(٢) معارج القبول شرح سلم الوصول (للشيخ حافظ الحكمي) (١/ ١٣٠ ، ١٣١) وذلك باختصار .

بمصلحة الموجودات ، وتسييرها وتدبير أمورها ، فأصل الرب هو مصدر (ربَّ يَرُبُّ) بمعنى نشأ الشيء من حال إلى حال إلى حال التمام .

ويقال : (ربّه ، وربّاه ، وربّبه) وذلك لأن لفظ (رب) مستعار للفاعل.

وعلى هذا إنْ ذُكر لفظ (رب) معرفًا (الرب) أو على الإطلاق فلا يراد به إلَّا الله، ولا يجوز إطلاقه إلَّا على الله تعالى. ولكن إذا أضيف لفظ (رب) يجوز فيه الإطلاق على الله وعلى غيره؛ وذلك كقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[2]. ويقال : رب الأسرة ، ورب العائلة ، ورب الفرس ، ومنه قول الله تعالى : ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[3] ؛ أي سيسقى سيده ، وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ في ضالَّة الإبل : « حتى يجدها ربها »[4] .

قال العلَّامة الجهبذ ابن القيم : فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم ، وجزاء محسنهم بإحسانه ، ومسيئهم بإساءته [5] .

وعلى هذا فالخلق كلهم عبيد ربوبيته سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[6] .

الربوبية والفطرة في الإنسان والكون :

إن الإقرار بربوبية الله تعالى أمر فطري في الخلق ، وهو الأصل في الفطر السليمة والطبائع السوية ، والأمزجة المعتدلة . فلو خُلِّي العبد وفطرته لاتجه إلى التوحيد الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، ودلَّت عليه الآيات

---

(١) الفاتحة : (٢) .
(٢) الفرقان : (٧٤) .
(٣) يوسف : (٤١) .
(٤) جزء من حديث رواه البخاري (كتاب اللقطة) باب (ضالة الغنم) ، ومسلم (كتاب اللقطة) باب (تعريف اللقطة) .
(٥) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٦٨) .
(٦) مريم : (٩٣) .

الكونية ؛ قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[١]. وفي الحديث الصحيح قول النبي ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه** »[٢]؛ فإن جميع الكون بسمائه وأرضه ، وأفلاكه وكواكبه ، ودوابه وشجره ومدره ، ما ظهر لنا منه وعلمناه، وما خفي عنا وجهلناه ، فكل الكون : برّه وبحره ، وملائكته وجنّه وإنسه كله خاضع لله ، مطيع لأمره الكوني ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[٣] . وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾[٤] . فكل هذه الكائنات والعوالم منقادة لله ، خاضعة لسلطانه ، تجري وفق إرادته وطوع أمره ، لا يستعصي عليه منها شيء ، تقوم بوظائفها وتؤدي نتائجها بنظام دقيق ، وتنزه خالقها عن النقص والعجز والعيب ؛ قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[٥]. فهذه المخلوقات– صامتُها وناطقها، وحَيُّها وميتها– كلها مطيعة لله، منقادة لأمره الكوني ، وكلها تنزه الله عن النقائص والعيوب بلسان الحال ولسان المقال ، فكلما تدبر العاقل هذه المخلوقات علم أنها خُلقت بالحق وللحق ، وأنها مُسَخَّرات ، ليس لها تدبير ولا استعصاء عن أمر مدبرها ، فالجميع مقرون بالخالق بفطرتهم[٦] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

في قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) الروم : (٣٠) .

(٢) رواه البخاري (كتاب الجنائز) باب (ما قيل في أولاد المشركين) ، ومسلم (كتاب القدر) باب(معنى كل مولود يولد على الفطرة).

(٣) آل عمران : (٨٣) .

(٤) الرعد : (١٥) .

(٥) الإسراء : (٤٤) .

(٦) انظر كتاب التوحيد للدكتور صالح الفوزان (وزارة المعارف) (٣٢ : ٣٣) .

﴿وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[(١)]. قال: فذكر سبحانه إسلام الكائنات طوعًا وكرهًا ؛ لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العامّ ، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره ، وهم مدينون له مُدبَّرون ، فهم مسلمون له طوعًا وكرهًا[(٢)] .

منهج القرآن الكريم في إثبات ربوبية الله ووحدانيته :

إن للقرآن الكريم منهجًا عجيبًا، منهجًا سليمًا، منهجًا قويمًا في إثبات ربوبية الله تعالى ووحدانيته ، وهذا المنهج كافٍ لإقناع الفطر المستقيمة ، والعقول السليمة ، والأمزجة المعتدلة القويمة ؛ وذلك لما في هذا المنهج من الأدلة الواضحة ، والبراهين الساطعة ، التي تنطق بأعلى صوتها معلنة عن توحيدها لخالقها ، وإذعانها لمنشئها ، ذلك دون أدنى تردد أو أي انحراف أو انتكاس في الفطرة ، وصدق من قال :

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

ومن هذا المنهج في إثبات ربوبية الله تعالى ووحدانيته مناقشة قضية الخلق ، خلق الإنسان مثلًا، فهل هذا الإنسان الحي، السميع، البصير، المتحرك المفكر، هل وُجِدَ من غير مُوجِد ؟ هل خُلِقَ من غير خالق ؟ إن العقل السليم يؤمن بأن كل حدث لابد له من مُحْدِث وكل موجود لابد له من مُوجِد ، وكل مخلوق لابد له من خالق ؛ فلو قلنا مثلًا لإنسان ما : إن هذه السيارة بما فيها من أجهزة ، وبما فيها من تجهيزات ، وبما هُيِّئَتْ به من وسائل لمتعة الإنسان وراحته ، لو قلنا له : إن هذه السيارة لم يصنعها أحد ولم يجهزها أحد ، بل وُجِدَت هكذا من تلقاء نفسها ، فما رَدّ فعل هذا الإنسان علينا ؟ فليس أمامه إلا شيئان : إما أن يتهمنا بالجنون ، أو يتهمنا بالكذب والافتراء ، فإذا كان ذلك لا يُعقل في حق هذه السيارة الصامتة الجامدة ، التي لا تعقل ولا تفقه – أيُتصَوَّر ذلك في حق ذلك الإنسان الذي فيه أعظم آيات الله تعالى ؟!! وإذا سَلَّم الإنسان أن له خالقًا فهل يسعه أن يُنكر أن إلهه هو الله عز وجل ؟ فإذا وسعه ذلك فنطالبه بأن يبيِّن لنا

---

(١) آل عمران : (٨٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٠) .

مَنْ الذي خلقه ؟ وإلا فهو كاذب مفتر .

قال الله تعالى في محكم آياته ؛ يُبيِّن لنا هذه القضية بأسلوب معجز ؛ يُجلِّي لنا الحقيقة ، ويبهت كل منافق وكل كافر ملحد - قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3] .

ومن منهج القرآن الكريم أيضًا في إثبات ربوبية الله ووحدانيته : [الاستدلال بهذا الكون] ، وبما فيه من آيات واضحات ، وبما فيه من ظواهر ثابتة منتظمة ، وبما فيها من إحكام ودقة ، لا تتخلف عن وظيفتها ، ولا تتخلى عن مهمتها ، فهذه الكواكب وهذه النجوم تسير في أفلاكها بانتظام غريب وعجيب ، وبدقة متناهية ، حتى إنه ثبت علميًا أنه لو حدث اختلاف بسيط جدًّا في هذه الكواكب بأن تقدم كوكب على آخر بضع ثوانٍ لحدث تصادم، ولوقعت على الأرض وأحرقتها، وصدق الله العظيم حيث قال - وقوله كله صدق -: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[4] ، وأيضًا لم يحدث في يوم من الأيام أن أعلنت الشمس مثلًا تمردها على خالقها وامتنعت عن الشروق ، أو تكاسلت وتأخرت عن خروجها وإشراقها ، أو أنها سئمت خروجها من المشرق وخرجت علينا مرة من الجنوب أو من الغرب !!! ولم نسمع ولم نر قط أن القمر أعلن عصيانه ، وقال : سوف أخرج هذه المرة بالنهار ؛ فلقد سئمت التكرار ، وسوف أقوم بعملية تبادل وظيفة مع الشمس، سبحان الله ! ما حدث ذلك ، ولن يحدث ؛ لأن لهذا الكون إلهًا قويًّا ، قادرًا مهيمنًا ، لا يخرج عن طوعه وإرادته أحد .

---

(١) الطور : (٣٥) .
(٢) لقمان : (١١) .
(٣) النحل : (١٧) .
(٤) يس : (٤٠) .

فكل هذا وغيره إن دل فيدل على أن هذا الكون له خالق ، وله مدبر حكيم ، قوي مهيمن ، وأن هذا الخالق واحد ، وليس اثنين أو أكثر ، وإلا وجدنا اختلاف الآراء ، واختلاف نواميس الكون ، فلو كان هناك إلهان مثلًا لوقع الخلاف ، وذهب كل إله بخلقه ، ولحدث اضطراب في الكون ، إله يريد الشمس تشرق والآخر لا يريد ، إله يريد تنعيم فلان من خلقه والآخر يريد عذابه ، هذا يريد نزول المطر وهذا يريد حبسه ، والحاصل أنه لابد من وجود اختلاف في نواميس الكون . وهذا الانتظام الذي نشاهده ونلمسه خير شاهد على وجود خالق له ، وخالق واحد هو الذي يدبره بأمره .

والله عز وجل يقرر لنا هذه الحقيقة في كتابه العزيز ، حيث يقول : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2] .

* * *

(١) المؤمنون : (٩١) .
(٢) طه : (٥٠) .

الفصل الثالث
توحيد الألوهية

☐ الفصل الثالث ☐

○ توحيد الألوهية ○

* ثانيًا : توحيد الألوهية *

معنى الإله : الإله أصل لفظ الجلالة (الله) حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام ؛ فصارتا لامًا واحدة مشددة مفخمة .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : « إن لفظ الإلة أصل للفظ الجلالة (الله) كما قال سيبويه وجمهور الصحابة » وهكذا قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله[1] .

والتأله : التنسك والتعبد[2] .

معنى توحيد الألوهية اصطلاحًا :

توحيد الألوهية : هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع (كالدعاء والنذر والنحر ، والرجاء والخوف والتوكل ، والرغبة والرهبة والإنابة ...) وهذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[4] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده ؛ بأن

---

(١) انظر مقدمة (فتح المجيد) و (تيسير العزيز الحميد) شرح كتاب التوحيد .

(٢) انظر لسان العرب .

(٣) النحل : (٣٦) .

(٤) الأنبياء : (٢٥) .

يشهد أن لا إله إلا الله ، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[1].

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية – وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم – كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد ، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنُوا فيه فقد فنُوا في غاية التوحيد ، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزّهه عن كل ما يُنزّه عنه ، وأقرّ بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده ؛ فيقرُّ بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له . و (الإله) هو المألوه المعبود ، الذي يستحق العبادة[2] .

فهذا التوحيد – توحيد الألوهية – هو الذي خلق الله الخلق لأجله ، وشرع الجهاد لإقامته وجعل الثواب في الدنيا والآخرة لمن قام به وحققه ، وجعل العقاب على من كفر به وتركه ؛ فهو أول الدين وآخره ، وظاهره وباطنه ، وهو صلب دعوة الرسل جميعًا ، وهو معنى قول (لا إله إلا الله) . وهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى ؛ وقد جعله الله تعالى الفيصل بين دخول جنته ودخول ناره ، فمن حقق هذا التوحيد وجبت له الجنة ونعيمها ، ومن كفر بهذا التوحيد ولم يحققه فقد وجبت له النار وعذابها .

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

هذا وثاني نوعي التوحيد تو ... حيد العبادة منك للرحمٰن
بأن لا تكون لغيره عبدًا ولا ... تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان والـ ... إحسان في سرٍّ وفي إعلان[3]

---

(١) البقرة : (١٦٣) .
(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (نقلًا عن فتح المجيد) .
(٣) انظر نونية ابن القيم رحمه الله .

ركنا توحيد الألوهية :

إن لتوحيد الألوهية ركنين أساسيين ، لابد أن يتحققا لقبول هذا التوحيد .

قال ابن القيم رحمه الله :

والصدق والإخلاص ركنا ذلك التـ ـوحيد كالركنين للبنيان
وحقيقة الإخلاص توحيد المرا د فلا يزاحمه مراد ثان
والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ل الجهد لا كسلًا ولا متوان [1]

أما الإخلاص :

فهو توحيد الله بقصده وإرادته ؛ بأن يعمل العمل لا يبتغي به إلا وجه الله ، وإلا طلب ثوابه ورضاه ، بحيث لا يزاحمه مراد ثانٍ من حب مَحْمدة أو رغبة في شهرة أو غير ذلك من حظوظ النفس العاجلة ، وكذلك لا يريد به التقرب إلى غير الله عز وجل ، فإنه إذا كان رب العبد الذي خلقه وصَوَّره ، وشق سمعه وبصره ، وأجرَىٰ عليه رزقه ، وأسبغ عليه نعمه ، ظاهرة وباطنة – واحدًا ، وهو الله عز وجل ، لم يشرك في خلقه ولا في رزقه ولا في تدبير شئونه أحدٌ ، فيجب أن يَخُصَّه بالتوحيد والعبادة ، وأن لا يشرك بعبادة ربه أحدًا .

وأما الصدق :

هو (توحيد الإرادة) وهو بذل الجهد في طلب المراد ، والتفاني في طاعته سبحانه وتعالى بلا كسل ولا فتور ، (وتوحيد الطريق) وهو المتابعة للسنة القويمة ، بلا تَزَيُّد ولا ابتداع ، وهو متابعة الرسول ، الذي هو طريق الحق والإيمان [2] .

○ العبادة ○

تعريف العبادة لغة :

العَبْدُ : الإنسان حرًا كان أو رقيقًا ؛ لأنه مربوب لله عز وجل .

---

(١) انظر نونية ابن القيم رحمه الله .

(٢) انظر شرح القصيدة النونية (للدكتور محمد خليل هراس) (٢ / ١٣٣، ١٣٤) .

عَبَدَ اللهَ عِبَادَةً وعُبُودِيَّةً : انقاد لله وخضع وذل .

ويقال:(عَبَّدَهُ) : ذلله ؛ يقال:عبَّد الطريق ، وعبَّد البعير .

عبَّد فلانا : اتخذه عبدًا ، وتَعَبَّد فلانٌ لفلان ؛ إذا تذلَّل له[1] .

وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة ، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة[2] ، وهذا بخلاف عبادة الله التي هي خضوع الجسد ، مع رضا القلب ومحبته للمعبود .

تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للعبادة[3] :

العبادة :

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة ؛ فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ،... وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته .

والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة .

الغاية من خلق الجن والإنس :

إن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له ، والمرضية له ، والتي خَلَقَ الخلق لها ، إنسهم وجنهم ، وذلك كما قال تعالى في محكم آياته : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) انظر مفردات الراغب .

(٣) راجع (العبودية) لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموعة التوحيد (٢ / ٤٥٤) .

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] ، وأيضًا فالعبادة هي التي أرسل الله من أجلها الرسل ، وأنزل من أجلها الكتب، وخلق من أجلها الجنة والنار؛ فما من رسول أتى قومه إلا ودعاهم لعبادة الله وحده لا شريك معه، وهي صيحة جميع رسل الله تعالى: هود وصالح ، وشعيب ، وغيرهم – لقومهم ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣] .

وهذه العبادة المأمور بها والمطلوبة من العباد تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ؛ فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى ، بغاية المحبة له ، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لايكون عابدًا له ، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له ؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى .

بل يجب أن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله ، وكل من أحب لغير الله فمحبته فاسدة ، ومن عظم غير الله فتعظيمه باطل[٤] .

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته[٥] :

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليها فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

شروط قبول العبادة :

يشترط لقبول العبادة أن تكون صحيحة، ولا تكون صحيحة إلا بشرطين:

---

(١) الذاريات : (٥٦) .
(٢) النحل : (٣٦) .
(٣) الأنبياء : (٢٥) .
(٤) (العبودية) لشيخ الإسلام ابن تيمية (ضمن مجموعة التوحيد) (٢/٤٥٧، ٤٥٨).
(٥) انظر نونية ابن القيم رحمه الله .

الشرط الأول: أن تكون خالصة لله تعالى من الشرك الأكبر والأصغر ، وهذا الشرط هو مقتضى (لا إله إلا الله)؛ فإن مقتضاها إخلاص العبادة لله، وعدم الإشراك به .

الشرط الثاني : أن تكون صوابًا على سنة رسول الله ﷺ وهذا الشرط هو مقتضى شهادة أن (محمدًا رسول الله) فإن مقتضاها وجوب طاعة الرسول واتباع ما شرعه ، وترك البدع والخرافات ؛ قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] . (فأسلم وجهه) يعني أخلص عبادته لله ، (وهو محسن) أي متبع لرسول الله ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وجماع الدين أصلان : ألا نعبد إلَّا الله ، ولا نعبده إلا بما شرع ؛ لا نعبده بالبدع كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[2] ، وذلك تحقيق الشهادتين ؛ شهادة ألَّا إله إلا الله ، وشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ . ففي الأولى : ألا نعبد إلا إياه ، وفي الثانية : أن محمدًا هو رسوله المبلغ عنه ، وعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره ، وقد بيَّن لنا ﷺ ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الأمور ، وأخبرنا أنها ضلالة . وكما أننا مأمورون أن لا نخاف إلَّا الله ، ولا نتوكل إلَّا على الله ، ولا نرغب إلا إلى الله ، ولا نستعين إلَّا بالله ، وأن لا تكون عبادتنا إلَّا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ﷺ ونطيعه ، ونتأسَّى به[3] .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : اللهم اجعل عملي كله صالحًا ، واجعله لوجهك خالصًا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا .

---

(١) البقرة : (١١٢) .

(٢) الكهف : (١١٠) .

(٣) انظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٥٣٢، ٥٣٣) ضمن مجموعة التوحيد .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1]، قال : [أخلصه وأصوبه] ، قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصًا ، ولم يكن صوابًا - أي ليس على سنة رسول الله ﷺ - لم يُقْبَل ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا - أي وقع في هذا العمل أي نوع من الشرك - لم يُقبل ؛ **والخالص** : أن يكون لله تعالى ، **والصواب** : أن يكون على السنة[2] .

○ شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله ○

معنى شهادة أن لا إله إلّا الله :

معناها هو الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله والتزام ذلك والعمل به .

وهي تشمل جزأين :

الجزء الأول :

وهو النفي (لا إله) نافية جميع ما يعبد من دون الله تعالى ، فلا يستحق أن يعبد أحد سواه ، والنكرة في سياق النفي تعم وتفيد العموم ؛ فهي تشمل كل ما يمكن أن يتوجه إليه بالعبادة وكل من تصرف إليه غير الله تعالى .

الجزء الثاني :

هو الإثبات (إلّا الله) مثبتًا العبادة لله تعالى ، فهو الإله الحق المستحق للعبادة فإن خبر (لا) المحذوف (بحق) هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة ، فالمعنى أنه لا إله بحق إلّا الله ، أي لا معبود بحق إلا الله . فكما تفرد

---

(١) الملك : (٢) .

(٢) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموعة التوحيد ، تحقيق د / بشير عيون (٢ / ٤٧٦) .

سبحانه وتعالى بالخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة، والإيجاد ، والإعدام ، والنفع ، والضر ،.. ، وغير ذلك من معاني ربوبيّته ولم يشاركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها ، فكذلك تفرد سبحانه بالألوهية حقًا ، لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] .

معنى شهادة أن محمدًا رسول الله :

هو الاعتراف باطنًا وظاهرًا أنه عبد الله ، ورسوله إلى الناس كافّة ، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يُعْبَد الله إلّا بما شرع ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2] . فالرسول ﷺ هو الواسطة التي بيننا وبين ربنا ، وهو المبلغ عن ربه، فمنه نأخذ ديننا وكيفية عبادة ربنا، وعلى الوجه الذي يرضي ربنا، فهو الهادي إلى سواء السبيل، وطريق عبادة الله تعالى ، فصلى الله عليه وسلم ، وجزاه الله عنا خير الجزاء .

شروط شهادة أن لا إله إلّا الله :

إن لشهادة أن لا إله إلا الله سبعة شروط ، لابد من تحققها حتى يتم انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة، من الدخول في الإسلام، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، ولقد جاءت هذه الشروط في كتاب الله تعالى وفي السنة؛ سنة رسول الله ﷺ ، فيجب اجتماعها في العبد والتزامه بها ، بدون مناقضة منه لشيء منها . وليس المقصود مجرد عدها وحفظها ، ولكن يجب معايشتها والإحساس بها وجمعها الشيخ حافظ الحكمي في هذه الأبيات[3] :

---

(١) لقمان : (٣٠) .
(٢) الحشر : (٧) .
(٣) انظر معارج القبول شرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي (٢/٤١٨، ٤١٩) .

وشروط سبعة قد قيدت　　وفي نصوص الوحي حقًّا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها　　بالنطق إلا حيث يستكملها
والعلم واليقين والقبول　　والانقياد فادرِ ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبه　　وفقك الله لما أحبه

الشرط الأول : العلم :

أي العلم بمعناها المراد منها ، نفيًا وإثباتًا ، المنافي للجهل بذلك كما قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[٢] أي شهد بلا إله إلا الله ، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا بألسنتهم ؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ مات وهو يَعلم أنه لا إله إلا الله دَخلَ الجنةَ »[٣].

الشرط الثاني : اليقين :

ومعنى اليقين هو اليقين المنافي للشك ، وذلك أنه لابد أن ينطقها وهو مستيقنًا بها وبمدلولها يقينًا جازمًا لا يدخله الشك ، ولا يتسرب إليه الريب ؛ وذلك لأن هذه الشهادة أصل العقيدة ؛ فلا يُقبَل فيها الشك ، ولا يغني فيها عن اليقين الجازم شيء ؛ ولذلك وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم الذين آمنوا عن يقين ، ولم يتسرب إليهم الريب والشك ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾[٤] ؛ فجعل الله من صفات المؤمنين اليقين، ومن صفات المنافقين والعياذ بالله الشك ؛ ولذلك أخبر الله تعالى عن المنافقين ووصفهم بأنهم ارتابوا ، وتمكن الشك من قلوبهم ؛ فردهم هذا الشك عن الجهاد في سبيل الله ؛ لأنه اقتلع الإيمان من قلوبهم ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ

---

(١) محمد : (١٩) .
(٢) الزخرف : (٨٦) .
(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب من مات على التوحيد دخل الجنة .
(٤) الحجرات : (١٥) .

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[1] . وأيضًا السنة المطهرة أتت بهذا الشرط ، فنرى النبي ﷺ يوضح أنه لابد أن يصطحب هذه الشهادة هذا اليقين، ولابد أن تتطهر وتنقى من كل شك؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأنا رسول الله ، لا يَلْقَى اللهَ بها عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيها إلا دَخَلَ الجنة** »[2] وفي رواية أخرى : « **لا يلقى الله بها عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيها فيُحجب عن الجنة** »[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال : « **مَنْ لَقِيتَ مِن وراء هذا الحائط يَشْهَد أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بها قلبُهُ فَبَشِّرْهُ بالجنةِ** »[4].

الشرط الثالث : القبول :

والمقصود به القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ؛ وذلك بعبادة الله تعالى وحده ، وترك عبادة ما سواه ، فيجب على من قالها أن ينقاد لها ويحققها في عبادته ؛ وإلا فهو ممن قال الله فيهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[5] ، فجعل الله تعالى عِلَّة وسبب تعذيبهم أنهم استكبروا عن قولهم لا إله إلا الله . وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا و لم يقبل**

---

(١) التوبة : (٤٥) .

(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب من لقي الله بالشهادتين دخل الجنة .

(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب من لقي الله بالشهادتين لم يحجب عن الجنة .

(٤) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه دخل الجنة .

(٥) الصافات : (٣٥ ، ٣٦) .

هدى الله الذي أرسلت به »[١] .

الشرط الرابع : الانقياد :

ومعنى الانقياد أي التسليم الكامل لما دَلَّت عليه ، المنافي لترك ذلك ، وذلك يكون بالإذعان لكل ما تستلزمه هذه الشهادة ، وذلك بكل التسليم والتفويض ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[٣] ، (ويسلم وجهه) أي ينقاد ، (وهو محسن) أي وهو موحد ، (العروة الوثقى) لا إله إلّا الله ، ومعنى ذلك : من أسلم وجهه وانقاد لله فقد استمسك بلا إله إلّا الله ، ومن لم يسلم وجهه ولم يَنْقد لله فإنه لم يستمسك بلا إله إلّا الله .

الشرط الخامس : الصدق :

ومعنى هذا الصدق أن يواطىء قول اللسان تصديق القلب ، ويقينه وجزمه لما يقوله ، فالإسلام دائمًا كما يهتم بالمظهر لا يتغافل عن المخبر ، فديننا دين سِرٍّ وعلانية ، قول واعتقاد ، فمن تلفظ بهذه الشهادة ولم يؤمن قلبه ويصدق لسانه أصبح عندنا منافقًا كاذبًا ، ولقد فضح الله هؤلاء الذين يخادعون ويقولون ما لا يعتقدون ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[٤] ؛ فكشفهم الله عز وجل وعرَّاهم وحكم عليهم أنهم غير مؤمنين وأنهم يخادعون ؛ وذلك لأنهم قالوا بلسانهم ما لم يعتقدوا في قلوبهم . ونجد شرط الصدق واضحًا جَليًّا في حديث رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري (كتاب العلم) (باب فضل من عَلِمَ وعلَّم) ومسلم (كتاب الفضائل) (باب مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم) .

(٢) النساء : (١٢٥) .

(٣) لقمان : (٢٢) .

(٤) البقرة : (٨ : ٩) .

هو المبلغ عن ربه ، الأمين على رسالته .

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ما مِنْ أحدٍ يشهدُ أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ صِدقًا من قلبه إلّا حرّمَه الله على النارِ** »[1].

وعن أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي « وهو ضمام بن ثعلبة » وافد بني سعد بن بكر **لما سأل رسول الله ﷺ عن** شرائع **الإسلام فأخبره ، قال : هل عليّ غيرها ؟ قال : « لا إلّا أن تطوّع » قال : والله لا أزيدُ عليها ولا أنقصُ منها فقال رسول الله ﷺ : « أفلَحَ إن صَدَقَ »[2] وفي بعض الروايات: « إن صَدَقَ ليدخلنّهُ الجنةَ »[3].**

فنرى النبي ﷺ في هذا الحديث علق فلاح هذا الرجل ودخوله الجنة أن يكون صادقًا .

الشرط السادس : الإخلاص :

والإخلاص هو تصفية العمل من كل ما يكدره ومن كل شوائب الشرك ومن كل ضروب الرياء والسمعة وأن ينأى به عن كل غرض دنيوي يهوي به في دائرة الشرك ، أو يعرضه لعاصفة الإحباط قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾[6] .

وكذلك جاءت السنة المطهرة بهذا الشرط (الإخلاص) فإنه شرط جوهري في إيمان العبد وقبول إسلامه وعمله .

---

(١) رواه البخاري (كتاب العلم) (باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا).

(٢ ، ٣) رواهما البخاري (كتاب العلم) (باب ما جاء في العلم) ومسلم (كتاب الإيمان) (باب بيان الصلوات) .

(٤) الزمر : (٣) .

(٥) البينة : (٥) .

(٦) الزمر : (١٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **أسْعَدُ الناس بشفاعتي مَنْ قال لا إله إلّا الله خالصًا من قَلْبه أو نفسه** »[1].

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن الله قد حَرَّمَ على النار من قال لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله عزّ وجلّ** »[2].

الشرط السابع : المحبة :

فيجب المحبة لهذه الشهادة – شهادة أن لا إله إلّا الله – ولمن نزلت عليه ، ولأهلها العاملين بمقتضاها ، وعلى رأسهم محمد بن عبد الله ﷺ فإنه أصل من أصول هذا الدين أن تحب الله سبحانه وتعالى محبة لا تدانيها محبة ، وأن تحب رسول الله ﷺ أكثر من نفسك وأكثر من مالك وأهلك وولدك ، وأن تحب عباد الله المؤمنين ، الذين يعملون بهذه الشهادة ، ويخلصون لها . ولقد حكم الله تعالى بالشرك على من ساوَوْا بين محبته ومحبة غيره من مخلوقاته ، وفي نفس الوقت أثنى على المؤمنين بعد إثبات الإيمان لهم ، لأنهم أشد حبًا له فلم يشركوا معه في محبته أحدًا، قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[4] ، وها هو النبي ﷺ يبين لنا قيمة هذه المحبة في الإسلام ، وأنها سبب لفلاح العبد وسعادته ، وأن هذه المحبة شرط أساسي في تحقيق الإيمان ؛ فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوةَ الإيمان : أن يكون اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله ، وأن يكرهَ أن يعودَ في**

---

(١) رواه البخاري (كتاب العلم) باب (الحرص على الحديث) .

(٢) رواه البخاري (كتاب الصلاة) باب (المساجد في البيوت) .

(٣) البقرة : (١٦٥) .

(٤) المائدة : (٥٤) .

الكفر بعد أن أنقذهُ الله منه كما يكرهُ أن يُقذفَ في النارِ »[١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ ووالدِهِ والناسِ أجمعين »[٢].

○ فضل شهادة أن لا إله إلا الله ○

إن كلمة التوحيد – لا إله إلا الله – هي أعظم كلمة ينطق بها الإنسان ، وأفضل شهادة يدلي بها العبد ؛ فمن أجلها خلقه الله تعالى ، وبتحقيقها يتحقق للعبد السعادة في الدنيا والفوز والنجاة والجنة في الآخرة ، فمن أجلها أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنة والنار ، وهي التي تثقل ميزان العبد يوم القيامة وتجعله من أهل السعادة ، وتباعد بينه وبين أهل الندامة ، وتجعله يأخذ كتابه بيمينه ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وعليها يكون السؤال والحساب يوم القيامة للجميع ، قال تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٤] .

فإن كلمة الشهادة هي مفتاح دار السعادة ، وهي أصل الدين وقوامه ، وأساسه ورأس أمره، وساق شجرته وعمود فسطاطه، وباقي أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها ،ومتشعبة منها ومُكمِّلة لها ؛ فهي العروة الوثقى ، قال تعالى :

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب (حلاوة الإيمان) ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب (خصال الإيمان) .

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب (حب رسول الله ﷺ من الإيمان) ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب (وجوب محبة رسول الله ﷺ) .

(٣) الحجر : (٩٢ ، ٩٣) .

(٤) الأعراف : (٦) .

﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[١] .
وهي (الحسنى) قال تعالى: ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾[٢] ، وهي (كلمة التقوى) قال تعالى : ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾[٣] ، وهي (القول الثابت) قال تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾[٤] ، وهي (الكلمة الطيبة) قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾[٥] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : « **أن النبي ﷺ سمع مؤذنًا يقول : أشهد أن لا إله إلّا الله ، فقال ﷺ : خرجت من النار** »[٦].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **مَنْ شهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسولُ الله حَرَّمَ اللهُ عليه النارَ** »[٧].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ قال : لا إله إلّا الله وَحْدَهُ لا شريك له وأن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، وأن عيسى عبدُ اللهِ وابنُ أَمَتِهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ ، ورُوحٌ منه ، وأن الجنة حقٌّ ، وأن النار حقٌّ ، أدْخَلَه الله الجنةَ من أيِّ أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ شاءَ** »[٨]، وفي رواية : « **أدْخَلَه الله الجنةَ على ما كان مِنْ عملٍ** »[٩].

---

(١) البقرة : (٢٥٦) .
(٢) الليل : (٥ : ٧) .
(٣) الفتح : (٢٦) .
(٤) إبراهيم : (٢٧) .
(٥) إبراهيم : (٢٤) .
(٦) رواه مسلم (كتاب الصلاة) باب (الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان) .
(٧) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (عقائد التوحيد) .
(٨،٩) رواهما البخاري (كتاب الأنبياء) باب « ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم » ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب (عقائد التوحيد) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « **إن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمُرُك بلا إله إلَّا الله ؛ فإن السمواتِ السبعَ والأَرَضِينَ السبعَ لو وُضعتْ في كِفَّةٍ ووُضِعتْ لا إله إلَّا الله في كفةٍ لرَجَحَتْ بهنَّ لا إله إلَّا الله ، ولو أن السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لا إله إلَّا الله** »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الإيمان بِضْعٌ وسبعون – أو بضعٌ وستون – شُعْبَة ، فأفْضَلُها قول : لا إله إلَّا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق** »[2].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « **ما من عبدٍ قال : لا إله إلَّا الله ثم مات على ذلك إلَّا دَخَلَ الجنةَ** »[3].

شروط شهادة أن محمدًا رسول الله :

وكما أن لشهادة (أن لا إله إلَّا الله) شروطًا يجب تحققها لتصبح هذه الشهادة نافعة؛ أيضًا هناك شروط لشهادة أن محمدًا رسول الله ، لابد من تحققها ؛ لكي تقبل هذه الشهادة ، ولكي تنفع صاحبها ويجني منها الثمرة المرجوة ، وهذه الشروط نذكرها مختصرة كما يلي :

١ – الاعتراف برسالته ، واعتقادها باطنًا في القلب .

٢ – النطق بذلك ، والاعتراف به ظاهرًا باللسان .

٣ – المتابعة له بأن يعمل بما جاء به من الحق ، ويترك ما نهى عنه من الباطل .

٤ – تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة .

---

(١) رواه أحمد في المسند (وسنده صحيح) .

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب أمور الإيمان ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب عدد شعب الإيمان .

(٣) رواه البخاري (كتاب اللباس) باب (الثياب البيض) ، ومسلم (كتاب الإيمان) باب من مات على التوحيد دخل الجنة .

٥ – محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين .
٦ – تقديم قوله على قول كل أحد والعمل بسنته .

○ توحيد الله بالعبادة ○

كما ذكرنا قبل قليل في تعريف معنى العبادة: أنها اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهي منقسمة على (القلب، واللسان، والجوارح)، فمثلًا (الخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرغبة والرهبة...) فكل هذه عبادات قلبية وأيضًا (التسبيح والتهليل والتكبير والحمد والشكر باللسان والقلب) عبادات لسانية قلبية وأيضًا (الصلاة والزكاة والحج والجهاد ...) عبادات بدنية قلبية .

وغير ذلك من أنواع العبادات التي تجري على القلب واللسان والجوارح ، فكل هذه العبادات يجب أن تصرف لله وحده دون غيره ، ولا يُشرك معه أحد في هذه الأعمال وتلك العبادات ، وهذا هو عين التوحيد وهو ما يُسمَّى (توحيد الألوهية) بأن يصرف لله كلُّ عبادةٍ ؛ لأنه هو الخالق وهو المشرِّع ، فيجب أن تُصرف إليه جميع العبادات ما صغُر منها وما كبر .

والذي يحدث أن بعض الناس يصرف بعض هذه العبادات لغير الله تعالى، فيقع بذلك في الشرك؛ إما الأكبر فيحبط جميع عمله، مثل (النذر والذبح لغير الله، والاستغاثة والاستعانة ...) وإما الشرك الأصغر فيحبط ذلك العمل الذي أشرك فيه، مثل (الحلف بغير الله، وقول: شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان. والصحيح قول : شاء الله ثم شئت ، ولولا الله ثم فلان) . فبعض هؤلاء الناس يعمل هذا العمل عن طريق العادة والتَّعوُّد ، وتقليدًا لآبائه ولإخوانه وعشيرته ، ومنهم من يعمل هذه الأعمال عن طريق الجهل ، فهو لا يعلم الحق من الباطل ، بل إن البعض ليعمل هذه الأعمال ، ويصرف تلك العبادات لغير الله تعالى ، وهو يظن أنه قد أحسن صنعًا ويتقرب إلى الله بهذا العمل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾[1]

حتمية الدعوة وأهميتها :

وقبل أن نلقي اللوم على هؤلاء الناس ، وقبل أن نفتح عليهم أعاصير التوبيخ ، يجب أن نقول قولة حقٍّ ، وهي أن هؤلاء الناس لهم حقٌّ علينا ، ولربما حاجُّونا أمام الله يوم القيامة ؛ لأن علينا واجبًا يجب أن نقوم به حقَّ القيام ، وأظننا لم نقم به حقَّ القيام ، فما زلنا مقصِّرين في حق الدعوة ، وإنه لابد وأن تَلْقَى الدعوةُ منا الاهتمام الأكبر ، فهل نسينا أم تناسينا أن الرسول ﷺ مكث أكثر من نصف عمر بعثته في مكة للدعوة ولتصحيح العقيدة (ثلاثة عشر عامًا) وهو يجاهد بلسانه ليُرسِّخ العقيدة، وليدعو الناس، وينشر الدين، ويعلِّم الناس ويُفقِّههم أمر التوحيد ، ولا عَجَبَ فلم يذهب هذا الوقت هباءً منثورًا ، بل خرَّج في هذه الفترة رجالًا جعل منهم النَّواة الأولى والركيزة الثابتة الراسخة التي انطلق منها الدين الإسلامي ، وبُني على أكتافها هذه الدولة الإسلامية الشامخة التي ملكت ثلاثة أرباع العالم في أقل من نصف قرن !! وهذا زمن قياسي يدهش كل من قرأ ودرس سيرة هؤلاء الرجال العظام .

فأين نحن الآن من الدعوة ؟ أهي مجرد كتيبات صغيرة توزَّع وتُباع من حينٍ لآخر وفي المناسبات ؟ أم هي تلك المحاضرات والندوات المتفرقة والمتبعثرة على مدار السنة ؟!!!

ونقول : كيف يتم البناء الإسلامي المرجو والمنشود إذا كان يسير سير السلحفاة ؟ وأعداؤنا يسارعون ويسابقون البرق في السرعة ، ألم نرهم في غزو المسلمين في كل مكان بأفكارهم الهدامة ، وثقافتهم المضلة وأخلاقهم المنحلَّة ، حتى إنهم لم يتركوا مكانًا إلا وتواجدوا فيه ، حتى دخلوا على المسلمين في عقر دارهم ، بل في غرف نومهم !!! فترى من المنتسبين إلى الإسلام مَن لا ينام إلَّا

---

(١) الكهف : (١٠٣ : ١٠٥) .

على شرائط الفيديو الهابطة الماجنة والأغاني الخليعة ، ومنهم الذي لا يستطيع أن ينام إلا على سماع الموسيقى الشيطانية !!! فأين الدعاة ؟ وأين الدعوة ؟ لماذا تكاسلنا عن حَمْل دعوة محمد ﷺ ؟ لماذا اكتفينا بالقدر القليل والقليل من التبليغ ؟ حتى أصبح من قام بأداء محاضرة كأنه فتح دولة وجاء بالنصر المبين .

فَلْنَسْأَلْ أنفسنا : هل أصحاب الباطل أحبُّ لباطلهم ولشياطينهم وأخلص وأوفى لهم منا لديننا ولربنا ولرسولنا ؟ أم أننا نسينا وعيد كتمان العلم والتقاعس عن تبليغ الحق ؟ أم أن حال المسلمين يَسُر (ما شاء الله ولا قوة إلا بالله) بحيث اطمأننَّا على ديننا وعلى إخواننا المسلمين ، ورفرف الإسلام على مشارق الأرض ومغاربها ؟ أم أننا رضينا بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فيكون عِلْمنا وبالًا علينا وحجة علينا لا لنا . فالأمر جد عجيبٌ وخطير .

○ مشاق الدعوة والصبر عليها ○

ولكني أيضًا أقول : الأمر في نفس الوقت ليس بسهلٍ ، ولن نجد الأرض مفروشة بالورود ، بل ستكون هناك العراقيل والصعوبات والمشاق ، ولكنْ هناك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يستعْذِبُون كل شقاء وكل تعبٍ في سبيل نشر هذا الدين وإعلاء كلمته ، رجال يبيعون كل غالٍ ورخيص في سبيل هذا الدين ، رجال اشتروا الآخرة وباعوا الدنيا ، رجال مُصَمِّمون على إكمال المسيرة ، مسيرة الدعوة إلى الله وهم محتسبون ، وهم صابرون ، نعم إن هذا لمن عزم الأمور كما أرشد إلى ذلك عبد الله الصالح « لقمان » حين أمر ابنه أن يتحمل أعباء الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم أمره وأرشده إلى الصبر ، وأخبره أن هذا من عزم الأمور :

قال تعالى على لسان لقمان : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ

عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[1] .

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يهيىء لهذه الأمة أمر رشد يعزّ فيه أهلُ طاعته ويُذَلّ فيه أهل معصيته، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنْهَى فيه عن المنكر ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والآن مع بعض هذه العبادات :

* * *

(١) لقمان : (١٧) .

○ النــذر ○

تعريف النذر لغةً :

النَّذْرُ : ما يُقدِّمه المرء لربه أو يُوجبه على نفسه من صدقةٍ أو عبادة أو نحوها .

نَذَرَ الشيء نَذْرًا ونذورًا أوجبه على نفسه ، يقال : نَذَرَ ماله لله ، ونذر على نفسه أن يفعل كذا[1].

تعريف النذر شرعًا :

هو أن يُوجب العبد على نفسه فِعْل شيءٍ لم يكن ملزمًا به ، وذلك على سبيل التَّعبُّد لله تعالى .

حكم النذر :

إن حكم النذر الكراهة ، بل حرمه بعض العلماء ، وذلك لما فيه من تحمُّل ما ليس بواجبٍ على الإنسان ، وقد لا يستطيع الوفاء به ، والأصل في الشريعة الإسلامية الغرَّاء رفع الحرج والمشقة عن المسلمين ، وعدم تكليف المسلم ما لا يستطيع .

فقد يُلْزِم الإنسان نفسه بِنَذْرٍ ما ، يُطيقه الآن ، ولكن قد لا يطيقه حين حلول الوفاء به ، وقد يكون النذر متكررًا ، ويتكرر كل عامٍ أو كل شهرٍ أو مناسبةٍ ، كأن يقول مثلًا : لو رزقني الله بولد لسوف أذبح كل عام خمسًا من الإبل طول حياتي ، فقد يكون في طاقته وسعته الآن الوفاء بالنذر ، وقد

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

يتعذَّر بل يستحيل عليه في أوقات أخرى ، ومن أجل ذلك جاءت الكراهية وجاء التحريم .

فعن ابن عمر رضي الله عنه . قال : نهى النبي ﷺ عن النذر وقال : « **إنه لا يردُّ شيئًا ولكنَّه يُستخرَج به من البخيلِ** »(١) .

لذا فالأحرى والأولى بالمسلم إذا أراد أن يفعل طاعة فليفعلها حين يستطيعها ، وحين يطيقها ، ولكن لا يُلزِم ولا يُوجب على نفسه ما قد يعجز عن الوفاء به .

حكم الوفاء بالنذر :

كما قلنا إنه يُكره أو يحرم الابتداء بالنذر لعدم تحمُّل المسلم ما قد يعجز عن الوفاء به ، ولكن إذا نَذَرَ المسلم ، وَجَب عليه الوفاء بهذا النذر ، وذلك ما لم يكن في معصية الله ، فأصبح هذا النذر معلَّقًا في رقبته ، ودَيْنًا عليه حتى يوفِّيه ، وذلك ظاهر صريح في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإجماع السلف الصالح :

قال تعالى مادحًا عباده المؤمنين ، الذين يخافونه ويخافون الآخرة ، أنهم يوفون بالنذر ، قال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾(٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره : « أي يتعبَّدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر » .

---

(١) رواه البخاري (كتاب القدر) (باب إلقاء العبد النذر إلى القدر) ، ومسلم (كتاب النذر) أول كتاب النذر .

(٢) الإنسان : (٧) .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[١] .

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾[٢].

قال ابن كثير ، رحمه الله : « يخبر الله تعالى بأنه أعلمُ بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات ومن النفقات والمنذورات ، وتضمَّن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده »[٣] .

وقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، إني نذرتُ في الجاهلية أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام قال : « **أوْفِ بنَذْرِكَ** »[٤].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ نَذَرَ أن يُطيعَ الله فَلْيُطِعْهُ ، ومَن نذرَ أن يَعصيَ الله فلا يَعْصِهِ** »[٥].

فلفظ (فليطعه) أمرٌ من النبي ﷺ والأمر في أصله يفيدالوجوب، ففي الحديث دليلٌ على وجوب الوفاء بالنذور ما لم تكن في معصية .

من شروط النذر :

إذا أراد المسلم أن ينذر ، فعليه أن يتحرَّى عدة شروط قبل الشروع في التلفظ بهذا النذر حتى يكون نذْره صحيحًا وعقيدته سليمة ، ومن هذه الشروط ما يلي :

---

(١) الحج : (٢٩) .
(٢) البقرة : (٢٧٠) .
(٣) انظر تفسير ابن كثير ، سورة البقرة .
(٤) رواه البخاري كتاب (الأيمان والنذور) باب (إذا نذر ألَّا يكلم إنسانًا ثم أسلم) .
(٥) رواه البخاري كتاب (الأيمان والنذور) باب (النذر في الطاعة) .
رواه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور) .
رواه الترمذي (كتاب الأيمان والنذور) .
رواه النسائي (كتاب الأيمان والنذور) .
رواه ابن ماجه (كتاب الكفارات) .

الشرط الأول : أن يكون طاعة لله تعالى :

فإن الأصل في النذر أنه قُربةٌ إلى الله وعبادةٌ له ، فلا تصح العبادة إلا في طاعة لله عز وجل ، أما المعصية فلا يُتقرَّب بها إلى الله تعالى ، بل إنها تُبعِد عن طريق الله عز وجل .

ودليل هذا الشرط : ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ ، أنه قال : « **لا نَذْرَ في معصيةِ اللهِ ، ولا في قطيعةِ رحمٍ** »[1].

الشرط الثاني : أن يكون مما يُطيقُه العبد :

فكما قرَّرْنا سابقًا أن الشريعة الإسلامية لا تُحمِّل المسلم فوق طاقته ، ولا تُكلِّفه إلَّا ما يستطيع ، وترفع عنه كلَّ حرجٍ ، فالله سبحانه وتعالى رؤوفٌ بالعباد رحيمٌ بهم ، ولذلك يجب على المسلم ألَّا يُحمل هو نفسه ما لا يطيقه ، فإذا أراد أن يَنْذِر فيراعي إمكانياته وطاقاته ، ولا يُكلِّف نفسه فوق ما تتحمَّل .

والدليل على ذلك : عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال : نذرَتْ أُختي أن تمشي إلى بيت الله ، فأمرتني أن أَسْتَفْتِي لها الرسول ﷺ ، فاستفتيتُه فقال : « **لِتَمْشِ وَلْتَرْكَبْ** »[2].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : بينا النبي ﷺ يخطب إذ هو برجلٍ قائم فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل ، نَذَر أن يقوم فلا يقعُد ولا يستظلّ ولا يتكلَّم ويصوم فقال النبي ﷺ : « **مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَستظلَّ وَلْيَقعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَه** »[3].

---

(١) رواه أبو داود كتاب (الأيمان) وإسناده حسن .

(٢) رواه البخاري كتاب (الإحصار وجزاء الصيد) باب (من نذر أن يمشي إلى الكعبة) .
ورواه مسلم (كتاب النذر) آخر كتاب النذر .

(٣) رواه البخاري كتاب (الأيمان والنذور) باب (النذر فيما لا يملك وفي معصية) .

الشرط الثالث : أن يكون فيما يملك :

يجب على المسلم إذا أراد أن ينذر لله تعالى ، أن ينذر في شيءٍ يملكه ، فلا ينذر فيما لا يملك ، فهذا مبدأ إسلامي عام ؛ أن الإنسان لا يحكُم ولا يتصرَّف ولا يبيع ما ليس ملكه ، فلذلك لا ينذر إلا فيما يملك .

والدليل على ذلك : قول النبي ﷺ : **« لا وفاءَ لنذرٍ في معصيةِ اللهِ ، ولا فيما لا يَمْلِكُ ابنُ آدمَ »**[1].

فكَوْن النبي ﷺ ينهى عن الوفاء بالنذر في المعصية وفيما لا يملك الإنسان ، ففيه دلالةٌ على تحريمه ابتداءً (أي تحريم النذر بالمعصية ، أو فيما لا يملك الإنسان) .

الشرط الرابع : ألّا يكون في موضعٍ كان يعبد فيه غير الله تعالى :

إن الشريعة الإسلامية الغراء دائمًا تنأى بالمسلم عن كل ما يَخْدِش عقيدته أو يُلَوِّث توحيده أو يجرح إيمانه ، وهناك قاعدة أصولية في هذا الدين تسمَّى (سد الذرائع) أي قَفْل وغلْق كل باب قد يأتي منه ما يُعكِّر صفْو توحيد المسلم ، أو يُوقعُه في معصية الله عز وجل .

ومن أجل ذلك كان محرَّمًا على المسلم أن ينذر نذرًا في مكان كان يعبد فيه غير الله تعالى ، وذلك حتى لا يَتَشَبَّه بهؤلاء المشركين ، ومن ناحيةٍ أخرى حتى لا يُعيد فتْحَ هذا الباب مرة أخرى بعد أن أغلقه الله ، فيحيي فِعْل الشركيَّات في هذا الموضع من جديد .

ودليل ذلك : **عن ثابت بن الضحاك ، أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ فقال : إني نذرتُ أن أنحرَ إبلًا ببوانةَ – اسم مَوْضِعٍ – فقال : « أكان فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهليةِ يُعْبَدُ ؟ » فقالوا : لا . قال : « هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟ » فقالوا :**

---

(١) رواه مسلم (كتاب النذر) في وسط كتاب النذر .
رواه أبو داود كتاب (الأيمان والنذور) .
رواه النسائي (كتاب الأيمان والنذور) .

لا . قال : « **أوْفِ بنَذْرِكَ فإنه لا وفاءَ لنذرٍ في معصيةِ اللهِ ، ولا فيما لا يَمْلِكُ ابنُ آدمَ** »[1].

فكون النبي ﷺ يسأله هذين السؤالين ، ففيه دلالة على أنه يحرم الوفاء بالنذر في هذه الأماكن (مكان كان يُعْبَدُ فيه غير الله ، ومكان كان عيدًا من أعياد المشركين) .

الشرط الخامس : ألّا يعتقد الناذِرُ تأثير النذر في حصول الشيء وعَدَمِه :

من عقيدة المسلم أن الأمور كلها بيد الله ، وأنه مُصرِّف الأمور ، وليس لأحدٍ تَدَخُّل في ملك الله وأقدار الله تعالى ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فالنفع والضُّر بيده ، والمنع والعطاء من عنده .

ولذلك لا يجوز للمسلم حين ينذر نذْره أن يعتقد أن لهذا النذر تأثيرًا على أقدار الله تعالى أو في دفْع الضُّر أو جَلْب منفعةٍ، بل ينذر نذره على سبيل التَّقرب لله تعالى فقط .

ودليل ذلك: عن ابن عمر– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ:

« **إن النَّذْرَ لا يُقدِّمُ شيئًا ولا يُؤخِّرُهُ ، وإنما يُستَخرَجُ بالنذرِ مِنَ البخيلِ** »[2].

النذر لغير الله شرك :

إذا كان النذر لله تعالى عبادةً ونوعًا من أنواع التَّقرب إلى الله ، فإن صَرَّفه لغير الله تعالى شركٌ أكبر يُخرِج من الملة ، ويُوجِب لصاحبه النار ؛ لأن كل ما أنه عبادة لا يجوز بحالٍ من الأحوال أن يُصرَّفَ لغير الله تعالى ، ومن المؤسف حقًّا أن نرى مثل هذه العبادات تُصرف لغير الله تعالى ، وذلك في كثير من بلاد المسلمين ، مما يجعل القلب يتمزَّق حزنًا وألمًا على حال المسلمين

---

(١) رواه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور) وإسناده صحيح .

(٢) رواه البخاري (كتاب القدر) باب (إلقاء العبد النذر إلى القدر) و (كتاب الأيمان والنذور) باب (الوفاء بالنذر).
ورواه مسلم (كتاب النذر) أول كتاب النذر .

وما وصلوا إليه ، رغم ما أتاحه الله لنا من وسائل من الممكن أن تكون سببًا في محو الجهل ، والقضاء على كل أسباب الشرك ، فبعض الناس يَنْذِر للأموات ولأصحاب القبور وللأولياء والصالحين ، ينذرون لهم المال والذبائح والولائم إذا حدث لهم كذا وكذا ، وهذا لا ينبغي أن يحدث في بلاد المسلمين خاصَّة وأنه شركٌ أكبر .

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين ، في فتوى حول هذا الموضوع : « وأما من نذر لهم – يعني للقبور – وذَبح لهم ، أو استغاث بهم ، فإن هذا شركٌ أكبر مُخرِجٌ من الملة ، يكون صاحبُه به كافرًا مُخَلَّدًا في النار »[1] .

ولكن يجب أن نشعر بالذنب والتّقصير تجاه هؤلاء الناس من المنتسبين للإسلام ، فلقد قصَّرنا في حقِّهم الكثير والكثير ، ولسوف نُسأل عنهم يوم القيامة ، فلم نُؤدِّ واجبنا على الوجه الأكمل ، ولم نَسْلُك كل طريقٍ في توعية المسلمين ونشر العلم بينهم وتبصيرهم بأمور دينهم ، خاصَّةً وأن معظم مَنْ يقوم بهذه الشركيَّات ويقع فيها يكون عن جهل منه ، فمن الناس من لم يسمع كلمة التوحيد ، ولا يعرف ما معنى كلمة « شرك » ، ولم يَفْقَهْ معنى الكفر .

فهؤلاء الناس لهم حقوقٌ علينا ، فيجب أن نَهُبَّ ونُشَمِّر عن ساعد الجدِّ لنشر دين الله تعالى في أنحاء المعمورة ، ولنُوصِّل التوحيد والعقيدة لكل مسلم على وجه الأرض . فهذا هو منهج الرسول ﷺ ، وهذه هي دعوته ، فمن أراد أن يكون من ورثة الأنبياء ، وأن يعمل بعملهم ويشتغل بوظيفتهم ، فعليه الاشتغال بهذا التوحيد ونشره في أرجاء المعمورة ، وليسكنه في قلب كل مسلم ومسلمةٍ ، حتى نلقى الله عز وجل وقد أدَّينا الأمانة ونصحنا لأمة محمد ﷺ

---

(١) انظر المجموع الثمين في فتاوى ابن عثيمين (١ / ١٠٥) .

○ الذبح ○

معنى الذبح لغةً :

ذَبَحَه ذبْحًا : قَطَعَ حُلْقُومَه .

ويقال : ذَبَّحَ : أَكْثَرَ من الذَّبح .

اذَّبح : اتخَذَ ذبيحةً[1] .

معنى الذبح شرعًا :

هو كل ما ذُبِحَ هَدْيًا أو أُضحية أو عقيقةً وغيرها لله تعالى ، وبقَصْد التَّعبُّد لله والتقرب له .

وجوب الذبح لله تعالى وحده :

إذا كان الذبح قُربةً يتقرَّب بها العبدُ لله تعالى فهو عبادة ، ولمَّا كان عبادة وجب صرفه لله تعالى وحده ، وأصبح ذلك عبادة وتوحيدًا .

ومن صرف هذا الذبح لغير الله تعالى أصبح ذلك شركًا يُخْرِج صاحبه من الملة ، ويُوجب له الخلود في النار إن لم يرجع إلى الله ويتب .

ولا فرق في ذلك بين من قدَّم شيئًا كبيرًا أو كثيرًا أو من قدم شيئًا صغيرًا أو قليلًا ، فمجرد صرف الذبح لغير الله تعالى يُعَدُّ ذلك شركًا ، ولو كان قد تقرَّب لغير الله تعالى بشيءٍ حقير ولو بذبابةٍ، كما سيأتي في الحديث إن شاء الله. ولقد أمر الله رسوله ﷺ أن يصرف ذبحه لله تعالى، لا لأحدٍ غيره، وأخبره أن هذا من التوحيد ومن العبادة، ونحن أولى بهذا الأمر وأخصّ، فما كان لرسول الله ﷺ أن يُقدِّم عبادةً لغير الله ، فنحن المقصودون من باب أولى بهذا الأمر وهذا الوجوب، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[2]، والمقصود بالنحر

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) الكوثر : (٢) .

الذبح . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[1] .

قال ابن كثير رحمه الله :

يأمره تعالى أن يخبر المشركين (الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه) أنه مخالفٌ لهم في ذلك ، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له ، وهكذا ، كقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[2] ، أي أخلِصْ له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عمّا هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

قال مجاهد : النسك : الذبح في الحج والعمرة .

قال الثوري : عن السدي ، عن سعيد بن جبير : نسكي ، قال : ذبحي . وهكذا قاله السدي والضحاك[3] .

الذبح لغير الله تعالى شرك :

إن الذبح قُرْبَةٌ وعبادة يُتقرَّب بها إلى الله ويُتعبَّد بها ، ولذلك وجب صرفها لله تعالى ، وصرفها لغير الله تعالى شركٌ أكبر يُخْرج صاحبه من الملة ، وذلك للآيات السابقة وللأحاديث النبوية في هذا الموضوع . ومن ذلك :

عن علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلماتٍ : « **لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغيرِ اللهِ ، ولعنَ اللهُ مَن لعنَ والِدَيْه ، ولعنَ اللهُ مَن آوَى مُحْدِثًا ، ولعنَ اللهُ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأرضَ** »[4]. واللعنة : البُعْد عن مظانّ الرحمة ومواطنها . وقيل : اللَّعِين والملعون : من حَقَّتْ عليه اللعنة أو دُعِي عليه بها.

---

(١) الأنعام : (١٦٢ ، ١٦٣) .

(٢) الكوثر : (٢) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير سورة الأنعام .

(٤) رواه مسلم كتاب (الأضاحي) (باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله) ، والنسائي (كتاب الضحايا) .

قال أبو السعادات : أصل اللعنة: الطرد والإبعاد من الله، (ومن الخلق: السَّبّ والدعاء)[١] .

قال الإمام النووي رحمه الله :

المراد به أن الذبح باسم غير اسم الله كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى – ﷺ – أو للكعبة ، ونحو ذلك ، وكل هذا حرام ، ولا تحلُّ هذه الذبيحة سواءٌ كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديًا ، نصَّ عليه الشافعي – رحمه الله – واتَّفق عليه أصحابنا ، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له ، كان ذلك كفرًا ، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا[٢] .

قال الزمخشري :

كانوا إذا اشتروا دارًا أو بنوها ، أو استخرجوا عينًا ، ذبحوا ذبيحةً خوفًا من أن تصيبهم الجن ، فأُضيفت الذبائح إليهم ، ولذلك قال النووي : وذكر إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما ذُبِح عند استقبال السلطان تقرُّبًا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه ؛ لأنه مما أُهلَّ به لغير الله[٣] .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : « **دَخلَ الجنةَ رجلٌ في ذُبابٍ ، ودخلَ النارَ رجلٌ في ذبابٍ** » . **قالوا : كيف ذلك يا رسولَ الله ؟ قال : « مرَّ رجلانِ على قومٍ لهم صنمٌ لا يَجُوزُهُ أحدٌ حتى يُقرِّبَ له شيئًا ، فقالوا لأحَدِهما : قَرِّبْ . قال : ليس عندي شيْءٌ أُقَرِّبُ . قالوا له : قَرِّبْ ولو ذبابًا . فَقَرَّبَ ذبابًا . فخلَّوْا سبيله ، فدخلَ النارَ . وقال للآخرِ : قَرِّبْ . فقال : ما**

---

(١) نقلًا عن تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد صـ ١٧٥ .

(٢) راجع شرح الإمام النووي لهذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم (كتاب الأضاحي) .

(٣) نقلًا عن تيسير العزيز الحميد صـ ١٥٨ .

كنتُ لأُقَرِّبَ لأحدٍ شيئًا دونَ الله عز وجل . فضربوا عُنُقَهُ . فدخل الجنة »[1].

فمن هذا الحديث يتَّضح لنا أمران :

الأول: أن الشرك شيءٌ خطير ، وعظيم ، ودقيق ، ولو كان بأقل الأشياء ، فهذا الرجل قد دخل النار ؛ لأنه قرَّب لغير الله تعالى ذبابًا ، فيجب البُعْد عن الشرك وأسبابه وكل ما يؤدِّي إليه .

الثاني : مدى عِظَمِ التوحيد في قلوب المؤمنين ، فنرى ذلك الرجل المؤمن لم يقبل أن يتقرَّب إلى غير الله ، ولو بشيءٍ صغير حقير مثل الذباب ، وفضَّل على ذلك أن يُقَدِّم روحه رخيصةً في سبيل الله ، وهو يأبى إلَّا أن يموت على التوحيد .

تنبيـه :

لقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد مقالةً في المسألة التاسعة : (كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فَعَلَه تخلُّصًا من شرهم) وهذا الأمر فيه تفصيلٌ ، هو أن هذا الرجل حينما قرَّب هذا القربان فَعَلَه تخلُّصًا من شرهم ، فكيف يُحْكَمُ عليه بدخول النار ، وكما هو مُقرَّرٌ عندنا في الإسلام أن الله لا يُؤاخذ على الإكراه ، فكيف يكون ذلك ؟

ونقول : الأمر لا يخلو من شيئين :

الأول: أن يكون في شرع من قبلنا : ليس لهم الرخصة عند الإكراه أن يقولوا كلمة الكفر أو يفعلوا فِعْلةَ الشرك ، ولَمَّا فَعَلَ هذا الرجل فعلة الشرك وجبتْ له النار .

الثاني : أن يكون هذا الرجل حينما قرَّب الذباب ، وافق قلبُه عمَلَهُ ولم يُنكر قلبُه فِعْلَه ، ولم يكن مطمئنًا بالإيمان (والاطمئنان بالإيمان) في القلب هنا

---

(١) رواه الإمام أحمد في (كتاب الزهد) صـ ١٥ عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي ، (وهو موقوف صحيح) . وذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد .

فيصلٌ في المسألة ، قال تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] . فلمَّا لم يطمئن قلبُه بالإيمان ، وتابع قلبُه عَمَلَه ، وجبتْ له النار ، وهذا الاحتمال أرجح عندي . والله أعلم .

* * *

(١) النحل : (١٠٦) .

○ التوكل ○

معنى التوكل لغةً :

توكل الرجلُ بالأمر : ضمن القيام به .

توكل الرجلُ على الله : اتّكل على الله : استسلم إليه .

الوكيل : من أسماء الله تعالى ، وهو الكفيل بأرزاق العباد[١].

معنى التوكل شرعًا :

هو تفويض الأمر إلى الله والثقة به مع ما قُدّر له من التّسبُّب .

وقيل : هو اعتماد القلب على الله وثقته به وأنه كافيه .

قال الإمام أحمد ، رحمه الله:(التوكل عمل القلب) ولكن التعريف الأول أشمل لمعنى التوكل الحقيقي ، فليس معنى التوكل أنه مجرد عمل قلبي ، وحقيقة الأمر أن التوكل عمل قلبي ، وهو أيضًا قول باللسان ، وهو أيضًا عمل بالجوارح ، إذًا فالتوكل عمل القلب ، ولا ينافي حركة الجوارح ، خلافًا لقوم قصرت بهم أفهامُهم عن فَهْم معنى التوكل ، وزعموا أنه تَرْك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل[٢].

قال ابن القيم ، رحمه الله: (التوكل) نصف الدين ، والنصف الثاني (الإنابة) فإن الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل : هو الاستعانة ، والإنابة : هي

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) للحافظ ابن الجوزي كلام نفيس في التوكل يحسن الرجوع إليه في كتاب (تلبيس إبليس) .

العبادة ، ومنزلة التوكل أوسع المنازل وأجمعها ولا تزال معمورة بالنازلين ؛ لسعة متعلّق التوكل وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ، فأولياؤه وخاصّته يتوكلون عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه ، وفي محابّه وتنفيذ أوامره[١].

أفضل التوكل :

إن أفضل التوكل في الواجب – أعني واجب الحق ، وواجب الخلق ، وواجب النفس – وأوسعه وأنفعه : التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية ، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض ، وهذا توكل وَرَثَتِهِم من العلماء ، ثم الناس بعد في التوكل على حَسَب هممهم ومقاصدهم ، فَمِنْ متوكل على الله في حصول الملك ، ومن متوكل في حصول رغيف ، ومَنْ صَدَق توكله على الله في حصول شيءٍ ناله[٢].

التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب :

لقد أخطأ بعض الناس فَهْم معنى التوكل الحقيقي ، فقعدوا عن طلب الرزق والأخذ بالأسباب بحجة التوكل ، ولكن الحق أن التوكل لا يدعو للكسل والتقاعس ، بل إن التوكل هو عمل إيجابي بنّاء ، يعمل على دَفْع حركة الحياة والأخذ بالأسباب ، فإن لم يترجم وينطبع هذا التوكل القلبي على اللسان والجوارح فلا قيمة له ، بل هو حينئذ تواكلٌ وتكاسلٌ وليس توكُّلا ، فعن الزبير – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « **لأَنْ يأخذ أحدُكم حَبْلَهُ ، ثم يأتي الجبلَ فيأتي بحزمةٍ من حَطَبٍ على ظهرِهِ فيبيعها فيَستَغنِي بها ، خيرٌ له من أن يسألَ الناسَ أعطَوْهُ**

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ، ضمن بغية القاصدين (للشيخ عبد الله السبت) صـ ١٧٦ ، وذلك بتصرف .

(٢) المرجع السابق صـ ١٧٧ .

أو مَنَعُوه »[١]. وعن المقدام بن معدي كرب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أكَلَ أحدٌ طعامًا قَطُّ خيرًا مِن أن يأكُل مِن عَمَلِ يدِهِ** ». قال : « **وكان داودُ لا يأكُلُ إلَّا مِن عَمَلِ يَدَيْهِ** »[٢]. وأخبر الإمام البيهقي (في شعب الإيمان) بإسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه– قال: دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك، ولا خير في امرىء بلا درهم[٣] . وروى أيضًا عن إبراهيم بن بشار (خادم إبراهيم بن أدهم) قال : سمعت أبا علي الفضيل بن عياض يقول لابن المبارك : أنت تأمرنا بالزهد والتَّقلُّل والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ، كيف ذا وأنت تأمُرُ بخلاف ذا ؟ قال ابن المبارك : يا أبا علي ، أنا أفعل ذا لأصون بها وجهي ، وأُكْرم بها عِرْضي وأستعين بها على طاعة ربي ، لا أرى لله حقًّا إلا سارعتُ إليه حتى أُقوم به . فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا . فنلحظ في الحديث وهذه الآثار معنى التوكل الحقيقي الذي أمرنا الله به في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ ، الذي أساسه الأخذ بالأسباب وبعد ذلك التوكل على الله ، وقد بيَّن النبي عليه الصلاة والسلام لنا هذا الأمر واضحًا جليًّا في مثلٍ يضربه لنا بالطير التي تخرج من عشها نشيطةً وتغدو ، وتروح آخذةً بالأسباب متوكلةً على ربٍّ وخالق الأسباب ، فتغدو جائعة ، وترجع بطانًا ، فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لو أنَّكم تَتَوَكَّلُون على اللهِ حقَّ التَّوكُّلِ لَرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغدو خِماصًا ، وتَرُوحُ بِطانًا** »[٤].

---

(١) رواه البخاري (كتاب الزكاة) باب (الاستعفاف عن المسألة) .

(٢) رواه البخاري (كتاب البيوع) باب (كسب الرجل وعمله بيده) والإمام أحمد في المسند .

(٣) انظر مختصر شعب الإيمان للبيهقي (للإمام أبي المعالي القزويني) صـ ٣٧ .

(٤) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان ، والحاكم وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قال ابن القيم – رحمه الله –: فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكّل ألبتة ، لأن التوكل أقوى الأسباب في حصول المتوكّل فيه ، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببًا في حصول المدعو به[١] .

الأدلة على وجوب التوكل من الكتاب والسنة :

أولًا : من الكتاب :

إن التوكل عبادة ، ويجب صرفها لله تعالى حتى يتم توحيد العبد ويخلو من شوائب الشرك وأدران الجاهلية ، وصرف هذا التوكل لغير الله شرك ، ولذلك كثيرًا ما يأمرنا الله في كتابه بالتوكل عليه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢] . في هذه الآية جعل الله التوكل عليه شرطًا في الإيمان ،ولا يتمّ إيمان العبد إلّا بالتوكل على الله ، وجعل الله التوكل صفة من صفات المؤمنين، وأنهم أهله، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٣]، كما قال موسى عليه السلام لقومه : ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ ﴾[٤] ، وقال الله يأمر نبيه ﷺ بالتوكل عليه حتى يكون قدوة ونبراسًا لنا على الطريق : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٥] .

ثانيًا : من السنة :

ونرى أيضًا في سنة رسول الله ﷺ الأمر بالتوكل على الله حق التوكل، فكما عوَّدنا رسولُنا دائمًا يأمرنا بالذي هو خيرٌ لنا، ويُقرِّبُنا إلى الله ويحفظ علينا توحيدنا من كل الشوائب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(١) مدارج السالكين ضمن بغية القاصدين صـ ١٧٨ .
(٢) المائدة : (٢٣) .
(٣) إبراهيم : (١١) .
(٤) يونس : (٨٤) .
(٥) النمل : (٧٩) .

« يَدْخُلُ الجنةَ مِن أُمّتي سبعون ألفًا بلا حساب » ثم وصفهم بأنهم : « هم الذين لا يكتوون ، ولا يَسْتَرْقُون ، ولا يَتَطَيَّرون ، وعلى رَبِّهم يَتوكَّلُون ». فقام عُكاشةُ بنُ محصن الأسديُّ – رضي الله عنه – فقال : أنا منهم يا رسولَ الله ؟ فقال : « أنت منهم » . ثم قام رجُلٌ آخر فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال : « سَبَقك بها عكاشةُ »[١]. فجعل النبي ﷺ السبب الرئيسي والأساسي لدخول هؤلاء السبعين ألفًا الجنة حُسْنَ توكلهم على الله ، فجعلهم يتركون الكَيَّ والرُّقية والتشاؤم ؛ وذلك لشدة تعلُّقهم وثقتهم في الله تعالى ، فحقّ لهم دخول جنة ربهم .

وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنّكم تَتوكَّلُون على الله حقّ التَّوكُّلِ لَرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدو خِماصًا وتَرجِعُ بِطانًا »[٢].

فيلفت رسولنا الكريم ﷺ أنظارنا إلى هؤلاء الطير الذين أخذوا بالأسباب، ثم توكلوا على الله حق التوكل بيقين راسخ وإيمان صادق، فمنّ الله عز وجل عليهم بالرزق .

ويتبين لنا من هذه الآيات وهذه الأحاديث وغيرها من الأدلة: وجوب التوكل على الله، وأن التوكل عبادة، بل يجب أن تُتَوَّج كل عبادة بالتوكل على الله حقَّ التوكل .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الطب) (باب من اكتوى أو كوى غيره) و (كتاب الرقاق) باب ﴿ من يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .
ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب) .
ورواه الترمذي في (صفة القيامة) .

(٢) رواه الترمذي (كتاب الزهد) وقال : حديث حسن صحيح .
وابن ماجه (كتاب الزهد) .
وابن حبان ، والحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

الأنبياء وعقيدة التوكل :

إن من عقيدة الأنبياء التوكل على الله ، وتجريد هذا التوكل له دون سواه ، فلا عَجَبَ فهؤلاء الأنبياء والمرسلون هم الذين بعثهم الله ليُعلّموا الناس العقيدة ، فمثلا قال الله تعالى عن نبيه – هود عليه السلام –: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾[1]. وكذلك نوح– عليه السلام– يتوكل على الله ، إذ قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾[2] . وقال عن شعيب – عليه السلام –: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[3]. وقال لنبينا محمد ﷺ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾[4]. وقال تعالى عن رسله أجمعين، إذ قالوا لقومهم: ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[5].

وعن ابن عباس– رضي الله عنهما– في قوله: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[6]، قال : قالها إبراهيم – عليه السلام – حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ وأصحابه حين : ﴿ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[7][8] .

---

(١) هود : (٥٦) .

(٢) يونس : (٧١) .

(٣) هود : (٨٨) .

(٤) النمل : (٧٩) .

(٥) إبراهيم : (١١ ، ١٢) .

(٦،٧) آل عمران : (١٧٣) .

(٨) رواه البخاري (كتاب التفسير) ، (تفسير سورة آل عمران) باب (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) .

فهكذا يُعَلِّم هؤلاء الصفوة من خَلْق الله الأُمَمَ العقيدة الصحيحة والتوحيد السليم الكامل ، وكان هذا المطلب هو الأساسي من دعوة هؤلاء الرسل ، وكان هو بُغيتهم ، ومن أجله حاربهم قومهم وآذوهم ، ولكنهم صبروا ابتغاء مرضاة الله تعالى واحتسابًا للأجر عند الله ، وذلك مع توكلهم على الله عز وجل ، ويقينهم بأن الله معهم ، وأن الله ناصرهم ، وأن الله مؤيدهم ، فإن حزب الله هم الغالبون .

فجزاهم الله عنا خير الجزاء، فلقد بلّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، ونصحوا لأممهم، وتركوهم على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك والعياذ بالله.

فنسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يحيينا على شريعتهم وعقيدتهم، وأن ينصرنا كما نصرهم ، ويُؤيِّدنا كما أيدهم ، وأن يميتنا على ملتهم ويحشرنا في زمرتهم ، وألّا يحرمنا مرافقتهم في الفردوس الأعلى بكرمه ومَنّهِ .

* * *

○ الاستعانة ○

معنى الاستعانة لغةً :

(أعانهُ) على الشيء : ساعده .
(عَاوَنَه) معاونةً ، وعِوانًا : أعانه .
(اسْتَعَان) فلانٌ بفلان : طلب منه العون[١].

معنى الاستعانة شرعًا :

هي طلب العون من الله تعالى على سبيل التعبد لله . وهي من أنواع العبادة .

وجوب صرف الاستعانة لله تعالى وحده :

إن الاستعانة عبارة عن طلب العون والمدد من الله ، وهي نوع من أنواع العبادة ، ولذلك يجب صرفها لله وحده ، وإن صرفها لغير الله تعالى يُعَدُّ شركًا بالله ، وذلك لصريح الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح على ذلك :

أولًا : من الكتاب :

قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢].

أي لا نعبد إلَّا إياك ولا نستعين إلَّا بك ، ونبرأ من كل معبودٍ دونك ومن عابديه ، ونبرأ من الحول والقوة إلَّا بك ، فلا حول لأحدٍ عن معصيتك ، ولا قوة على طاعتك إلَّا بتوفيقك ومعونتك[٣]. ونلاحظ هنا تقديم المفعول «إياك»،

(١) انظر المعجم الوسيط .
(٢) الفاتحة : (٤) .
(٣) معارج القبول (٢/ ٤٥٢) .

وهذا يفيد التخصيص ، أي لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلّا بك ، وهذا بخلاف إذا قيل (في خلاف القرآن) : نستعين بك ، فقد نستعين به وبغيره ، ولكن تقديم المفعول « إياك » هنا يفيد التخصيص والقصر ، فالعبادة والاستعانة مخصوصة ومقصورة على الله دون غيره ، ويبيِّن الله تعالى لنا في قصة يعقوب – عليه السلام – مدى تمسُّكه بالعقيدة ، وعدم تخليه عنها ، حتى في أحلك الظروف عندما اشتدت عليه المحن فلم يجد أمامه إلّا الصبر والاستعانة بالله تعالى ، قال تعالى على لسان يعقوب – عليه السلام –: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1]. وقالها أيضًا محمد بن عبد الله ﷺ لمَّا ظلمه قومه وافتروا عليه الكذب ، وتنوَّعوا في مقامات التكذيب والإفك ، فلم يجد رسولنا الكريم ﷺ حيلةً ولا قوةً خيرًا من أن يستعين بالله عليهم وعلى كذبهم وإفكهم ، فَذَرَاً بها في وجوههم ، وقصم بها ظهورهم ، قال تعالى على لسانه ﷺ : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[2].

ثانيًا : من السنة :

أما أحاديث الرسول ﷺ ، نرى الكثير منها والكثير يحُثُّ فيها أُمته على أن تصرف هذه العبادة (عبادة الاستعانة) لله عز وجل ، ومنها ما يلي :

قال النبي ﷺ لابن عباس – رضي الله عنه – يوصيه : « **إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستَعِنْ باللهِ** »[3]. وهذه الوصية لابن عباس خاصة ولنا عامة ، فنحن أحوج للانتفاع بها من غيرنا ، خاصة وقد ضعف إيماننا وقلت استعانتنا بربنا . وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ ضمن حديث له : « **احْرِصْ على ما ينفعك واستعن** ....

---

(١) يوسف : (١٨) .

(٢) الأنبياء : (١١٢) .

(٣) رواه الترمذي (في صفة القيامة) وقال : حديث حسن صحيح .

بالله »[1]. وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ : « اللَّهمَّ أعِنّي على ذِكْرِك وشُكْرِك وحُسْنِ عبادَتِك ». والعون هو عين الاستعانة .

أنواع الاستعانة :

هناك نوعان من الاستعانة يجب التفريق بينهما :

النوع الأول : هناك أشياء لا يستطيع فعلها إلا الله مثل (الإحياء ، والإماتة ، والشفاء ، والمرض ، ونزول المطر ، التوفيق ، الهداية ...) فهذه الأشياء وغيرها مما لا يقدر عليها إلا الله ، لا يطلب الاستعانة فيها إلا من الله تعالى ، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك .

النوع الثاني : وهي الأمور التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها ويؤديها ؛ كمثل أن تستعين بأخيك المسلم في حمل متاعك ، أو تستعين به في رفع شيء ثقيل ، أو تستعين به في مساعدتك في زرع الأرض وحرثها أو قطف ثمارها ، وغير ذلك مما يستطيعه الإنسان ، فهذه الأمور يجوز فيها الاستعانة بالله ، وبالعبد على قضائها ولا شيء في ذلك ، إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) رواه مسلم (كتاب القدر) باب (الإيمان للقدر والإذعان له) .

○ الاستغاثة ○

معنى الاستغاثة لغة :

طلب الغوث .

وعند النحاة : نداءُ مَنْ يخلِّص من شدةٍ أو يعين على دفع بلية .

الغوثُ: الإعانة والنصرة، استغاث الرجلُ فلانًا: استنصره واستعان به(١) .

معنى الاستغاثة شرعًا :

وهو طلب الغوث من الله تعالى على سبيل التَّعبُّد له وطلب التَّقرُّب إليه ، وذلك في أمْرٍ كربٍ أو شدَّةٍ .

فالاستغاثة وهي طلب الغوث نوعٌ من العبادة التي يجب صرفها لله تعالى ، فلا يستغاث إلا بالله ، ومن استغاث بغير الله ولو كان مَلَكًا مقربا أو نبيًّا مرسلًا فقد أشرك بالله ، فيأبى الله إلَّا أن تصرف إليه الاستغاثة ، فهو سبحانه وتعالى المغيث ولا مغيث غيره .

الاستغاثة من الكتاب والسنة :

لقد ذكر الله تعالى الاستغاثة في كتابه العزيز ، فلم تصرف إلَّا له سبحانه ، قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٢) .

قال الإمام أحمد – رحمه الله –:

عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : لما كان

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) الأنفال : (٩) .

يومَ بدرٍ فاستقبلَ النبيُّ ﷺ القبلةَ ، ونظرَ إلى المشركين وعليه رِدَاؤه وإزارُه ثم قال : « اللَّهمَّ أنْجِزْ لِي ما وَعَدْتني ، اللهمَّ إن تَهْلِك هذه العصابةُ مِن أهلِ الإسلامِ فلا تُعْبَد في الأرضِ أبدًا » . قال : فما زال يستغيثُ ربَّه ويدعوه حتى سقطَ رِدَاؤه عن مَنْكِبَيْهِ ، فأتاه أبو بكر فأخذَ رداءَهُ فَرَدَاهُ ، ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبيَّ الله ، كفاك مُناشَدَتك رَبَّك فإنه سيُنْجِزُ لك ما وَعَدَك . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1][2]. قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[3]. وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾[4]. وكان من دعاء النبي ﷺ : « يا حيُّ يا قيُّوم ياذا الجلالِ والإكرامِ برحمتِك أستَغِيثُ »[5].

وعن ثابت بن الضحاك : أنه كان في زمن النبيِّ ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين فقال بعضُهم : قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق . فقال الرسول ﷺ : « إنه لا يستغاثُ بي ، وإنما يُستغاثُ باللهِ »[6]. وثبت في الصحيح من حديث أنس بن مالك في الاستسقاء : كان الرسول ﷺ يقول : « اللَّهمَّ أغِثْنا ، اللهمَّ أغِثْنا » .

أنواع الاستغاثة :

هناك نوعان للاستغاثة يجب التفريق بينهما حتى يكون المسلم على وعيٍ وعلمٍ وفقهٍ بأمر دينه .

---

(١) الأنفال : (٩) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ، سورة الأنفال .

(٣) النمل : (٦٢) .

(٤) الشورى : (٢٨) .

(٥) رواه الحاكم في مستدركه وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ولم يوافقه الذهبي .

(٦) رواه الطبراني في الكبير وذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد قال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، غير ابن لهيعة ، وهو حسن الحديث .

النوع الأول: الاستغاثة فيما لا يملكه إلا الله ، كرفع مرضٍ أو بلاء ، ويُقصد بها التعبد لله تعالى والتّذلُّل له ، وهذه لا تصرف إلَّا لله تعالى ، وصرفها لغير الله شركٌ أكبر يُخرج من الملة ، ومن هذا النوع أيضًا استغاثة بعض الناس بالقبور والأموات في رفع ضرٍّ أو بلاء ، فهذا شركٌ أكبر يخرج من الملة الإسلامية .

النوع الثاني: هذا النوع وهو الاستغاثة بالإنسان وبالإخوان والأصحاب في بعض أمور الدنيا التي يقدرون عليها ، مثل ذلك : استغاثة الغريق بمن هو يستطيع إنقاذه من الغرق ، أو الاستغاثة ببعض المسلمين لإخماد حريق ، وغير ذلك من الأشياء التي يقدر عليها الإنسان ولا تدخل في دائرة العبادة ، فهذا النوع من الاستغاثة يجوز ولا شيء فيه . والله أعلم .

* * *

○ الدعاء ○

معنى الدعاء لغةً :

ما يُدْعَى به الله من القول .

(الدُّعَّاءَةُ) : الكثير الدعاء[١].

معنى الدعاء شرعًا :

هو التوجُّه إلى الله ؛ إما للثناء عليه ، وإما لسؤاله لدفع ضرّ ، أو جلْب منفعة وكلها عبادة لله تعالى .

أنواع الدعاء :

ينقسم الدعاء إلى نوعين :

النوع الأول: (دعاء عبادة) لله ، وهو يشمل الثناء على الله والخوف والرجاء قال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٢]. وقال : ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٣].

النوع الثاني : (دعاء المسألة) وهو طلب ما ينفع الداعي من جَلْب نفع أو كشف ضرّ ، ولهذا أنكر الله تعالى على من يدعو أحدًا دونه ممن لا يملك ضرًّا ولا نفعًا ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٤] . وقال : ﴿ قُلْ

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) الأعراف : (٥٥) .

(٣) الأعراف : (٥٦) .

(٤) المائدة : (٧٦) .

أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ﴾[١]. وقال : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] .

الفرق بين الاستغاثة والدعاء :

إن كلًّا من الاستغاثة والدعاء توجُّهٌ إلى الله على سبيل التَّعبُّد وإظهار الخشوع والتَّذلُّل بين يدي الله عز وجل وطلب مسألةٍ منه ، إلَّا أن **الاستغاثة** : لا تكون إلا من المكروب ، **وأما الدعاء** : فهو أعمُّ من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره ، فبينهما عموم وخصوص مطلق ، فإن (كل استغاثة دعاء ، وليس كل دعاء استغاثة) .

صرف الدعاء لغير الله شرك :

إن كل أمرٍ شرعه الله لعباده وأمرهم به وحثَّهم عليه فهو عبادة ، و... فعلهُ لله تعالى ، فمن صرف تلك العبادة أو جزءًا منها لغير الله تعالى فهو مشرك ، وحث الله تعالى عباده على الدعاء لأن الدعاء عبادة ، قائلًا : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة السنية :

فإذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب إلى الإسلام مَنْ مَرَقَ منه مع عبادته العظيمة ، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام لأسبابٍ ؛ منها:(الغلو في بعض المشايخ ، بل الغلو في علي بن أبي طالب ،

---

(١) الأنعام : (٧١) .
(٢) يونس : (١٠٦) .
(٣) غافر : (٦٠) .

بل الغلو في المسيح) فكل من غالى في نبيٍّ أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية ، مثل أن يقول : ياسيدي فلان انصرني ، أو أغثني ، أو ارزقني ، أو أنا في حسبك ، ونحو هذه الأقوال ، فكل هذا شركٌ وضلال يُستتابُ صاحبهُ ، فإن تاب وإلّا قتل ، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعْبَد وحده لا شريك له ، ولا يُدْعَى معه إلهٌ آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل (المسيح ، والملائكة ، والأصنام) لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم ، أو يعبدون قبورهم ، أو يعبدون صورهم ، يقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] . ويقولون : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2] . فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة[3] .

الدعاء عبادة :

إن الدعاء نوع من العبادة ولذلك أمر الله به في كتابه العزيز وبيَّن أنه عبادة وتوعد من أعرض واستكبر عن هذه العبادة .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[4] . فأمر الله تعالى أن نتعبَّده بالدعاء ، وتوعَّد من استكبر عن عبادته بجهنم .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزلُ ربنا كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقَى ثلثُ الليل الآخِر فيقول : مَنْ يدعوني فأستجيب له ، ومَن يسألني فأعطيه ، ومَن يستغفرُني فأغفر له »[5] .

---

(١) الزمر : (٣) .
(٢) يونس : (١٨) .
(٣) انظر الرسالة السنية (نقلًا عن فتح المجيد) .
(٤) غافر : (٦٠) .
(٥) رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب (الدعاء نصف الليل) .

○ الاستعاذة ○

معنى الاستعاذة لغة :

العَوْذُ : الملجأ ، عاذَ به عَوْذًا وعِياذًا : التجأ إليه ، تَعَوَّذَ : التجأ إليه واعتصم ، استعاذ به : تعوّذ به .

يقال : استعاذ بالله . أعاذَهُ بالله : حصّنه به وبأسمائه[1] .

معنى الاستعاذة شرعًا :

هي الالتجاء والاعتصام بالله تعالى على سبيل التعبد والتقرب إلى الله تعالى من كل شر .

فالاستعاذة كما قال ابن كثير – رحمه الله –: « الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر واللّياذ : يكون لطلب الخير »[2] .

قال ابن القيم – رحمه الله –:

الاستعاذة : الالتجاء والاعتصام ، ولهذا يسمّى المستعاذ به مَعَاذًا ومَلْجأ ، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه واعتصم واستجار به والتجأ إليه (وهذا تمثيل) وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة[3] .

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) نقلًا عن فتح المجيد .

(٣) نقلًا عن فتح المجيد .

وجوب صرف الاستعاذة لله تعالى :

الاستعاذة عبادة يتقرَّب بها إلى الله تعالى ، فيجب صرفها لله من دون خلقه ، وصرفها لغيره يُعَدُّ شركًا أكبر يُخرِج صاحبه من ملة الإسلام ، ويوجب له الخلود في النار ، ولذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ به سبحانه من دون خلقه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾[1]. وقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[2]. وقال تعالى مخبرًا عن بعض الإنس الذين يعوذون ببعض الجن ، موضحًا سبحانه أنه شرك يُخرج من الملة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[3].

قال ابن كثير – رحمه الله –:

أي كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس ؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها – كما كانت عادة العرب في جاهليتها – يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم ، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا ، أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا حتى أصبحوا أشدّ منهم مخافةً وأكثر تعوُّذًا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي إثمًا ، وزادت الجن عليهم جراءة .

وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول:أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أُضَرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي .

قال قتادة : فإذا أعاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك[4].

---

(١) الفلق : (١) .
(٢) الناس : (١) .
(٣) الجن : (٦) .
(٤) انظر تفسير ابن كثير (سورة الجن) .

ولقد علَّمنا الرسول ﷺ السبيل الصحيح ، والطريق القويم ، والتوحيد الصافي ، فعلَّمنا ماذا نقول إذا نزلنا أي مكان وخفنا أن يمسنا فيه سوءٌ فليس لنا إلَّا أن نتحصَّن بالتوحيد ، ونتعوَّذ بالله وبكلماته العظام فيحفظنا ربنا من كل سوء وشرٍّ .

فعن خولة بنت حكيم – رضي الله عنها – قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : **« مَنْ نَزَلَ منزلًا فقال : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ مِن شرِّ ما خلَق ؛ لم يَضُرَّه شيءٌ حتى يَرْحَلَ من منزلِهِ ذلك »**[١].

ومعنى كلمات الله التامات : قيل:معناها : الكاملات التي لا يدخلها نَقْص ولا عيب ، وقيل : الشافية النافعة ، وقيل : المراد بها القرآن الكريم .

قال الحسن بن هانىء في شعره :

يا مَنْ أَلُوذ به فيما أُؤمِّله ... ومن أَعُوذُ به مِمَّا أُحاذِرُه

لا يَجْبُرُ الناس عظمًا أنت كاسِره ... ولا يَهيضُون عظمًا أنت جابره[٢]

* * *

(١) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء) (باب الدعوات والتعوذ) ، والترمذي (كتاب الدعوات) وابن ماجه (كتاب الطب) والإمام أحمد في المسند .

(٢) نقلًا عن تفسير ابن كثير (سورة الأعراف) .

○ الخوف ○

معنى الخوف لغةً :

انفعال في النّفس يحدث لتوقُّع ما يَرِد من المكروه ، أو يفوت من المحبوب .

معنى الخوف شرعًا :

هو الرَّهْبة مما عند الله تعالى من العقاب مع تعظيم الله تعالى ، وذلك على سبيل التعبُّد .

الخوف عبادة :

إن الخوف نوعٌ من أنواع العبادة ، فالمسلم يتعبَّد ربه بالخوف ، فلا تصرف هذه العبادة لغير الله تعالى ، وصرفها لغير الله شركٌ أكبر يُخرج صاحبه من الملة ، ولذلك أمر الله تعالى عباده المؤمنين في كتابه العزيز أن يخافوه ، ويصرفوا تلك العبادة له وحده – تعالى – وينفوها عن غيره .

قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

ولذلك قلنا في التعريف:إن الخوف والرهبة التي يشعر بها العبد على سبيل التعبُّد ، أي يقصد بها التّقرُّب إلى الله تعالى،ويؤيد ذلك ما جاء عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : « سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[2]، هم الذين يَشْربون الخمرَ ويَسْرِقون ؟ قال : « لا يا ابنةَ الصّدِّيق ، ولكنَّهم الذين يصومون ويُصلُّون ويَتصدَّقُون ، وهم يخافون أن لا يُقبلَ منهم ، ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾[3] »[4] . فدلَّ هذا الحديث الشريف على أن المؤمن يعمل الصالحات تعبُّدًا وتقرُّبًا إلى الله تعالى ، ويتوّج هذه العبادات بعبادة الخوف عسى الله أن يَتقبَّل منه ، فدلَّ ذلك على أن الخوف عبادةٌ ويتقرَّب بها إلى الله تعالى .

---

(١) آل عمران : (١٧٥) .
(٢ ،٣) المؤمنون : (٦٠ ، ٦١) .
(٤) رواه الترمذي في : (التفسير) ، وابن ماجه : (كتاب الزهد) ، ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

أنواع الخوف :

إن الخوف أنواعٌ ؛ منه ما هو عبادةٌ ، ومنه ما ليس بعبادةٍ ، فهناك خوفٌ فطريٌّ ، وخوف عبادة :

١ - خوف الفطرة :

إن الإنسان خلق ضعيفًا ، وخَلَقَ الله فيه فطرةً لا تبديل لها ، وذلك بحُكْم بشرية هذا الإنسان ، فهو يشعر ويحسّ ، ويتألم ويجوع ، ويفرح ويحزن ، ويخاف الخوف الذي هو مرتبط ببشريته ، فلو أن هناك مثلًا إنسانًا في طريق مقطوعٍ ليس به أحد ، وخرج عليه أسدٌ ، فلا شك ولا ريب أن هذا الإنسان سوف يشعر بالخوف ، ويحاول مسرعًا التخلص من هذا الموقف الخطر ، فهل نقول إن خوف هذا الإنسان قد أثّر على عقيدته ؟ أو نقص من توحيده ؟ فلعلّ هذا الإنسان المسلم الذي خاف من هذا الأسد بفطرته كان قلبه مشبعًا بالإيمان ، راسخٌ في عقيدته أن الله هو النافع وهو الضارّ ، ولكن لا يملك فطرته . ونرى هذا الأمر قد حدث من موسى - عليه السلام - مثلًا حينما وجد العصا تهتزُّ أمامه، فأوجس منها خيفةً، فقال الله عز وجل له: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾[1] ، بل إن إبراهيم-عليه السلام - الذي هو إمامنا في العقيدة والتوحيد - شعر بهذا الخوف الفطري ، وذلك لمّا دخل عليه ضيفُه من الملائكة ، فقرَّب إليهم الطعام - كعادته في الكرم-فلمّا وجدهم لا تمتدّ أيديهم للطعام ، أوجس منهم خيفةً فطمأنوه أنهم رسل الله إليه ، قال تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[2]

٢ - خوف العبادة :

وهذا النوع من الخوف هو الذي يمسُّ العقيدة والتوحيد ، فيجب صرفه لله تعالى وحده ، ولا يُشرَك مع الله فيه أحد ، ومثال هذا الخوف أن يُخوِّفك ويُروِّعك إنسانٌ ما فتخاف منه ، وتعتقد أنه يستطيع أن ينفع ويضرّ مِنْ دون الله تعالى ، وهنا

---

(١) طه : (٢١) . (٢) الذاريات : (٢٨) .

تُهْدَم عقيدتك ويُنْقَض توحيدك ؛ لأنه من عقيدة المسلم أن النفع والضرّ بيدي الله تعالى ، ولربما قال قائل : إننا نرى بعض الطغاة والظالمين فعلًا يضرّون ، بل يعذّبون إلى الموت ، أليس هذا بضُرٍّ ؟ ونقول : هناك فَرْقٌ بين وصول الضُّرّ إليك على يد إنسان ما ، وبين أن يملك ذلك الإنسان الضُّرّ ، فحتى لو وقع ضرٌّ على يد إنسان فلا نخاف منه ، ولا نخضع له ، بل يجب أن نعتقد أن الله هو الذي أراد وقوع هذا البلاء ، ولكنْ كان على يد هذا الإنسان أو هذا الظالم ، ولكن ما زال الضرّ بيدي الله سبحانه وتعالى ، وهو المتصرّف فيه يبتلي به من شاء من عباده ، واسمع إلى قول الله تعالى : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[١] .

إذ يجب على المسلم أن يعتقد أن الضر كله بيدي الله ، ولا ولن يستطيع إنسانٌ ما – مهما أُوتي من قوةٍ وجبروت – أن يضرّ بأقل ضرٍّ إلّا بإذن الله تعالى ، فوجب إذَنْ صَرْفُ كل الخوف لله تعالى ؛ لأنه هو الذي يملكه ، وصرفُ هذا الخوف عن كل مخلوقٍ من دون الله تعالى ، وها هو الله تعالى ينادي على عباده بألّا يخافوا من الشيطان وجنوده وأوليائه ، بل يخافون من الله تعالى وحده ، وهو كافيهم ، وهو حافظهم ،وهو الذي سيَرُدُّ كيد أعدائهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

أدلة وجوب الخوف من الله من الكتاب والسنة :

والأدلة على أن الخوف عبادة يجب صرفها لله وحده ، وهي كثيرة نذكر منها :

الأدلة من الكتاب :

قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣] ، وقال : ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾[٤]، وقال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ

(١) التوبة : (٥١).
(٢) آل عمران : (١٧٥) .
(٣) آل عمران : (١٧٥) .
(٤) الرعد : (٢١) .

مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[١]، وقال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[٣] .

الأدلة من السنة :

حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت : **سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[٤]، هم الذين يشربون الخمرَ ويَسْرِقُون ؟ قال : « لا يا ابنةَ الصِّدِّيق ، ولكنَّهم الذين يصومون ويُصَلُّون وهم يخافون أن لا يُقْبَلَ منهم »**[٥].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **« لو تعلمونَ ما أعلمُ لَضَحِكْتُم قليلًا وَلَبَكَيْتُم كثيرًا »**[٦] وفي رواية : **« وما تلذَّذْتُم بالنساءِ على الفُرُشاتِ ولخرَجْتُم إلى الصُّعُداتِ تجأرُونَ »**[٧].

عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : **« اتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ »**[٨].

---

(١) إبراهيم : (١٤) .

(٢) الرحمن : (٤٦) .

(٣) الإسراء : (٥٧) .

(٤) المؤمنون : (٦٠) .

(٥) رواه الترمذي (في التفسير) وابن ماجه (في الزهد) ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٦) رواه البخاري (كتاب التفسير– سورة المائدة) باب ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ ورواه مسلم (كتاب الفضائل) باب (توقيره ﷺ) .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند وابن ماجه في (الزهد) والترمذي في (الزهد) وسنده حسن .

(٨) رواه البخاري (كتاب الزكاة) باب (اتقوا النار ولو بشق تمرة) و (كتاب الرقاق) . ورواه مسلم (كتاب الزكاة) .

وعن أبي بكر – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « شيبتني هود ، والواقعة ، وعما يتساءلون ، وإذا الشمس كورت »[١] .

وعاتب رجلًا بعضُ إخوانه على طول بكائه ، فبكى ثم قال[٢]:

(بكيت على الذنوب لعظم جُرْمي وحُقَّ لكلِّ مَنْ يعصي البكاءُ
فلو كان البكاء يَرُدُّ هَمِّي لأَسْعَدَتِ الدموع معًا دماءُ)

وكان عمر بن عبد العزيز لا يَجِفُّ فوه من هذا البيت[٣] :

ولا خَيْرَ في عيش امرىءٍ لم يكُنْ له من الله في دار القرار نصيب

وسمع أبو الفتح البغدادي هاتفًا يهتف بالشونيزية (مقبرة ببغداد)[٤] :

وكيف تنام العَيْنُ وهي قريرةٌ ولم تَدْرِ في أي المحلَّيْن تَنْزِلُ

فذهب عنه النوم .

الخوف الممدوح :

إن الخوف الذي أمرنا به الله تعالى في كتابه العزيز وحثنا عليه الرسول ﷺ ، هو الخوف الذي يجعل المسلم يندم على ما وقع منه من المعاصي والذنوب ، ويتوب إلى الله تعالى ، إن الخوف الممدوح هو الذي يكون نقطة انطلاق إلى طاعة الله تعالى ، وعقْدُ العبدِ مصالحةً مع الله عز وجل ، ويكون بداية عهدٍ وتصميمٍ على عدم العودة مرةً أُخرى للمعاصي ، وليس الخوف المقصود هنا الذي يصل بصاحبه إلى اليأس من رحمة الله تعالى ، والعياذ بالله .

* * *

---

(١) رواه الترمذي (في التفسير) وأبو يعلى في مسنده ، وابن سعد في الطبقات ، وأبو نعيم في الحلية ورواه الحاكم وقال:إسناده على شرط البخاري (ووافقه الذهبي) .

(٢،٣،٤) انظر مختصر شعب الإيمان للبيهقي اختصره الإمام أبو المعالي القزويني .

○ الخشية ○

تعريف الخشية لغةً :

خَشِيَ خَشْيَةً : خاف .

خَشَاهُ ، خَشْيًا : كان أشدّ خشيةً منه .

خَشِيَ فلانًا : خافه[(١)].

تعريف الخشية شرعًا :

هي خضوع القلب والجوارح لله تعالى طاعةً وخشوعًا وخوفًا من مقامه ووعيده ، على سبيل التَّعبُّد لله تعالى .

الخشية عبادة :

إن الخشية نوعٌ من أنواع العبادة التي يجب ألّا تصرف إلّا لله تعالى ، وصرفها لغير الله يُعَدُّ شركًا ينقض ويهدم العقيدة ؛ وذلك لأن الله تعالى هو المتفرِّد بالخلق ، فيجب أيضًا أن يُفْرَد بالعبادة ، قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[(٢)]. فمن خَلَقَ هو الذي يحقُّ له التشريع والتحريم والتحليل ، وهو أحقُّ بصرف العبادة له دون سواه . والخشية التي هي بمعنى (الخوف ، والوجل ، والخشوع ، والخضوع) لا يحلُّ لعبدٍ أن يصرفها لعبدٍ مخلوقٍ مثله ، وإن مَلَكَ أسباب التخويف أو قَدَرَ على توصيل أذى لك ، أو إصابتك بمكروه ، أو ابتلائك ببعض المصائب ، فكل ذلك بتقدير من الله تعالى وإرادة منه ، فيجب ألّا يفتن المخلوق بمخلوقٍ مثله ، وأن يرسخ في قلب العبد المسلم أن الضر والنفع بيدي الله ، وما هؤلاء إلا عبيد يجري على أيديهم قضاء الله وقدره . إذَنْ فالله أحق أن تصرف إليه هذه الخشية وهذا الخوف والوَجَل ، وذلك لأن العبد المخلوق مهما استطاع أن يضرَّ فلن يضرّ إلّا بما كتبه الله على العبد ، وفي نفس الوقت لا يملك إلّا الجسد ، ولكن الروح والقلب والعقيدة لا يستطيع أن يصل إليها ، فبلال – رضي الله عنه –

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) الأعراف : (٥٤) .

كان المشركون يعذّبون جسده ، ويُؤلمون هذا الجسد ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى هذا القلب الذي هو مِلْكٌ لله ومعلّق بأبواب الله ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه العقيدة ، فإنها راسخة رسوخ الجبال ، فما كان منه – رضي الله عنه – إلّا أن يعلنها أمامهم وعلى مسامعهم جميعًا معلنًا أن خضوعه وخشيته لله تعالى وحده ، فكان يردّد (أحد ، أحد) واسمع إلى قوله تعالى : ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[1] . فمهما استطاع المخلوق أن يوصل إليك الضر فهو أذى يسير ، عارضٌ سطحيٌّ لا يمسُّ عقيدةً ولا توحيدًا ، ولا يستطيع أن يتغلغل إلى إيمان العبد ، ومع هذا فإن العبد بِتَعَلُّقِهِ بالله وبخشيته لله تعالى هو الأعلى ، وهو الغالب ، وهو الظاهر ، إن شاء الله تعالى ؛ كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] .

أدلة وجوب الخشية من الله من الكتاب والسنة :

أولًا من الكتاب :

لمّا كانت الخشية عبادة – كما أسلفنا – فإن الله تعالى أمرنا بها وفرضها علينا ، وحذّرنا من أن نصرفها لغيره ، فنرى آيات الله تعالى في كتابه تبيّن فرضية تعبُّد الله بهذه العبادة . ومن هذه الآيات :

قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾[3] . أي : لا تخشوا شُبَهَ الظَّلَمَة المتعنّتين ، وأفرِدوا الخشية لي ، فإنه تعالى هو أهل أن يُخشى[4] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[5] ، أي أنهم – مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح – مشفقون من الله خائفون منه ، وجِلُون من مكْره بهم كما قال الحسن البصري – رحمه الله –: إن المؤمن جَمَعَ إحسانًا وشفقة ، وإن المنافق جمع

---

(١) آل عمران: (١١١). (٢) آل عمران: (١٣٩). (٣) البقرة : (١٥٠).
(٤) تفسير ابن كثير (سورة البقرة). (٥) المؤمنون : (٥٧) .

إساءة وأمنًا[١]. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[٢]، أي إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتّبعون الذكر ، وهو القران الكريم ، حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى ، يعلم أن الله مطّلعٌ عليه وعالمٌ بما يفعل . وقال تعالى ، مبشرًا عباده الذين يخشونه بالغيب أن لهم المغفرة والأجر الكبير : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٣] . ويقول مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه ، إذا كان غائبًا عن الناس ، فيكفّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات ، حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى فإن له مغفرةً وأجرًا كبيرًا ، أي تُكفَّر عنه ذنوبه ، ويُجازى بالثواب الجزيل[٤] .

ويجعل الله تعالى الخشية صفة عباده المؤمنين الأبرار ، وأنها مما يُميّزهم عن غيرهم من الكفار والمشركين ، فهي سمة واضحة فيهم ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٥] . أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز ، لِمَا يفهمون منه من الوعد والوعيد ، وتقشعرُّ منه جلودهم من الخشية والخوف ، وتلين جلودهم لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه ، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار[٦] .

من السنة النبوية المطهرة :

وأيضًا نرى الأمر والحثّ والترغيب في الخشية من الله تعالى وإفراده بهذه العبادة في سنة رسوله ﷺ ، وفي أحاديثه الشريفة ، فما زال الرسول الكريم ﷺ يحثُّنا على كل ما يُقرِّبنا إلى الله وإلى جنته ، وما زال يُحذِّرنا وينهانا عن كل ما

(١) تفسير ابن كثير (سورة المؤمنون) .
(٢) يس : (١١) .
(٣) سورة الملك : (١٢) .
(٤) تفسير ابن كثير (سورة الملك) .
(٥) الزمر : (٢٣) .
(٦) تفسير ابن كثير (سورة الزمر) .

يُبعدنا عن الله ويقرِّبنا إلى النار :

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكى مِن خشيةِ اللهِ تعالى حتى يَعُودَ اللبنُ في الضرْعِ** »[1] يخبر الرسول ﷺ أن البكاء من خشية الله دلالةٌ على مدى إيمان ذلك العبد وخشيته وخوفه من مقام ربه ، فكان ذلك علامة على رضا الله عليه ، ونجاته من النار والعياذ بالله منها .

وعن أبي أمامة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : « **ليس شيءٌ أحَبَّ إلى اللهِ مِن قَطْرَتَيْنِ وأثَرَيْن : قطرةُ دموعٍ من خشيةِ اللهِ ، وقطرةُ دمٍ تُهراقُ في سبيلِ اللهِ ، وأمَّا الأثَرانِ : فأثَرٌ في سبيلِ الله، وأثرُ فريضةٍ من فرائضِ اللهِ تعالى** »[2]. فقطرة الدمع التي قد سالت وانهمرت من خشية الله تعالى من أحبّ الأشياء إلى الله؛ وأنها ما انهمرت إلّا خوفًا من الله تعالى، وخشية من مقامه، وعبادة له، فإن الله يحبها ويحب العبد الذي انهمرت منه، ويحب الرجل الذي هذه صفته، فالبشرى لهم كل البشرى.

وفي الصحيح قول النبي ﷺ : « **أما واللهِ إنّي لأَخشاكم لله وأتقاكم له** »[3]. فبيَّن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن الخشية من أفضل العبادات، وأنه أخشى العباد لربه ، فكلما زاد إيمان العبد بربه وخَلُص كلما زادت خشيته منه .

* * *

---

(١) رواه الترمذي في فضائل الجهاد. وقال: حديث حسن صحيح. ورواه النسائي في الجهاد وأحمد في المسند، والحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي في (فضائل الجهاد) وقال : حديث حسن .

(٣) رواه البخاري (كتاب النكاح) باب (الترغيب في النكاح) .

○ الرجـاء ○

تعريف الرجاء لغةً :

الترجي : ارتقاب شيءٍ محبوب ممكن .

رجَّاه : أمَّله .

ترجَّاه : أمَّله .

رَجَاهُ رَجْوًا ، ورجاءً ، ورجاةً : أمَّله ، فهو راجٍ[1].

معنى الرجاء شرعًا :

الرغبة والأمل فيما عند الله من الثواب والرحمة ، مع الأخذ بالأسباب على سبيل التَّعبُّد .

وقيل: (هو الاستبشار بجود الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه)[2].

الفرق بين الرجاء والتمني :

١ - **التمني** : التمني هو (تطلع الإنسان إلى شيءٍ ما ، ولكنْ مع الكسل وعدم الأخذ بالأسباب ، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد) . ومثال ذلك : أن يتمنى شخص ما أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها ، وهو قاعدٌ لا اشترى أرضًا ، ولا بذر حبًّا ، ولا أخذ ثمارًا ، فقعد به كسلُه وعَدَمُ أخذه بالأسباب عن الوصول إلى ما تطلَّع إليه والحصول على ما تمنَّى .

٢ - **أما الرجاء** : فهو (الأمل في حصول شيءٍ ما ، ولكنْ مع الأخذ بالأسباب وبذل الجهد وحُسْن التَّوكُّل) . ومثال ذلك : أن يأمل إنسان طلوع الزرع لأرض قد شقَّها ، وفلحها وبذرها ، فلم يحجبه رجاؤه عن الأخذ بالأسباب ، بل دَفَعَه هذا الرجاء إلى بَذْل الجهد وحُسْن العمل ، ثم أحسن في توكُّله على الله تعالى ، فكان عاقبة أمره الحسنى .

ولذلك قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين: « أجمع أهل العلم على أن (الرجاء) لا يصلح إلا مع العمل » .

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) مدارج السالكين (لابن القيم) منزلة الرجاء .

أنواع الرجاء :

١ - فالرجاء الأول :

هو رجاء رجلٍ عمل بطاعة الله تعالى ، على نورٍ من الله ، وهو يرجو من الله تعالى القبول ، وأن يؤجر ويُثاب على عمله وطاعته ، فهو يرجو الله تعالى ويطمع في كرمه وعطائه . (وهذا النوع محمود) .

٢ - وأما الرجاء الثاني :

فهو رجاء رجلٍ أذنب ذنوبًا ، ولكنه تاب وندم ورجع لله تعالى ، فهو راجٍ لمغفرته وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه ، فهو على أملٍ أن تُقبل توبته عند ربه ويُغفر ذنبه بهذه التوبة ، وعلى أملٍ أيضًا أن يتقبّله الله تعالى في زمرة الصالحين . (وهذا النوع أيضًا من الرجاء محمود) .

٣ - وأما الرجاء الثالث :

فهو رجاء ذلك المتمادي في التّفْريط ، والخطايا ، المنغمس في الذنوب والمعاصي ، المعرض عن طريق ربه ، الذي غرق في شهواته وملذاته مُتّبعًا لهواه ، ومع ذلك يدّعي أنه يرجو رحمة الله تعالى ، ولكن بلا عمل ، فهذا هو الغرور والتّمنّي والرجاء الكاذب . (وهذا النوع هو المذموم) .

قال الحافظ ابن الجوزي - رحمه الله -: (إن مثل الرّاجي مع الإصرار على المعصية ، كمثل من رجا حصادًا وما زَرَعَ ، ورجا ولدًا وما نكح)[١] .

وقال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل :

ما بال دينك تَرْضَى أن تُدَنِّسَهُ ... وإنَّ ثوبك مغسولٌ من الدَّنَسِ
ترجو النجاةَ و لم تَسْلُكْ مسالكَها ... إنَّ السفينة لا تجري على اليَبَسِ[٢]

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على (مختصر شعب الإيمان للبيهقي) صـ ٣٣ .

(٢) مختصر شعب الإيمان للبيهقي ، للإمام أبي المعالي القزويني صـ ٣٤ .

الرجاء عبادة :

إن الرجاء نوعٌ من أنواع العبادة يجب أن تصرف لله تعالى دون سواه ، ومَنْ صرفها لغير الله تعالى وقع في الشرك ، ولهذا نرى الله تعالى في كتابه العزيز يمدح دائمًا عباده المؤمنين الذين هم دائمًا على رجاء لما عند الله تعالى من الأجر والثواب والرحمة والمغفرة .

فيجب على المسلم ألّا يعلّق قلبه إلّا فيما عند الله تعالى وييأس مما عند الناس ، وأن يثق فيما عند ربه أكثر مما في يده ، فلا يرجو إلّا رحمة ربه ، ولا يقف إلا على أبواب مولاه. فتلك هي العقيدة الصحيحة، والتوحيد الكامل، قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] .

وتوعَّد الله تعالى لمن أعرض عن هذه العبادة وتركها واستهان بها ، توعَّده بأن له النار فهي مأواه ومولاه ، جزاءً لإعراضه عن هذا الرجاء الذي يجب أن يتحلّى به كل مسلم أراد الله والدار الآخرة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[3] .

وفي المقابل يمدح الله تعالى عباده المؤمنين ، الذين دائمًا يتقرَّبون إلى الله تعالى بطاعته ، ويتوجَّهون هذه الطاعة وتلك العبادة برجاء رحمته ، ولا يفارقهم الخوف من عذابه جل وعلا ، قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[4] .

---

(١) الكهف : (١١٠) .
(٢) العنكبوت : (٥) .
(٣) يونس : (٧) .
(٤) الإسراء : (٥٧) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في هذه الآية :

يقول تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم من دوني : هم عبادي يتقرَّبُون إليَّ بطاعتي ، ويرجون رحمتي ، ويخافون عذابي ، فلماذا تدعونهم من دوني ؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء .فتأمَّل هذا الموضوع حقَّ التَّأمُّل يطلعك على أسرارٍ عظيمة من أسرار العبودية والمحبة ، فكل محبةٍ فهي مصحوبة بالخوف والرجاء ، وعلى قدر تمكُّنها من قلب المحب يشتدّ خوفه ورجاؤه ، ولكن خوف المحب لا يصحبه وَحْشَةٌ ، بخلاف خوف المسيء ، ورجاء المحب لا يصحبه عِلَّة[1] .

وها هو النبي ﷺ يفتح أمامنا الباب ، باب الرحمة ، باب الرجاء فيما عند الله من الثواب والعطاء ، وعدم اليأس من كرمه جل وعلا ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ اللهَ تعالى خلَقَ الرحْمةَ يومَ خلَقَها مائَةَ رحمةٍ ، فأمْسَكَ عنده تسعًا وتسعين رحمةً ، وأرسلَ في خلْقهِ كلِّهم رحمةً واحدةً ، فلو يَعْلَمُ الكافرُ بكلِّ ما عند اللهِ مِنَ الرحمةِ لم ييأسْ من الجنةِ ، ولو يعلمُ المسلمُ بكلِّ الذي عند اللهِ مِنَ العذابِ لم يأمنِ النارَ** »[2].

وأيضًا نرى النبي ﷺ يعلمنا حقيقة التوحيد ، وأنه لابد من صرْف كل هذه العبادات لله تعالى وحده دون سواه ، فقال ﷺ في دعاء المكروب : « **اللَّهُمَّ رحمتَك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي ولا إلى أحدٍ مِن خلقِك طَرْفَةَ عينٍ** »[3]. وقال : « **لو يعلمُ المؤمنُ ما عند الله من العقوبةِ ما طَمِعَ في جنَّتِهِ أحدٌ ، ولو يعلمُ الكافرُ ما عند الله من الرحمةِ ما قَنَطَ من رحمته أحدٌ** »[4].

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (منزلة الرجاء) .
(٢) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب (الرجاء مع الخوف) .
(٣) رواه أبو داود (في الأدب) وإسناده حسن .
(٤) رواه مسلم (كتاب التوبة) باب (سعة رحمة الله تعالى) ، ورواه الترمذي (في الدعوات) وأحمد في المسند .

بين الرجاء والخوف :

لقد أمرنا الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أن نتقرَّب إليه ونتعبَّده بهاتين العبادتين ، وأن يكون المسلم دائمًا يحمل في قلبه الرجاء في ثواب الله وكرمه ، ولكنَّه على حذرٍ ووَجَلٍ ، يخاف عذابَ الله ، فالمؤمن دائمًا بين رجاءٍ وخوف ، رجاء يدفعه لعمل الطاعات والزيادة في الأعمال الصالحة ، وخوف يجعله دائمًا يقف عند حدود الله ويتجنَّب معاصيه . وقال ابن تيمية - رحمه الله- : (الخوف المحمود ما حَجَزَك عن محارم الله) . ولكن إذا كان العبد المسلم في حياته الدنيا يستسلم لربه ويرجو رحمته ، ويرجو أن يُقيل عثرته ويقبل حسناته مع عيوب أعماله ويعفو عن سيئاته ، فإنه يجب على العبد أن يزداد عنده هذا الرجاء ويغلب عليه عند الموت ، فيغلب رجاؤه خوفه ، وطمعُه في رحمة ربه خشيَتَه من عذابه وهذا الموقف (موقف الموت) يستلزم زيادة الرجاء في الله على الخوف منه ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : **سمعتُ رسولَ الله ﷺ قبلَ موتِهِ بثلاثةِ أيامٍ يقول : « لا يموتُ أحَدُكم إلا وهو يُحسِنُ الظنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ »**[1]. أي يغلب عليه رجاؤه ، والطمعُ فيما عند الله تعالى قبل موته ، فهو الآن في مقام الاستسلام وانقطاع السبيل ، فليس له إلا الطمع والأمل والرجاء فيما عند الله من الكرم والعطاء والمغفرة والرحمة .

من فوائد الرجاء[2] :

ذكر منها ابن القيم - رحمه الله - ما يلي :

١ - إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ، ويستشرفه من إحسانه ، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين .

٢ - أنه سبحانه يحبُّ من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله ، لأنه

---

(١) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) وأبو داود (في الجنائز) ، وابن ماجه (في الزهد) وأحمد في المسند .

(٢) نقلًا عن مدارج السالكين (لابن القيم) وذلك باختصارٍ وتصرف .

الملك الحق الجواد ، أجْوَد مَنْ سُئل ، وأوْسَعُ وأكرم مَنْ أعْطَى ، والسائل راجٍ وطالب ، فمن لم يَرْجُ الله يغضب عليه .

٣ – إن الرجاء يطرح العبد على عتبة ربه ، ويُبلّغه في دهليزها ، فإنه كلما اشتدَّ رجاؤه وصل له ما يرجوه وازداد حبًّا لله وشكرًا له ورضا به وعنه .

٤ – أن يبعث الرجاء العبد إلى أعلى المقامات ، وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية ، فإنه إذا حصل له ما يرجوه فقد أدّى شكره .

٥ – إنه يوجب بالعبد المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتّعلّق بها ، فإن الراجي متعلّق بأسمائه الحسنى متعبِّد بها وداعٍ بها ، فالقَدْح في مقام الرجاء تعطيلٌ للدعاء بها .

* * *

○ وجوب الحُكْم بما أنزل الله ○

التعريف اللغوي :

الحَكَمُ :

هو الله تعالى . قاله الليث .

قال الزهري : من صفات الله : الحَكَمُ ، الحَكِيمُ ، الحَاكِمُ .

الحُكْمُ :

القضاء . وجَمْعُه : أحكام . قاله ابن سيده .

وهو : العِلْم والفِقْه والقضاء ، وهو مصدر : حَكَمَ يَحْكُمُ .

الحَكِيمُ :

العالِم صاحب الحكمة .

قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى : الحَكَمُ والحكيم ، وهما بمعنى الحاكم .

الحاكِمُ :

القاضي .

منفِّذ الحكم ، والجمع : حُكَّامٌ ، وهو الحَكَمُ[1].

ما أنزل الله :

هو كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) .

---

(١) انظر لسان العرب المجلد الثاني صـ ٩٥١ ، باب الحاء .

التعريف الشرعي :

هو تحكيم كتاب الله تعالى – وهو القرآن الكريم – في كل أمور الدين والدنيا ، تعبُّدًا لله تعالى بهذا التحاكم وامتثالًا لأمره .

إن من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته : الخضوع لحُكمه ، والرضا بشرعه ، والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف في أي شيء فيجب أن يردوه إلى الله وإلى الرسول ﷺ .

أهمية الحُكم بما أنزل الله :

فالحكم بما أنزل الله تعالى عبادةٌ من أهمّ وأجلّ العبادات التي يتقرَّب بها إلى الله ؛ وذلك لأمرين :

١ – إن الحكم بما أنزل الله مظهر من مظاهر توحيد الله في ألوهيته وأنه هو المتفرِّد بالحكم والأمر ، وأن السيادة له سبحانه دون سواه ، وصرفه لله حق من حقوقه ، وهو التشريع لعباده والحُكم بينهم .

٢ – إن الحكم بما أنزل الله عبادةٌ ليست كأكثر العبادات يقتصر خيرُها وفائدتها على فاعلها وعلى بعضٍ من العباد ممَّن حوله ، بل إن الحكم بما أنزل الله ينتفع بخيره وبركته شعوبٌ وأممٌ ، ويضلّ وينحرف بتعطيله شعوب وأمم ، فإذا حَكَم الحاكمُ بما أنزل الله في كتابه وعلى رسوله في سنته الشريفة ، عمَّتِ البركة على كل العباد ، (حتى على الطير والحيوان وبهيمة الأنعام) وانتشر الأمن والرخاء وسعد الناس واطمأنَّتْ قلوبهم ونامت عيونهم ، أمّا – والعياذ بالله – إذا عطَّل الحاكم شرع الله وأحلَّ غيره من قوانين البشر بدلًا منه ، كانت الانتكاسة والحسرة والندامة ، ونزعت البركة وانتشر الخوف ، وانتُهكت حرمات العباد وسُلِبت حريتهم واعتُدِي على أعراضهم .

وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى :

لما كان الحُكم بما أنزل الله حقًّا من حقوقه تعالى وعبادةً من أَجَلّ العبادات التي يتقرَّب بها العبد إلى الله ، فقد أمر الله في كتابه العزيز بالالتزام بهذه العبادات

وعدم الحَيْف عنها ، وتحقيقها لله تعالى والحُكم بها بين عباده وهي كثيرة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾(١) . والعدل هنا هو الحكم بما أنزل الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

قال ابن كثير – رحمه الله – في هذه الآية :

أمر من الله بالحكم بالعدل بين الناس ، ولهذا قال محمد بن كعب ، وزيد ابن أسلم ، وشهر بن حوشب : إن هذه الآية إنما أُنزلت في الأمراء ، يعني الحكام بين الناس ، وفي الأثر : « **عَدْلُ يومٍ كعبادةِ أربعين سَنَة** » أي يأمركم به في أداء الأمانات والحكم بين الناس، وغير ذلك من شرائع الكمال العظيمة الشاملة»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(٣)، فحكم الله تعالى في هذه الآية بالكفر على مَنْ لم يحكم بما أنزل الله ، فدلَّ ذلك على أن الحكم بما أنزل الله إيمان ، وأنه واجب على كل حاكم وكل والٍ أن يحكم بما أنزل الله ، وأن عدوله عن الحكم بما أنزل الله كُفر ، وكذلك يجب على الرَّعيَّة وعامَّة المسلمين أن يتحاكموا لما أنزل الله ، وإنَّ التحاكم إلى أي طاغوتٍ من طواغيت الأرض دون شرع الله وما أنزل الله ، فهو أيضًا يعدُّ كفرًا يُخرج من الملة ، وينقض التوحيد والإيمان ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٤) . فمعنى هذه الآية الكريمة : أنه أمر صريح بوجوب التحاكم لله ولرسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ

---

(١) النساء : (٥٨) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (سورة النساء) .

(٣) المائدة : (٤٤) .

(٤) النساء : (٥٩) .

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] . وهنا ينفي الله الإيمان عمن لا يتحاكم إلى ما أنزل الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، بل الأمر لا يقتصر على مجرد التحاكم ، بل ألَّا يجد العبد المسلم المؤمن حرجًا من حكم ما أنزل الله ، بل لابد مع ذلك كله التسليم كل التسليم لهذا الحكم والرضا به قلبيًا .

حُكم من حَكَمَ بغير ما أنزل الله :

إن حكم من حَكَم بغير ما أنزل الله من الأمور التي كثُر الكلام فيها والأخذ والرَّدّ رغم أن الأمر واضح ، فإن الآيات واضحات والأحاديث بينة ، ولكنّ الأمر يحتاج إلى قوة في الدين والعزيمة ، وصدقٍ في العقيدة ، ولكنْ ضعفت نفوس بعض الناس ، فمنهم من داهن ، ومنهم من آثر السلامة ، ومنهم من تأثّر بوضع المسلمين الآن فأصبح في ريبة من أمره ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم . إن الحكم بغير ما أنزل الله وصف الله صاحبه وفاعله في كتابه أنه (كافر ، ظالم ، فاسق) وهذا الكفر كفر أكبر يخرج من ملة الإسلام . ولكن الأمر فيه نوعٌ من التفصيل ، إذ الحكم بغير ما أنزل الله على منازل مختلفة ، وهي كما يلي :

١ - مَنْ حَكَمَ بغير ما أنزل الله جحودًا بشرع الله وتفضيلًا لغيره عليه ، فهو كفر أكبر يخرج من الملة .

٢ - مَنْ حَكَمَ بغير ما أنزل الله اعتقادًا أن شرع الله تعالى ليس أهلًا لمسايرة العصر ، وأن غيره هو أجْدَرُ وأسهل وأنسب لطبيعة الناس التي تغيَّرتْ وتتغيَّر من آنٍ لآخر ، فهذا أيضًا كفر أكبر يخرج من ملة الإسلام ، ويوقعه في دائرة الشرك .

٣ - مَنْ حَكَمَ بغير ما أنزل الله استرضاءً للكفار والمنافقين ، فهو كافر كفرًا مخرجًا من الملة .

---

(١) النساء : (٦٥) .

٤ - مَنْ بَدَّلَ شريعة الله كاملة بتشريع آخر ونحّى شرع الله ، فهو كافرٌ كُفرًا أكبر يخرج من الملة .

٥ - مَنْ حَكَمَ بغير ما أنزل الله معتقدًا أن الحكم بما أنزل الله ليس بواجب، وأنه مخيرٌ فيه، أو استهان بحكم الله، فهو أيضًا كافر كفرًا أكبر يخرج من الملة.

٦ - من جهل حكم الله في مسألةٍ ، فبذل فيها جهده في معرفة الحكم وأخطأه ، فهذا المخطىء له أجرٌ على اجتهاده ، وخطؤه مغفورٌ له إن شاء الله .

٧ - مَنْ حَكَمَ في قضية خاصة بغير ما أنزل الله ، ولم يستخفّ بشرع الله ولم يحتقره ، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه وأنفع منه ، ولكن فعل ذلك إمّا (لضعف نفس عنده ، وإما تسلُّطًا على المحكوم عليه ، أو محاباة للمحكوم له ، وإما من أجل رشوة ، أو غير ذلك من عرض الدنيا) فهذا فاسق ظالم ، وكفره كفر أصغر لا ينقل عن الملة ، ولكن ذلك في القضايا الخاصة الفردية ، أما إذا حَكَمَ حكمًا عامًّا في دين المسلمين ، وبدل شرع الله بشرع غيره - كما هو الحال في القوانين الوضعية التي نحّى أصحابها شرع الله ، ووضعوا شرع البشر وقوانينهم الفاسدة وحثالة أفكارهم المنتنة بدلًا منه - فهذا هو الكفر الذي ليس بعده كفر ، فهو مخرجٌ من ملة الإسلام، وأصحابه خرجوا من ربقة الإسلام بلا شكٍّ ولا ريب.

فهذا هو حكم الله في كل من حكم بغير ما أنزل الله ، ولهذا الحكم الذي سقناه مفصّلًا أصلٌ من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ وقول أئمة الهدى وسلف هذه الأمة الصالح وخَلَفِهم السائرين على الدرب .

قال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3] .

---

(١) المائدة : (٤٤) .
(٢) المائدة : (٤٥) .
(٣) المائدة : (٤٧) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فإن الحاكم إذا كان ديِّنًا ، لكنَّه حكم بغير ما أنزل الله وكان بغير علم ، كان من أهل النار ، وإن كان عالمًا لكنَّه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار ، وإذا حكم بلا عدلٍ ولا علمٍ أوْلى أن يكون من أهل النار ، وهذا إذا حكم في قضية شخصية ، وأما إذا حكم حكمًا عامًّا في دين المسلمين فجعل الحقَّ باطلًا ، وجعل المعروف منكرًا والعكس ، ونهى عما أمر الله به ورسوله ﷺ، وأمر بما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، فهذا لون آخر يحكم فيه رب العالمين وإله المرسلين ومالك يوم الدين الذي له الحمد في الأولى والآخرة[1].

وقوله رحمه الله (يحكم فيه رب العالمين)، كناية عن كِبر جُرم مَنْ فعل هذا الفِعْل ومن تجرَّأ على هذا العمل ، فيلاحظ في هذه العبارة مدى إنكار ابن تيمية لهذا الأمر واستنكاره له واستغرابه له ، حيث لم يعهد ذلك على المسلمين وأمرائهم وحكامهم !!!

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير القرآن العظيم :

ما حلَّ بالأمة الإسلامية أيام التتار وذلك عند قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾[2] ، قال : ينكر الله على من خرج عن حكمه ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستندٍ من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار في السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم (جنكيز خان) الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بَنيه شرعًا متَّبعًا ،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣٥ / ٣٨٨) نقلًا عن كتاب التوحيد للدكتور صالح الفوزان .

(٢) المائدة : (٥٠) .

يُقدِّمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن فَعَلَ ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ ، فلا يُحَكِّم سواه في قليل ولا كثير[1] .

فكلام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – واضح وضوح الشمس في كُفْر هؤلاء الناس الذين بدلوا شرع الله بشرع غيره من البشر ، بل إنه أوجب على المؤمنين قتال هؤلاء العملاء الذين بدلوا شرع الله ، وأوجب أيضًا السَّعْي على الأمة الإسلامية في خلع مَنْ لم يحكم بما أنزل الله ، وتمكين من هو أحقّ بالحكم من المؤمنين الذين يُحكِّمون شرع الله في خلقه ويجعلونه هو المهيمن وهو القائد .

ويزيد شيخ الإسلام ابن تيمية الأمر وضوحًا حيث قال :

لا ريب أن مَنْ لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله ﷺ ، فهو كافر ، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم . بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية (أي عادات من سلفهم) وكانوا الأمراء المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فإن كثيرًا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله، فهم كفار[2].

فتوى للشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله[3] –:

ويوضح الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – الحالات التي إن فعلها الحاكم

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (سورة المائدة) .

(٢) انظر منهاج السنة النبوية .

(٣) هو فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية سابقًا، وهو من العلماء الأجلاء وأحد شيوخ الشيخ عبد العزيز بن باز . انظر ترجمته في كتاب علماء نجد لبسام (١ / ٨٨) .

دخلت في الحكم المخرج من الملة وهي :

١ – إذا جحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقِّيَّة حكم الله ورسوله . وهو معنى ما روَي عن ابن عباس ، واختاره ابن جرير ، وجحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي لا نزاع فيه بين أهل العلم ، فإن الأصول المتقرِّرة المتفق عليها بينهم: أن من جَحَدَ أصلًا من أصول الدين، أو فرعًا مجمعًا عليه، أو أنكر حرفًا مما جاء به الرسول ﷺ قطعيًّا، فإنه كافرٌ كفرًا ينقل عن الملة.

٢ – إن لم يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أن حكم الله ورسوله حق ، ولكنَّه اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحْسَن من حكمه وأتَمّ وأشْمَل لما يحتاجه الناس، وما استجدّ لهم من حوادث نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، فهذا أيضًا لا ريب في كفره ؛ لتفضيله أحكام المخلوقين على حكم الحكيم الخبير ، فإنه ما مِن قضيةٍ – كائنةً ما كانت – إلا وحكمها في كتاب الله وسنة رسوله نصًّا ظاهرًا أو استنباطًا .

٣ – أن لا يعتقد كَوْنه أحسن من حكم الله ورسوله ، لكن اعتقد أنه مِثله ، فهذا كالنوعين السابقين (كفر ينقل عن الملة) .

٤ – من اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله ، فهو كالذي قبله (كفر أكبر) .

٥ – مِنْ أعظم ذلك وأظهرها معاندةً للشرع ومكابرة لأحكامه ومُشاقَّة لله ولرسوله ﷺ إيجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي (كالقانون الفرنسي والأمريكي والبريطاني) أو غيرها من مذاهب الكفار، وأي كفر فوق هذا؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ بعد هذه المناقضة؟!!!

٦ – ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم التي يسمونها (سلومهم) يتوارثون ذلك منهم رغبة وإعراضًا عن حكم الله[1] .

---

(١) انظر تحكيم القوانين ، لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ص٥ : ٨ .

كشف شبهة :

قد يلتبس على البعض قول بعض السلف وأئمة الهدى من الصحابة والتابعين في قضية كفر من حكم بغير ما أنزل الله ، لأنه ورد عن بعضهم أنه كفر لا يُخرج من الملة ، والأمر فيه تفصيل ، لقد ورد عن إسماعيل بن سعيد الشالنجي ، قال : سألت أحمد عن قوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] ، فقلت له : ما هذا الكفر ؟ قال : لا ينقل عن الملة ، مثل الإيمان بعضه دون بعض ، فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يُختَلَف فيه .

والتفصيل في ذلك : أن مقصود الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – أنه كفر دون كفر ، وهي القضية الخاصة التي يغلب عليه فيها هواه وشهوته أو حُب الانتقام من المحكوم عليه ، أو مجاملة للمحكوم له ، ولكنَّه مع ذلك يعلم أن حكم الله هو الأوْجب ، وهو الأعدل .

ونتأمل قوله (حتى يجيء من ذلك أمر لا يُختَلَف فيه) فكلام الإمام أحمد هنا واضح أن حكمه على الكفر هنا : أنه كفر دون كفر في الأمور العارضة التي ترتكب لمرة أو غيرها ، ولكن إذا جاء أمر لا يختلف فيه ، فذلك هو الكفر الأكبر الذي ينقل عن الملة ، وينقض التوحيد ، وهل يَختَلف مسلم ومسلمة أن حكم الله واجب على عباده ؟ وهل يُختَلَف في أن الله أحقّ بالتشريع لعباده ؟ وهل يُختَلَف في كفر من نحَّى شرع الله كلية أو معظمه ، وأحلَّ مكانه حثالة فكر البشر ، وجعلوا العباد أربابًا من دون الله ، فوالله إنه لأمر واضح جلي لا يَشُكُّ فيه إلا كمَنْ يشكّ في وجود الشمس وقت الظهيرة !!!

قال فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –:

أما الكفر الذي لا ينقل عن الملة ، والذي ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – فإنه كفر دون كفر ، وقوله : ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ، فذلك مثل أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاد

---

(١) المائدة : (٤٤) .

أن حكم الله ورسوله ﷺ هو الحق ، واعترافه على نفسه بالخطأ أو مجانبة الهدى، وهذا وإن لم يخرجه كفره فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر (كالزنا، وشرب الخمر ، والسرقة) فإن معصيةً سماها الله في كتابه كفرًا ، أعظم من معصيةٍ لم يُسَمِّها الله كفرًا[١] .

وقال أيضًا – رحمه الله – في إحدى فتاواه : وأما الذي قيل فيه إنه كفر دون كفر ، إذا حَاكَمَ إلى غير الله مع اعتقاده أنه عاصٍ ، وأن حكم الله هو الحق ، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها .

وأما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر ، وإن قالوا : أخطأنا وحكم الشرع أعدل . فهذا كُفْرٌ ناقِلٌ عن الملة[٢] .

وعلّق فضيلة الدكتور صالح الفوزان[٣] على هذه الفتوى قائلًا :

ففرَّق رحمه الله بين الحكم الجزئيِّ الذي لا يتكرّر ، وبين الحُكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام أو أغلبها ، وقرَّر أن هذا الكفر ناقِلٌ عن الملة مطلقًا ، وذلك لأن من نحَّى الشريعة الإسلامية وجعل القانون الوضعي بديلًا عنها ، فهذا دليل على أنه يرى أن القانون أحسن من الشريعة ، وهذا كفر أكبر يخرج من الملة[٤] .

والذي قرّره فضيلة الشيخين أمرٌ واضحٌ جليّ لأصحاب النفوس السوية ، والطبائع السليمة ، والأمزجة المعتدلة، وهذا هو منهج ورأي غالب العلماء .

وممن ذهب أيضًا من العلماء المعاصرين إلى هذا الرأي :

---

(١) تحكيم القوانين صـ (٨) .

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢ / ٢٨٠) .

(٣) هو فضيلة الشيخ صالح بن صالح الفوزان بن عبد الله الفوزان أحد كبار العلماء الأفاضل بالمملكة العربية السعودية، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة .

(٤) كتاب التوحيد لفضيلة الدكتور صالح الفوزان (للصف الثالث الثانوي) وزارة المعارف .

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[1] حيث قال في إحدى فتاواه :

من لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به واحتقارًا له، أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه وأنفع للخلق ، فهو كافر كفرًا مخرجًا من الملة ، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية ؛ لتكون منهاجًا يسير الناس عليه ، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلَّا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق ، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية والجبلَّة الفطرية ، أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلَّا وهو يعتقد فضْل ما عدل إليه ، ونقْص ما عدل عنه[2] .

فنسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يُحكِّم فينا شرعه وسنة نبيه ﷺ ، وأن يهدي حكام وولاة أمور المسلمين إلى أن يحكموا بما أنزل الله على رسوله ﷺ ، وأن يهيىء لهذه الأمة أمر رشدٍ يعزّ فيه أهل طاعته ، ويذل فيه أهل معصيته ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ، هو ولي ذلك والقادر عليه .

تنبيه هام :

لقد نَفَى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن مَنْ لم يحكم بما أنزل الله ، وعن مَنْ يتحاكم إلى غير الله ورسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3] .

ونَفْيُ الإيمان عمَّن لم يحكم بما أنزل الله تعالى ، وعمَّـن يتحاكم إلى غير الله ورسوله ﷺ ، يدلُّ على أن تحكيم شرع الله (إيمانًا وعقيدةً ، وعبادةً لله)

---

(١) هو فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، من كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.
(٢) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين .
(٣) النساء : (٦٥) .

يجب أن يدين بها المسلم . فلا يكون تحكيمه لشرع الله من أجْل أنَّ تحكيمه أصْلَح للناس وأسْعَد لهم ، وأضْبَط للأمن والأمان ، ولِمَا يأتي من جرَّاء تطبيقه من خير ورزق وبركة فقط، فقد يرتكز بعض الناس على هذا الجانب، ويجعلون الدافع الأساسي لتحكيم شرع الله هو تحقيق المصلحة، ولقد أنكر الله على من يحكم بشرعه من أجل مصلحة نفسه قائلًا: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾[1].

ولكن يجب أن يكون الأصل في تحكيم شرع الله تعالى وما أنزل على رسوله ﷺ هو التَّعبُّد لله تعالى ، والتَّقرُّب إليه بهذه العبادة التي فرضها علينا .

* * *

---

(١) النور : (٤٨ : ٤٩) .

الفصل الرابع

توحيد الأسماء والصفات



□ الفصل الرابع □

○ ثالثًا : توحيد الأسماء والصفات ○

معنى توحيد الأسماء والصفات :

هو الإيمان بأسماء الله وصفاته كما جاءت في القرآن الكريم ، وفي سنة النبي ﷺ ، وذلك على ما يليق بالله سبحانه وتعالى ، وعلى ما أراده الله تعالى بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

ويطلق عليه أيضًا (توحيد قولي اعتقادي) لأنه متعلّق بأعمال القلوب ، الذي هو إقرارها واعتقادها ، وأقوال اللسان من الثناء على الله وتمجيده .

ويسمى أيضًا بالتوحيد (العلمي الخبري) لأن المقصود منه مجرد العلم والمعرفة[١] .

منهج السلف في أسماء الله تعالى وصفاته :

إن منهج السلف الصالح في أسماء الله تعالى وصفاته : هو الإيمان بها كما أخبر الله وكما أخبر بها رسوله ﷺ ، وذلك على مراد الله تعالى ، وبالوجه الذي يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، مع الإيمان بأن الله تعالى لا يشابه أحدًا من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، والإيمان بهذه الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، والإيمان بها في إطار قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب : أن يُوصَف الله بما وصف به نفسه

---

(١) (شرح نونية ابن القيم) للدكتور محمد خليل هراس (٢ / ٥٥) .
(٢) الشورى : (١١) .

أو وصفه به رسوله ﷺ ، وبما وصفه به السابقون الأولون ، ولا يتجاوز القرآن والحديث . قال الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث . ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حقٌّ ليس فيه لغز ولا أحاجٍ ، بل معناه يُعْرَف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، ولا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقوله وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد ، والله سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا في أفعاله ، فكما نتيقَّن أن الله سبحانه له ذات حقيقية ، فكذلك له صفات حقيقية ، وهو ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله مُنَزَّهٌ عنه حقيقة ، فإنه سبحانه مستحقٌّ للكمال الذي لا غاية فوقه ، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ، ولافتقار المُحْدَث إلى مُحْدِث ، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل : فلا يُمثِّلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يُمثِّلون ذاته بذوات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ، ويحرِّفُوا الكلم عن مواضعه ويُلحدوا في أسماء الله وآياته[1] .

تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها :

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين : (واضح جَلِيّ ومشكل خَفِيّ) ، (فالواضح) ما اتَّضح لفظه ومعناه ، فيجب الإيمان به لفظًا وإثبات معناه حقًّا بلا ردٍّ ولا تأويل ، ولا تشبيهٍ ولا تمثيل ؛ لأن الشرع

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٢٦ - ٢٧) .

ورد به فوجب الإيمان به وتلقِّيه بالقبول والتسليم .

وأما (المشكل) وهو ما لم يتَّضح معناه لإجمالٍ في دلالته أو قصرٍ في فهم قارئه ، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به ، والتوقُّف في معناه وترك التعرُّض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه ، فترَدّ علمه إلى الله ورسوله ﷺ ، وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقتين :

الطريقة الأولى : طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[1]، وتركوا التعرُّض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به تعظيمًا لله ورسوله ﷺ، وتأدُّبًا مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[2].

الطريقة الثانية : طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه ، طلبًا للفتنة وصدًّا للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح ، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله ﷺ ، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض ، ويعمونهم عن هدايتها ، هؤلاء هم الذين ذمَّهم الله بقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3][4] .

تقسيم توحيد الأسماء والصفات إلى قسمين[5] :

وينقسم التوحيد القولي (الأسماء والصفات) إلى قسمين ، كل منهما

---

(١) آل عمران : (٧) .

(٢) آل عمران : (٧) .

(٣) آل عمران : (٧) .

(٤) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن عثيمين (٣٢ – ٣٣) .

(٥) أصل هذا التقسيم مأخوذ عن الدكتور / محمد خليل هراس ضمن شرحه لنونية ابن القيم ، فليُراجع للاستزادة .

وردت به آيات الكتاب العزيز :

القسم الأول : (سَلْب) أي نفي للنقائص والعيوب عن الله تعالى .

القسم الثاني : (إثبات) وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى . (وسوف يأتي الكلام عليه في الكلام على صفات الله تعالى وإثباتها له) .

أما القسم الأول : وهو (السلب) فهو وسيلة ومقصود لغيره ، فإن السلب لا يُراد لذاته ، وإنما يقصد لما يتضمَّنه من إثبات الكمال ، فكل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص ، فإنه متضمِّنٌ للمدح والثناء على الله بضد ذلك النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة ، وهذا السلب على قسمين ، قال العلّامة ابن القيم في نونيته :

توحيدُهم نوعانِ قولي وفعـ	ـلِيٌّ[1] كلا نوعَيْه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـ	ـضًا في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب وذا نوعان أيـ	ـضًا فيه حقًّا فيه مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها	عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصلٍ ومنفصل هما	نوعان معروفان أما الثاني

القسم الأول : سلب متصل :

وضابطه : نفي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ ، كنفي الموت المنافي للحياة ، قال تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[2] .

ونفي العجز المنافي للقدرة ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[3] .

---

(١) قولي : وهو توحيد الأسماء والصفات .
فعلي : وهو توحيد الألوهية .

(٢) الفرقان : (٥٨) .

(٣) ق : (٣٨) .

وكذلك نفي وسلب السِّنة والنوم المنافي لكمال القيومية ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[1] .

وكذلك نفي وسلب الجهل والنسيان عن الله تعالى ، المنافي لعلمه الكامل المحيط بكل ما في السماوات والأرض ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] .

وكذلك نفي وسلب الإكراه المنافي للاختيار ، والذل المنافي للعزة ، والسَّفَه المنافي للحكمة ...

القسم الثاني : سلب منفصل :

وضابطه تنزيه الله سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد من الخلق في شيء من خصائصه التي لا تنبغي إلَّا له ، وذلك كنفي الشريك له في ربوبيته ، فإنه منفرد بتمام الملك والقوة والتدبير ، وفي إلهيته فهو وحده الذي يجب أن يألهه الخلق ويُفرِدوه بكل أنواع العبادة والتعظيم ، في أسمائه الحسنى وصفاته العليا فليس لغيره من المخلوقين شركة معه سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[3] ،

ففي هاتين الآيتين نزَّه الله – سبحانه وتعالى – نفسَه عن ثلاثة أشياء :

١ – عن الشرك معه في الملك .

٢ – عن المعاونة من خلقه له .

٣ – عن الشفاعة بغير إذنه .

وقال تعالى – نافيًا عن نفسه اتِّخاذ الصاحبة « الزوجة » ، ومنزِّهًا نَفْسَه عن الولد والنِّد والشريك – ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

---

(١) البقرة : (٢٥٥) .

(٢) آل عمران : (٥) .

(٣) سبأ : (٢٢ – ٢٣) .

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[(١)(٢)] .

من أقوال أئمة السلف في الصفات :

١ - الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -:

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - في قول النبي ﷺ : **« إن الله يَنزلُ إلى السماءِ الدُّنيا »**[(٣)]، **« إن الله يُرى في القيامةِ »**[(٤)]، وما أشبه هذه الأحاديث : نؤمن بها ، ونُصدّق بها ، لا كيف ، ولا معنى ، ولا نردّ شيئًا منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حقٌّ ، ولا نردّ على رسول الله ﷺ ، ولا نَصِفُ الله بأكثر مما وصف به نَفْسَه بلا غايةٍ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٥)]. ونقول كما قال، ونؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشابهه، ولا نُزيل عنه صفةً من صفاته لشناعةٍ شنعتْ، ولا نتعدّى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كُنْه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن[(٦)].

قال الشيخ محمد صالح العثيمين ، تعليقًا على قول الإمام أحمد :

المعنى الذي نفاه الإمام أحمد في كلامه (يقصد قول الإمام : لا كيف ولا معنى) هو المعنى الذي ابتكره المعطِّلة من الجهمية وغيرهم ، وحرَّفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معانٍ تخالفه ، ويدل على ما ذكرنا أنه نفى المعنى ونفى الكيفية لتَضَمُّن كلامه الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين : طائفة

---

(١) الإخلاص : (١ - ٤) .

(٢) انظر (شرح النونية) للدكتور محمد خليل هراس (٥٤ - ٥٩) .

(٣) جزء من حديث رواه البخاري (كتاب التهجد) (باب الدعاء والصلاة من آخر الليل).

(٤) معنى حديث صحيح رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ .

(٥) الشورى : (١١) .

(٦) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (لابن قدامة المقدسي) .

المعطلة وطائفة المشبِّهة(١) .

٢ - الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه :

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه -: (آمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، على مراد الله ، وآمنت برسول الله ﷺ ، وبما جاء عن رسول الله ﷺ ، على مراد رسول الله ﷺ)(٢) .

قال الشيخ ابن تيمية :

(أمّا ما قاله الشافعي فإنه حقٌّ يجب على كل مسلم اعتقاده ، ومن اعتقده ولم يأتِ بقولٍ يناقضه فإنه سَلَكَ سبيل السلامة في الدنيا والآخرة) .

ومن أقوال الشافعي أيضًا :

(لله تعالى أسماء وصفات لا يَسَعُ أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها ، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر ، فأمّا قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل ؛ لأن علْم ذلك لا يُدرك بالعقل ، ولا بالرَّوِيَّة والفكْر ، ويُثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٣)(٤) .

قال ابن قدامة - رحمه الله - تعليقًا على قول الإمامين (الإمام أحمد والإمام الشافعي) في كتاب (لمعة الاعتقاد) :

(وعلى هذا دَرَجَ السلفُ وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كُلُّهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ).

---

(١) فتح البرية في تلخيص الحموية صـ (٦٣) .

(٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي (٣٦) ضمن شرحها لابن عثيمين .

(٣) الشورى : (١١) .

(٤) راجع (مختصر العلو) للألباني صـ (١٧٧) و (اجتماع الجيوش الإسلامية) لابن القيم صـ (١٥٩) نقلًا من محقق (شرح لمعة الاعتقاد) الأخ أشرف عبد المقصود بمصر .

تنبيهات :

التنبيه الأول :

[عبادة الإنسان لصفة من صفات الله شرك] :

كما مر من الحديث عن أسماء الله تعالى وصفاته وما يجب للمسلم تجاهها ولكن يجدر بنا التنبيه على أن عبادة الإنسان لصفةٍ من صفات الله ، أو دعاءه لصفةٍ من صفات الله، فذلك من الشرك، وقد ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لأن الصفة غير الموصوف بلا شكٌ وإن كانت هي وَصْفَه ، وقد تكون لازمة وغير لازمة ، لكنْ هي بلا شك غير الموصوف ،فقوة الإنسان غَيْرُ الإنسان ، وعِزَّة الإنسان غير الإنسان ، وكلام الإنسان غير الإنسان ، كذلك قدرة الله عز وجل ليست هي الله ، بل هي صفةٌ من صفاته ، فلو تعبَّد الإنسان لصفةٍ من صفات الله لم يكن متعبِّدًا لله وإنما تعبَّد لهذه الصفة لا لله عز وجل ، والإنسان إنما يتعبَّد لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

والله عز وجل موصوفٌ بجميع صفاته ، فإذا عبدتَ صفةً من صفاته لم تكنْ عبدتَ الله عز وجل ، لأن الله موصوفٌ بجميع الصفات .

وكذلك دعاء الصفة من الشرك ، مثل أن يقول : يا مغفرة الله اغفري لي ، يا عزة الله أعزيني ... ونحو ذلك[2]. والصحيح قولنا : [اللهم اغفر لي بمغفرتك، وأَعِزَّني بعزَّتك].

التنبيه الثاني :

[لا يجوز إضافة الحوادث لصفةٍ من صفات الله] :

إضافة الحوادث إلى صفةٍ من صفات الله (بمعنى أنه من مقتضى هذه الصفة) لا بأس به ، مثل أن يقول : اقتضت حكمة الله أن يُعذِّب الظالم ، أو أوجب القضاءُ والقدرُ أن يشقى فلان أو يسعد فلان .

(١) الأنعام : (١٦٢) .

(٢) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ صالح بن عثيمين (١ / ١١٤ - ١١٦) .

أمَّا إذا أُضيفت الحوادث إلى صفة من صفات الله وكأنَّ الصفة هي التي فعلتْ دون الموصوف ، فلا يجوز ، لأن المؤثِّر هو الله تعالى ، وهو الخالق المدبِّر لجميع الأمور .

أما القسم الثاني فهو الإثبات :

صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الصفات الذاتية :

وهي الصفات التي لم يَزَل متَّصِفًا بها الله تعالى ، فهي ملازمةٌ للذات (كالعلم والقدرة والسمع والبصر ، والعزة ، والحكمة ، والعلوّ، والعظمة، والوجه واليدين والعينين) .

القسم الثاني : الصفات الفِعْلِيّة :

وهي التي يفعلها الله عز وجل، إذا شاء وقع ما شاء مثل (الاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير ، والإتيان والمجيء يوم القيامة ...)

دراسة بعض الصفات :

وفيما يلي سأذكر - إن شاء الله تعالى - بعضًا من هذه الصفات وذلك مع ذِكْر ما هو فعليّ منها ، وما هو ذاتي ، مستدلًا على كل صفةٍ بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، والخلف من أهل السنة والجماعة ، مع بيان واجب المسلم نحو هذه الصفات والإيمان بها . والله المستعان .

* * *

○ أولًا : الوجه ○

إن لله تعالى وجهًا لا يشبه وجوه المخلوقين ، نصدِّق بذلك ونؤمن به لأن الله – سبحانه وتعالى – أخبرنا بذلك في كتابه ، ونصَّ على ذلك رسولُنا الكريم ﷺ في أحاديثه .

فصفة الوجه ثابتة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف – رحمة الله عليهم –.

فيجب إثباته له بدون تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ ، وهو وجهٌ حقيقي يليق بالله جل جلاله .

قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1]. ولقد وصف الله – عز وجل – وجهه الكريم بالجلال والإكرام ، وذلك لأنه جاء (الوجه) في الآية مرفوعًا وجاء الوصف مرفوعًا ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ فـ ﴿ ذُو ﴾ مرفوعة لأنها تصف الوجه ، وليس الوصف هنا للرب – كما ادَّعى البعض – ولكن الوصف هنا للوجه ، يقول ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية : ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ مِنْ نَعْتِ الوجه ، فلذلك رفع ﴿ ذُو ﴾[2].

وقال تعالى أيضًا إثباتًا لصفة الوجه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[3].

وأما من حديث رسول الله ﷺ فلقد ذكر الوجه في مواضع كثيرة من أحاديثه ﷺ ، فعن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآيةُ ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[4] قال النبيُّ ﷺ : « **أعوذُ بوَجْهِك** ». فقال : ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ ، قال النبي ﷺ : « **أعوذُ بوجهك** ». قال : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ ، قال النبيُّ ﷺ : « **هذا أيسرُ** »[5].

وقال النبي ﷺ لسعد بنِ أبي وقاص : « **إنَّك لن تُنفِق نَفقَةً تبتغي بها وجه الله إلَّا أُجِرْت عليها** »[6].

---

(١) الرحمن : (٢٧) .
(٢) انظر تفسير (سورة الرحمن) للطبري .
(٣) القصص : (٨٨) .
(٤) الأنعام : (٦٥) .
(٥) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ .
(٦) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب (إنما الأعمال بالنية) ورواه مسلم (كتاب الوصية) (أول كتاب الوصية) .

وعن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « جَنَّتَانِ من فضةٍ آنيتهُما وما فيهما ، وجنَّتانِ من ذهبٍ آنيتُهما وما فيهما ، وما بينَ القومِ وبين أن يَنظُرُوا إلى ربِّهم إلَّا رداءُ الكبرياءِ على وَجْهِهِ في جنَّةِ عَدْنٍ »[1].

قال ابن بطال :

« في هذه الآية والحديث (حديث جابر بن عبد الله) دلالة على أن لله عز وجل وجهًا وهو صفة ذاته وليس بجارحةٍ ولا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين ، كما نقول : إنه عالم ، ولا نقول : إنه كالعلماء الذين نشاهدهم »[2] .

فيجب علينا أن نؤمن بهذه الصفة ونثبتها لله تعالى في إطار قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3] .

○ ثانيًا : اليدان ○

لله سبحانه وتعالى يدان تليقان بجلاله وكماله ، لا تشبهان شيئًا من أيدي المخلوقين ، وهي من صفات الله الذاتية ، وهي ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف- رحمهم الله- فيجب إثباتها لله تعالى ، وذلك بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به ، وليستا بجارحتين ، قال تعالى مثبتًا لذاته اليدين : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[4] وقال سبحانه وتعالى - مُقَرِّعًا إبليس حين رفض السجود لآدم ، وردَّ أمر الله عليه استكبارًا وتمرُّدًا-: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[5].

أما من حديث رسول الله ﷺ فالأحاديث في إثبات اليدين لله تعالى كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب التوحيد) .

(٣) الشورى : (١١) . (٤) المائدة : (٦٤) . (٥) ص : (٧٥) .

في حديث الشفاعة الطويل عن أنس ، أن النبي ﷺ قال : « يَجمعُ اللهُ المؤمنين يومَ القيامةِ كذلك فيقولون : لو استَشْفَعنا إلى ربّنا حتى يُريحَنا من مكاننا هذا . فيأتون آدمَ فيقولون : يا آدمُ أما ترى الناسَ ؟ خلَقَك الله بيدِهِ وأسْجَدَ لك ملائكتَهُ ... »[1].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « يدُ الله مَلأى لا يَغيضُها نَفَقَة ، سَحَّاء الليلَ والنهارَ » . وقال : « أرأيتم ما أنفقَ منذ خلَق اللهُ السمٰواتِ والأرضَ ، فإنه لم يَغِضْ ما في يدِهِ » . وقال : « عَرْشُهُ على الماءِ وبيدِهِ الأخرى الميزانُ يَخفِضُ ويَرْفَع »[2].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله يَقْبِض يومَ القيامة الأرضَ ، وتكون السماواتُ بيمينِهِ ، ثم يقول : أنا الملِكُ »[3].

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ من أهلِ الكتابِ ، فقال : يا أبا القاسمِ : إن الله يُمْسِك السمٰواتِ على إصْبَعٍ ، والأرَضِينَ على إصبعٍ ، والشجرَ والثرى على إصبعٍ ، والخلائق على إصبعٍ ثم يقول : أنا الملِكُ ، أنا الملك . فرأيتُ النبيَّ ﷺ ضَحِك حتى بدت نواجِذُه ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[4] »[5].

(١، ٢) رواهما البخاري(كتاب التوحيد) باب قوله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ .

(٣) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾.
و (كتاب التفسير) سورة الزمر باب ﴿ والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة ﴾ .

(٤) الزمر : (٦٧) .

(٥) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ .
و (كتاب التفسير) سورة الزمر باب ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ .

○ ثالثًا : أصابع الرحمن ○

إن لله سبحانه وتعالى أصابع لا تشبه أصابع المخلوقين ، وهي تليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى ، وقد أثبت الرسول ﷺ هذه الصفة لله في كثير من الأحاديث ، وأجمع السلفُ على وجود أصابع للرحمن ، وذلك على ما يليق بجلال الله تعالى ، وذلك بدون تشبيهٍ ولا تعطيلٍ ولا تحريفٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] .

فعن عبد الله بن مسعود ؛ **أن يهوديًا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، إن الله يُمسِكُ السمواتِ على إصبَعٍ ، والأرَضينَ على إصبعٍ ، والجبالَ على إصبعٍ والشجرَ على إصبعٍ ، والخلائقَ على إصبعٍ ، ثم يقول : أنا الملِكُ . فضَحك رسولُ الله ﷺ حتى بَدَتْ نواجذُه ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾**[2]

قال يحيى بن سعيد : وزاد فيه فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم عن عبيدة ، وعن عبد الله : **فضَحِك رسولُ الله ﷺ : تعَجُّبًا وتصديقًا له**[3].

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أيضًا قال : « **جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ، إن الله يُمسِكُ السمٰواتِ على إصبعٍ ، والأرَضينَ على إصبعٍ والشجرَ على إصبعٍ والثَّرى على إصبعٍ ، والخلائقَ على إصبعٍ ، ثم يقول : أنا الملِكُ أنا الملكُ . فرأيتُ النبيَّ ﷺ ضَحِك حتى بدت نواجذُه ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾**[4] ».

---

(١) الشورى : (١١) .
(٢) الزمر : (٦٧) .
(٣) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ .
(٤) الزمر : (٦٧) .
(٥) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي ﴾ .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : « إن قُلُوبَ بني آدمَ كلَّها بين أُصبَعَيْنِ من أصابعِ الرحمنِ كقلبٍ واحدٍ يُصَرِّفُهُ كيف يشاءُ » . ثم قال ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصرِّفَ القلوبِ ، صَرِّفْ قلوبَنا إلى طاعتك »[(١)].

قال ابن بطال :

لا يُحْمَل ذكر الإصبع على الجارحة ، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات لا تُكيَّف ولا تُحدد . وقال : وحاصل الخبر أنه ذَكَرَ المخلوقات ، وأخبر عن قدرة الله على جميعها، فضحك النبي ﷺ تصديقًا له وتعجُّبًا من كونه يَسْتَعْظِم ذلك في قدرة الله تعالى ، وأن ذلك ليس في جنب ما يقدر عليه بعظيم ، ولذلك قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[(٢)] ، أي ليس قدره في القدرة على ما يخلق على الحد الذي ينتهي إليه الوهم ويحيط به الحَصْر ؛ لأنه تعالى يقدر على إمساك المخلوقات على غير شيء كما هي اليوم[(٣)(٤)] .

○ رابعًا : كلام الله تعالى ○

إن الله تعالى أثبت لنفسه الكلام ، وأثبته له نبيه ﷺ ، فالكلام صفةٌ من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله .

فالله سبحانه وتعالى يتكلم كيف يشاء لا يشبه كلامُه كلام المخلوقين ، نؤمن بكلامه على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، وهو كلام حقيقي، يليقُ بالله ويتعلّق بمشيئته، بحروفٍ وأصوات مسموعة.

---

(١) رواه مسلم (كتاب القدر) باب (تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء) .
(٢) الزمر : (٦٧) .
(٣) انظر فتح الباري (كتاب التوحيد) باب (لما خلقت بيدي) .
(٤) انظر تعليق ابن خزيمة في كتاب التوحيد على هذه الصفة .

١ - **ولقد كلَّم الله تعالى بعض خلقه وكلَّموه**، ومنهم نبي الله موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1]. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[2].

٢ - **وكلَّم الله آدم وحواء**. قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3].

٣ - **ويكلِّم الله جبريل عليه السلام**. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **« إن الله - تبارك وتعالى - إذا أحبَّ عبدًا نادى جبريلَ: إن الله قد أحبَّ فلانًا فأحِبَّهُ، فيُحِبُّه جبريلُ، ثم ينادي جبريلُ في السماء: إن الله قد أحبَّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحبُّه أهلُ السماء، ويُوضَع له القَبُولُ في أهلِ الأرضِ »**[4].

٤ - **ويكلِّم الله تعالى الملائكة**. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **« يتعاقَبُون فيكم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهارِ، ويجتمعون في صلاةِ العصرِ وصلاةِ الصبحِ، ثم يَعْرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يُصَلُّون وأتيناهم وهم يُصَلُّون »**[5].

٥ - **يكلِّم الله المؤمنين ويكلِّمونه في الجنة**. فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **« يقول الله لأهلِ الجنةِ: يا أهلَ الجنة فيقولون: لبَّيك ربَّنا وسَعْدَيْك، والخيرُ كلُّه بينَ يَدَيْك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضَى يا ربِّ وقد أعطيْتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خلقِك. فيقول: ألا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ وأيّ شيءٍ أفضلُ من**

---

(١) النساء: (١٦٤).
(٢) الأعراف: (١٤٣).
(٣) الأعراف: (٢٢).
(٤) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق) باب (ذكر الملائكة).
(٥) رواه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة) باب (فضل صلاة العصر).

ذلك ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسْخطُ عليكم بعدهُ أبدًا »[١].

وكلام الله تعالى قديم النوع : ومعنى ذلك أن الله لم يَزَلْ ولا يَزال متكلمًا ، ليس الكلام حادِثًا منه بعد أن لم يكن .

وكلام الله أيضًا حادِث الآحاد : ومعنى ذلك أن آحاد كلامه (أي الكلام المُعَيَّن المخصوص) حادِث لأنه متعلِّق بمشيئته متى شاء تكلَّم بما شاء كيف شاء[٢] .

○ خامسًا : العلو والفوقية ○

العلو والفوقية : صفتان ثابتتان لله تعالى ، فمن صفاته المقدسة علوه على خلقه وأنه فوقهم وذلك ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

فيجب الإيمان بعلو الذات لله تعالى وفوقيته وكونه في السماء ، وذلك بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

ونؤمن أن مُلْك الله وسلطانه في السماء والأرض، وعلمه وَسِعَ كلَّ شيءٍ في السموات والأرض، ولكن ذاته جل وعلا فوق سبع سموات مستوٍ على عرشه، والأدلة من كتاب الله لإثبات صِفَتَي العلو والفوقية كثيرة جدًّا، نذكر منها ما يلي:

١ - قال تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[٣] .

وليس المراد هنا أن جرم السماء تحويه سبحانه وتعالى عن ذلك ، بل المراد بالسماء العلو والفوقية ، فالمراد بمَنْ في السماء أي (مَنْ على السماء) وذلك إذا أريد بالسماء:السماء المَبْنِيَّة،أو (مَنْ في العلو) إذا أريد بالسماء : ما علا وارتفع .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب (يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب) . ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها) باب (إحلال الرضوان على أهل الجنة) .

(٢) انظر شرح الشيخ صالح بن العثيمين (للمعة الاعتقاد) .

(٣) الملك : (١٦) .

٢ – قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(١)] .
٣ – قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[(٢)] .
٤ – قال تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[(٣)] .
٥ – قال تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[(٤)] .
٦ – قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[(٥)] .

وأما من السنة المطهرة : فلقد أثبت الرسول الكريم – ﷺ – في حديثه الشريف صفتي العلو والفوقية ، وذلك في أكثر من موضع ، فمن ذلك :

عن حذيفة – رضي الله عنه –: كان النبي ﷺ يقول في سجوده : « **سُبحانَ رَبِّيَ الأعلَى** »[(٦)].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : « **إن يمينَ الله ملأى لا يَغيضُها نَفَقَة سحَّاءُ الليلَ والنهارَ ، أرأيتم ما أنفَقَ منذ خلَقَ السمواتِ والأرضَ ، فإنه لم يَنْقُص ما في يمينه ، وعرشُه على الماءِ ، وبيده الأخرى الفَيْض – أو القَبْض – يَرفَع ويَخفِض** »[(٧)]. فأثبت الرسول ﷺ أن العرش على الماء ، والله مستوٍ على العرش كما أخبر عن نفسه ، والعرش فوق السموات السبع .

ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي : **لمَّا سأل النبيُّ ﷺ الجارية : « أين اللهُ ؟ » قالت : في السماءِ . قال : « مَنْ أنا ؟ » قالت : أنت رسولُ اللهِ . قال :**

---

(١) البقرة : (٢٥٥) .
(٢) الأعلى : (١) .
(٣) آل عمران : (٥٥) .
(٤) النساء : (١٥٨) .
(٥) النحل : (٥٠) .
(٦) رواه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب (استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل) .
(٧) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب (وكان عرشه على الماء) .

« أعتِقْها فإنها مؤمنةٌ »[1].

(وفي السماء : بمعنى على السماء ، أو في اتجاه السماء فوق عرشه) .

وكما قررنا سابقًا أن معنى (في السماء) أي (على السماء) : والمقصود العلو والفوقية ، وليس المعنى أن السماء تحوي الله عز وجل ، حاشا لجلاله وعظمته وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

الفرق بين العلو والاستواء :

ولكن يجب التفريق بين صفتين من صفات الله تعالى، وهما العلو والاستواء.

فالعلو : صفة ذاتٍ خاصة بذات الله تعالى وملازمةٌ لذاته .

والاستواء : صفة فعلٍ ، فإن الله سبحانه هو الذي استوى على العرش ، وأخبر بذلك عن نفسه .

أنواع العلو :

ينقسم العلو إلى قسمين : (علو صفة ، وعلو ذات) .

١ - علو الصفة :

بمعنى أن صفاته تعالى عُلْيا ، ليس فيها نقص بوجهٍ من الوجوه ، ومن دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2] .

٢ - علو ذات :

وذلك بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ، فالله تعالى على عرشه فوق سبع سموات ، وذلك بذاته العليا . ومن الأدلة على ذلك : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[3] .

---

(١) رواه مسلم (كتاب المساجد) باب (تحريم الكلام في الصلاة) .

(٢) البقرة : (٢٥٥) .

(٣) الملك : (١٦) .

ومن إثبات العلو لله تعالى إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه ، كما في حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – وفيه قول الرسول ﷺ : « وقد تركتُ فيكم ما لن تضلُّوا إن اعتصمتم به : كتاب اللهِ ، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهدُ أنك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ . فقال بأصبعِهِ السَّبابةِ يرفعُها إلى السماء وينكُتُها إلى الناس : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهمَّ اشهدْ » . ثلاث مراتٍ[1].

ومن حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – في خطبته ﷺ يوم النحر وفيه : ثم رفع رأسه فقال : « اللَّهُمَّ هل بلَّغتُ اللَّهمَّ هل بلَّغتُ »[2].

من أقوال أصحاب الرسول ﷺ في صفتي العلو والفوقية :

١ – عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : لمَّا قُبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر – رضي الله عنه –: « أيها الناس ، إن كان محمد إلٰهكم الذي تعبدونه فإن إلٰهكم قد مات ، وإن كان إلٰهكم الله الذي في السماء فإن إلٰهكم لم يمت . ثم تلا : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[3] »[4] .

٢ – وعن قيس بن أبي حازم قال : لمَّا قدم عمر – رضي الله عنه – الشام استقبله الناس وهو على بعيره ، فقالوا : لو ركبتَ بِرْذَوْنًا يلقاك عظماء الناس ووجهاؤهم . فقال عمر – رضي الله عنه –: ألا أراكم هٰهنا ، إنما الأمر من هٰهنا . فأشار بيده إلى السماء[5] .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الحج) باب (حجة النبي ﷺ) .
(٢) رواه البخاري (كتاب الحج) باب (الخطبة أيام منى) .
(٣) آل عمران : (١٤٤) .
(٤) رواه ابن أبي شيبة والدارمي والذهبي في العلو ، وإسناده حسن .
(٥) رواه ابن أبي شيبة ، ورواه الذهبي في (العلو) وقال : إسناده كالشمس ، ورواه الدارمي في الرد على المريسي « إسناده عند الذهبي والدارمي على شرط الشيخين» .

٣ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : وأيم الله إني لأخشى لو كنت أحبُّ قتْلَه لقَتَلْتُه- تعني عثمان ، رضي الله عنه - ولكنْ علم اللهُ مِنْ فوق عرشه أني لم أحب قتْلَه[1] .

٤ - وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه استأذن على عائشة - رضي الله عنها - وهي تموت فقال : وكنتِ أحبَّ نساء النبي ﷺ إليه ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلّا طيّبًا ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يُذْكَرُ فيها إلّا وهو يُتْلَى فيها آناء الليل وآناء النهار[2] .

والحاصل : أن العلو والفوقية : صفتان ثابتتان لله بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، يؤمنون أن الله فوقهم مستوٍ على عرشه ، عالٍ على خلقه ، بائنٌ منهم ، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية ، وهذا يوافق الفِطَر السليمة ، والقلوب المستقيمة ، والعقول المستنيرة .

ومن معاني العلو :

فكل معاني العلو ثابتة لله تعالى ، فهو مُتَّصِفٌ بكل كمالٍ ، ومُنَزَّهٌ عن كل نقصٍ . ومن معاني العلو ما يلي :

١ - علو الذات :

إن العلو بجميع أنواعه ثابت لله تعالى ، من ذلك (علو الذات) فكما هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى بذاته فوق سبع سموات مستوٍ على عرشه بائن من خلقه ، فهو فوقهم ومهيمن عليهم ، وهو معهم في كل مكان بعلمه وإحاطته ، أما ذاته العليا ففَوْق سبع سموات .

---

(١) رواه الدارمي في (الرد على الجهمية) وإسناده حسن .

(٢) رواه الدارمي في (الرد على الجهمية) بإسناد حسن .

قال تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[١] .
قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾[٢] .

فدلَّت هذه الآيات وغيرها من الأحاديث الشريفة على علو ذات الله تعالى فوق السموات ، وأنه مستوٍ على عرشه .

٢ – علو قهر :

فلا غالب له ولا منازع ، فكل شيء تحت سلطان قهره ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[٣] ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[٤] .

ولقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾[٥] ، أي وهو الذي قهر كل شيء ، وخضع لجلاله كل شيء ، وذلَّ لعظمته وكبريائه كل شيء ، وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء .

٣ – علو الشأن :

فتعالى الله عن جميع النقائص والعيوب المنافية لألوهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى. وتعالى الله في أحديَّته عن الشريك والظهير والوليّ والنصير. وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه. وتعالى في صَمَدِيَّتِه عن الصاحبة والولد والوالد، والكفء والنظير. وتعالى في كمال حياته وقيُّومِيَّتِه وتنزُّهِهِ عن الموت والسِّنَة والنوم والتعب والإعياء . وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرةٍ عن علمه في الأرض أو في السماء . وتعالى في كمال حكمته وحمده عن خَلْق الخلق عَبَثًا وعن تَرْك الخلق سدىً بلا أمرٍ ولا نهيٍ ولا بعث ولا

---

(١) الملك : (١٦) .
(٢) النحل : (٥٠) .
(٣) ص : (٦٥) .
(٤) الزمر : (٤) .
(٥) الأنعام : (١٨) .

جزاء . وتعالى في كمال غناه عن أن يُطْعَم أو يُرزَق ، أو أن يفتقر إلى غيره في شيء . وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل . قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(١)(٢) .

○ سادسًا : الاستواء على العرش ○

يجب على المسلم أن يؤمن باستواء الله – جل جلاله – على العرش ، وذلك لإخباره تعالى عن نفسه بهذا الاستواء ، ولإخبار النبي ﷺ عن ربه أنه استوى على العرش ، ولإجماع سلف هذه الأمة على ذلك . فالاستواء على العرش صفة من صفاته الفعلية . وهو استواء حقيقي ، معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى .

العرش لغةً :

السرير الخاص بالملك .

والعرش شرعًا :

هو العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن – جل جلاله – وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وهو ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو سقف المخلوقات. ووصفه الله عز وجل بأنه عظيم ، وبأنه كريم ، وبأنه مجيد .

الاستواء في القرآن الكريم :

لقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز استواءه على العرش في سبعة مواضع هي :

---

(١) محمد : (١٩) .

(٢) انظر كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول ، حافظ أحمد حكمي (١ / ١٤٤) وذلك بتصرف .

١ – في سورة الأعراف ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[(١)] .

٢ – في سورة يونس ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[(٢)] .

٣ – في سورة الرعد ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[(٣)] .

٤ – في سورة طه ، قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[(٤)] .

٥ – في سورة الفرقان ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ ﴾[(٥)] .

٦ – في سورة السجدة ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[(٦)] .

٧ – في سورة الحديد ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[(٧)] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله –:

وللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في المقام مذهب السلف الصالح : مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر

---

(١) الأعراف : (٥٤) .
(٢) يونس : (٣) .
(٣) الرعد : (٢) .
(٤) طه : (٥) .
(٥) الفرقان : (٥٩) .
(٦) السجدة : (٤) .
(٧) الحديد : (٤) .

المتبادر إلى أذهان المُشَبِّهين منفيّ عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١] . بل الأمر كما قال الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال : من شبَّه الله بخلقه كَفَرَ ، ومن جَحَدَ ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسولُه تشبيه . فمن أثبت لله تعالى ما وردتْ به الآياتُ الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ونَفَى عن الله النقائص، فقد سلك سبيل الهدى[٢].

قول الإمام مالك في الاستواء[٣] :

سئل الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – فقيل : يا أبا عبد الله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٤] كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أمَرَ بالرجل فأُخْرِجَ[٥].

ومعنى قوله – رحمه الله –: (الاستواء غير مجهول) أي غير مجهول المعنى والمراد ، وهو العلو والاستقرار . (والكيف غير معقول) ومعنى ذلك : أن كيفية الاستواء لا يَسَعُ العقل إدراكها لأن العقل مخلوقٌ ، وحاشا للخالق أن يحيط به ويدركه مخلوقُه . (والإيمان به واجب) يجب الإيمان بأن الله استوى على عرشه ؛ وذلك لأن الله أخبر بذلك في كتابه العزيز ، ولأن نبيه ﷺ أخبر عنه بذلك . (والسؤال عنه بدعة) يعني السؤال عن كيفية الاستواء بدعة ؛ لأن الأصل هو

---

(١) الشورى : (١١) .

(٢) تفسير ابن كثير (سورة الأعراف)

(٣) نقلًا عن (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) لابن قدامة المقدسي .

(٤) طه : (٥) .

(٥) أثر صحيح أخرجه الذهبي في العلو ، وأبو نعيم في الحلية ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة،والبيهقي في الأسماء والصفات ، وقال الحافظ في الفتح:أخرجه البيهقي بسندٍ جيد .

الإيمان بما أخبر الله تعالى به عن نفسه ، على مراد الله تعالى ، وبالكيفية التي يريدها الله عز وجل . (ثم أمر بالرجل فأُخرج) يعني أمر به فأخرج خارج المسجد ؛ لأنه علم أنه صاحب بدعة ، فخَافَ أن يُفسِد على الناس عقيدتهم ، وليكون ذلك له تعزيرًا، ولأمثاله ردعًا، حتى لا يخوض الناس في مثل هذه المهلكات[١] .

عِظَمُ العرش :

إن العرش عظيم جدًّا ، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها ، وهو سقف المخلوقات ، وهو ذو قوائم تحمله الملائكة ، وذلك لعظمه وضخامته ، ويحمله يوم القيامة ثمانية ملائكة .

قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٢] .
ولقد وصفه الله عز وجل أنه عظيم، قال تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣].
ووصفه أيضًا بأنه مجيد وبأنه كريم .

ولقد بيَّن لنا الرسول ﷺ عِظَم هذا العرش ، وذلك بإخباره ﷺ عن عظم وحجم الملائكة الذين يحملون العرش ، فقال ﷺ : « **أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن أَحَدِ حَمَلَةِ العرشِ ، ما بين شَحْمَةِ أُذُنه وعاتِقِهِ مسيرةُ سبعمائةِ عامٍ تخفِقُ الطَّيْرُ** »[٤]. أي يقطع الطائر المسرع سبعمائة عام وهو يطير ، لكي يقطع هذه المسافة وهي ما بين أذن الملك وعاتقه .

وقال الرسول ﷺ – يبين عظم هذا العرش بالنسبة للسماوات وبالنسبة للكرسي –: « **ما السمواتُ السبعُ في الكُرسيِّ إلا كحَلْقَةٍ مُلقاة في فلاةٍ من**

---

(١) قال الإمام ابن تيمية في الفتاوى:(ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ البخاري) .
(٢) الحاقة : (١٧) .
(٣) المؤمنون : (٨٦) .
(٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

الأرض ، وفَضْلُ العرشِ على الكرسيِّ كفضلِ تلك الفلاةِ على تلك الحلْقةِ »[1].

ومن شعر عبد الله بن رواحة يحمد ربه سبحانه وتعالى :

شَهِدتُ بأن وعْد الله حق — وأن النَّار مَثْوَى الكافرينا
وأن العرش فوقَ الماء طافٍ — وفوق العرش ربُّ العالمينا
وتحملُه ملائكةٌ كِرَامٌ — ملائكة الإله مُسَوَّمِينا[2]

قال الإمام البيهقي في الأسماء والصفات :

اتفقتْ أقاويلُ أهل السلف على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم خَلَقَه الله وأمَرَ ملائكته بحمله ، وتعبَّدهم بتعظيمه والطَّواف به ، كما خَلَق في الأرضِ بيتًا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة ، وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة على صحة ما ذهبوا إليه[3].

○ جامع تفسير السلف للاستواء ○

إن الآيات صريحة في بابها ، لا تحتمل تأويلًا ، فإن لفظ « استوى » في اللغة إذا عُدِّي بـ (على) لا يمكن أن يُفهم منه إلا العلو والارتفاع . ولهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات وهي : « استقرَّ – علا – ارتفع – صَعِدَ »؛قال العلامة ابن القيم في « النونية » :

فلهم عبارات عليها أربعٌ — قد حصلَتْ لِلْفارِسِ الطَّعَّانِ
وهي (استَقَرَّ) وقدْ (علا) وكذلك (ار — تفَع) الذي ما فيه من نُكْرَانِ
وكذاك قَدْ (صَعِدَ) الذي هو رابعٌ — وأبو عبيدة صاحب الشيباني[4]

---

(١) رواه الإمام البيهقي في (الأسماء والصفات) وابن أبي شيبة . قال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) : حديث صحيح بطرقه .

(٢) نقلًا عن كتاب (العقيدة في الله) لعمر سليمان الأشقر .

(٣) نقلًا عن فتح الباري (كتاب التوحيد) لابن حجر العسقلاني .

(٤) انظر : نونية العلامة ابن القيم – شرح محمد خليل هراس (٢١٥/١) ، وشرح أحمد ابن عيسى (٤٤٠/١) .

○ سابعًا : العينان ○

إن لله تعالى عينين تليقان بجلاله ، وذلك كما أثبت لنفسه جل وعلا في كتابه العزيز ، وكما أثبت له ذلك نبيُّه محمد ﷺ في أحاديثه الصحيحة . وصفة العينين ذاتية لله عز وجل ، وليستا بجارحتين ونؤمن بهما بدون تعطيل ولا تمثيل ، ونثبتهما لله تعالى على ما يليق بجلاله في إطار قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

ومن الآيات الدالة على ثبوت العينين لله تعالى،ما يلي :

قال تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[2]. قال تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[3]، قال تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[4].

ومن السنة النبوية لإثبات صفة العينين ما يلي :

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : ذُكِر الدجال عند النبي ﷺ فقال : « **إن الله لا يَخفَى عليكم ، إن الله ليس بأعْوَرَ** » وأشار إلى عينه « **وإن المسيحَ الدَّجَّالَ أعورُ عينِ اليُمنى كأنَّ عَيْنَهُ طافِيَةٌ** »[5].

وعن أنس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : « **ما بَعَثَ اللهُ من نبيٍّ إلَّا أنذَرَ قومَهُ الأعورَ الكذَّابَ ، وإنه أعورُ وإن ربَّكم ليس بأعورَ ، مكتوبٌ بين عينيه : كافر** »[6].

قال الإمام البيهقي :

منهم من قال : العين صفة ذات ، كما تقدَّم في الوجه ، ومنهم من قال : المراد بالعين الرؤية (ومال إلى الرأي الأول وهو أنها صفة ذات لأنه مذهب السلف)[7].

قال ابن المنير :

وجه الاستدلال على ثبوت العين لله في حديث الدجال قوله : « إن اللهَ

---

(١) الشورى : (١١). (٢) الطور : (٤٨). (٣) القمر : (١٤).
(٤) طه : (٣٩) .
(٥،٦) رواهما البخاري (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى : ﴿ولتصنع على عيني﴾ ومسلم (كتاب الفتن) باب (ذكر الدجال) .
(٧) انظر فتح الباري (كتاب التوحيد) .

ليس بأعْوَرَ ، من جهة أن العَوَر - عُرْفًا - عَدَم العين ، وضِدّ الأعور ثبوت العين ، فلمَّا نُزِعَتْ هذه النقيصة لَزِمَ ثبوتُ الكمال بضدها وهو وجود العين ، وهو على سبيل التمثيل والتقريب للفهم ، لا على معنى إثبات الجارحة[١].

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة :

أخبر الله تعالى في كتابه العزيز، وثبت عن رسول الله ﷺ : (الاستواء ، النزول ، والنفس ، واليد ، والعين ...) فلا يتصرَّف فيها بتشبيه ولا تعطيل ، إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر أن يحوم حول ذلك الحِمَى[٢].

قال الطيبي : هذا هو المذهب المعتمد ، وبه يقول السلف الصالح[٣].

○ ثامنًا : السمع والبصر ○

إن السمع والبصر صفتان ثابتتان لله تعالى ، وهما من صفات الذات ويجب الإيمان بهما على ما يليق بجلال الله ، فهو مغايرٌ لخلقه لا يُشْبِهُه شيءٌ وهو خالق كل شيء .

وصفتا السمع والبصر من صفات الكمال الذي يوصف به الله عز وجل دائمًا ، ووَجَبَ الإيمان بهاتين الصفتين لأن الله وَصَفَ نفسه بهما ، ووصفه بهما رسولُه الكريم ﷺ ، وأجْمَعَ سلف هذه الأمة الصالحُ على إثبات السمع والبصر لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .

والآيات في إثبات السمع والبصر كثيرة جدًّا ومنها :

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[٥].

قال تعالى : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٦].

---

(١) انظر فتح الباري (كتاب التوحيد) .

(٢،٣) انظر فتح الباري (كتاب التوحيد) .

(٤) الشورى : (١١) . (٥) الحج : (٦١) . (٦) طه : (٤٦) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1] .

قال الإمام البيهقي في الأسماء والصفات :

السميع : من له سَمْعٌ يُدرِك به المسموعات .

والبصير : من له بصرٌ يدرك به المرئيات. وكل منهما في حق الباري صفة قائمةٌ بذاته.

ومن أحاديث رسول الله ﷺ التي أثبتت لله تعالى السمع والبصر ما يلي :

عن أبي موسى قال : كنا مع النبي ﷺ ، فكنا إذا علَوْنا كبَّرنا فقال : « ارْبَعُوا على أنفسِكم ، فإنكم لا تدْعُون أصمَّ ولا غائبًا ، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا » . ثم أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي : لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله ، فقال لي : « يا عبدَ الله بن قيسٍ ، قُلْ : لا حول ولا قوة إلَّا بالله فإنها كَنْزٌ من كنوزِ الجنةِ » . أو قال : « ألا أدلُّك به »[2].

وعن عروة أن عائشة – رضي الله عنها – حَدَّثَته : قال النبي ﷺ : « إن جبريلَ عليه السلام ناداني قال : إن الله قد سَمِعَ قَوْلَ قومك وما ردُّوا عليك »[3].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا إلى النبي ﷺ : « إن الله لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكم وأموالكم ، ولكنْ ينظُر إلى قلوبكم »[4].

وورد أيضًا في السمع قوله ﷺ : « سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَه »[5].

---

(١) النساء : (٥٨) .

(٢) رواه البخاري (كتاب المغازي) باب (غزوة خيبر) ورواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (استحباب خفض الصوت بالذكر) .

(٣) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق) باب (إذا قال أحدكم : آمين) .

(٤) رواه مسلم (كتاب البر والصلة) باب (تحريم ظلم المسلم) .

(٥) رواه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب (استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل) . ورواه البخاري (كتاب التفسير) سورة النساء باب (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ؛ يعني قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1]، ويضعُ أُصبُعَيْه . قال أبو يونس : وضع أبو هريرة إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه[2] .

قال البيهقي :

وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان ، يريد أن له سمعًا وبصرًا ، وليس المراد به العلم ، فلو كان كذلك لأشار إلى القلب لأنه محل العلم .

ولم يرد بذلك الجارحة فإن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين[3] .

والحاصل: أن صفتي السمع والبصر صفتا كمال، ويجب إثباتهما لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمة سلطانه، فإن الذي لا يسمع ولا يبصر لا يصلح أن يكون إلهًا، وذلك كما قال الله تعالى، حكايةً عن إبراهيم– عليه السلام– أنه قال لأبيه وقومه منكرًا عليهم وموبِّخًا إياهم ومحقِّرًا لعقولهم ومسفِّهًا لآلهتهم: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾[5].

○ تاسعًا : النزول والإتيان والمجيء ○

إن النزول والإتيان والمجيء من الصفات الثابتة لله تعالى ، ويجب الإيمان بها وإثباتها له – سبحانه – على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، وذلك للأدلة

---

(١) النساء : (٥٨) .

(٢) رواه أبو داود ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح : (وسنده قوي على شرط مسلم من رواية أبي يونس) .

(٣) نقلًا عن (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني .

(٤) مريم : (٤٢) .

(٥) الشعراء : (٧٢) .

الصريحة التي أثبتت هذه الصفات لله ، ولإجماع السلف - رحمهم الله - على ثبوتها ووصف الله بها .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَنزِلُ ربُّنا إلى السماءِ الدُّنيا حين يَبقَى ثلثُ الليلِ الأخيرِ ، فيقول : مَنْ يدعوني فأستجيبُ له ؟ مَنْ يسألُني فأُعطِيه ؟ مَنْ يَستغفِرُني فأغفِرُ له ؟** »[1].

وهذا الحديث نصٌّ صريحٌ وصحيح في ثبوت النزول لله سبحانه وتعالى .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ ، أنه قال : « **يَجمعُ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرين لميقاتِ يومٍ معلومٍ أربعين سنةً ، شاخِصَةً أبصارُهم إلى السماء يَنتظرون فَصْلَ القضاء ، ويَنزِلُ الله في ظُلَلٍ من الغَمامِ من العرشِ إلى الكُرسيّ** »[5].

- وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[3] .

- وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾[4] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير هٰهنا - يعني في قوله : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب (الدعاء نصف الليل) ومسلم (كتاب صلاة المسافرين) باب (صلاة الليل مثنى مثنى) .

(٢) البقرة : (٢١٠) .

(٣) الفجر : (٢١ ، ٢٢) .

(٤) الأنعام : (١٥٨) .

(٥) رواه ابن منده ، والطبراني في الكبير ، والدارقطني ، والحاكم وصححه ، وقال الذهبي : إسناده حسن .

إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾[1] – حديث الصور بطوله ، من أوله عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن الرسول ﷺ ، وهو حديث مشهور ، وسَاقه غيرُ واحدٍ من أصحاب المسانيد وغيرهم ، وفيه : « أن الناسَ إذا اهْتَمُّوا لموقفهم في العَرَصَاتِ تَشفَّعُوا إلى ربِّهم بالأنبياء واحدٌ واحدًا من آدم فمَنْ بعدَهُ فكُلُّهم يَحِيد عنها حتى ينتهوا إلى محمدٍ ﷺ ، فإذا جاءوا إليه قال : أنا لها . فيذهب فيَسْجُد لله تحت العرشِ ويشفعُ عند الله في أن يأتِيَ لفصْلِ القضاء بين العباد ، فيُشفِّعه الله ويأتي في ظُلَلٍ من الغمام ، وبعد ما تنشقُّ السماء الدنيا وينزل مَنْ فيها من الملائكة ، ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة ، ويَنزل حَمَلَةُ العرش والكَرُوبيُّون » قال : « وينزل الجبارُ – عز وجل – في ظُلَلٍ من الغمامِ والملائكة ولهم زَجَلٌ من تسبيحهم ، يقولون : سبحان ذي المُلْك والملكوت ، سبحان ذي العزَّةِ والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يُميت الخلائق ولا يموت ، سُبُّوحٌ قُدُّوس ربُّ الملائكة والرُّوح ، سبوحٌ قدوسٌ ، سبحان ربِّنا الأعلى ، سبحان ذي السلطان والعَظَمة ، سبحانه سبحانه أبدًا أبدًا »[2].

وعن عبد الله بن عمرو قال : يَهبِطُ حين يهبطُ وبينه وبين خلْقِه سبعون ألف حجابٍ منها النورُ والظُّلمةُ والماءُ فيُصوِّت الماءُ في تلك الظُّلمة صوتًا تَنخلِع له القلوبُ[3].

وعن أبي العالية قال : والملائكة يجيئون في ظُلَلٍ من الغَمام والله تعالى يجيء فيما يشاءُ[4].

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال في حديث الشفاعة الطويل عن رسول الله ﷺ : « حتى إذا لم يَبْقَ إلَّا مَنْ كان يَعْبُد الله أتاهم ربُّ العالمين »[5].

---

(١) البقرة : (٢١٠) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (سورة البقرة) .

(٣،٤) انظر تفسير ابن كثير (سورة البقرة) .

(٥) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب رؤية الله تعالى في الجنة .

وفي روايةٍ أخرى للبخاري قال : « فيأتيهم اللهُ في الصُّورةِ التي يعرفون »[١] .

ويتضح من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والآثار وإجماع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة : ثبوت صفات النزول والمجيء والإتيان لله تعالى على الحقيقة كما يليق بجلاله وعظمة سلطانه، وليس كنزول ومجيء وإتيان المخلوق، ولكن نؤمن بها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢]، وذلك بدون تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ .

○ عاشرًا : القدرة ○

لقد أثبت الله تعالى لنفسه القدرة وهي صفة ذاتٍ ، وأثبتها له نبيُّه ﷺ في أحاديثه الشريفة ، وأجمع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة على ثبوت صفة القدرة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل فوجب الإيمان بهذه الصفة وإثباتها لله تعالى على مراد الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾[٣] .

قال ابن كثير رحمه الله :

أي هو الخالق للأشياء ، المالك لها المتصرِّف فيها القادر عليها ، فالجميع ملكه وتحت تصرُّفه وقدرته وفي مشيئته فلا نظير له ، ولا وزير ، ولا عديل ، ولا والد ، ولا ولد ولا صاحبة ، ولا إله غيره ، ولا رب سواه[٤] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب الصراط جسر جهنم . ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب رؤية الله في الجنة .

(٢) الشورى : (١١) .

(٣) المائدة : (١٢٠) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (سورة المائدة) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١] .

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[٢] ، وقال : ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾[٣] .

وكما أثبت سبحانه وتعالى لنفسه القدرة وكمالها أيضًا ، نفى عن نفسه العجز واللُّغوب والعبث ، فسبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، فلا يُعجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو القويُّ العزيز .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[٤] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[٥] .

قال ابن كثير رحمه الله :

في هذه الآية تقرير للمعاد لأن مَنْ قَدَر على خَلْق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهن قادرٌ على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى .

وقال قتادة : قالت اليهود – عليهم لعائن الله –:خلق الله السموات والأرض في ستة أيامٍ ثم استراح في اليوم السابع ، وهو يوم السبت ، وهم يسمُّونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأوَّلوه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[٦]. أي من إعياء ولا تعب ولا نصب[٧].

فلله سبحانه وتعالى مطلق القدرة وتمامها ، فلا يُعجزه شيءٌ ، وما خَلْقُ الخَلْقِ ولا بَعْثُهم بقدرته إلا كنفسٍ واحدةٍ فكل مخلوقاته العلوية والسفلية تدلُّ

---

(١) البقرة : (٢٠) .
(٢) الكهف : (٤٥) .
(٣) الطارق : (٨) .
(٤) فاطر : (٤٤) .
(٥،٦) قٓ : (٣٨) .
(٧) انظر تفسير ابن كثير (سورة قٓ) .

على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرةٍ ، فكل شيءٍ يدل على قدرته وعظمته ، فإذا أراد شيئًا إنما يقول له : كن ، فيكون ، بل إن أمره أقرب من الكاف والنون ، فهو القاهر فوق عباده وهو على كل شيءٍ قدير .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] .

○ الفرق بين القدرة والقوة ○

قال ابن بطال – رحمه الله –:

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[2] . والقوة من صفات الذات ، وهي بمعنى القدرة ، ولم يزل سبحانه وتعالى ذا قوة وقدرة ، ولم تزل قدرته موجودة قائمة له موجبة له حكم القادرين . والمتين بمعنى القوي وهو في اللغة الثابت الصحيح[3] .

قال البيهقي :

القوي : التام القدرة ، لا ينسب إليه عجز في حالةٍ من الأحوال ويرجع معناه إلى القدرة ، **والقادر** : هو الذي له القدرة الشاملة ، والقدرة صفة له قائمةٌ بذاته ، **والمقتدر** : هو التامُّ القدرة الذي لا يمتنع عليه شيءٌ[4].

أما إثبات القدرة من حديث رسول الله ﷺ فكثير جدًا ، ومن هذه الأحاديث ما يلي :

عن جابر بن عبد الله قال : **كان رسول الله ﷺ يعلِّم أصحابَهُ الاستِخارَةَ في الأمور كلِّها كما يُعلِّم السورةَ من القرآن ، يقول : « إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ فلْيَركَعْ ركعتَينِ من غيرِ الفريضةِ ، ثم لْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إني أستَخيرُكَ بعِلْمِك ، وأستَقْدِرُكَ**

---

(١) يس : (٨٢) .

(٢) الذاريات : (٥٨) .

(٣،٤) انظر فتح الباري (كتاب التوحيد) .

بقدرتك وأسألك من فضلك ، فإنك تَقْدِرُ ولا أقدِرُ ، وتعلمُ ولا أعلمُ ، وأنت علّام الغيوبِ . اللَّهُمَّ فإن كنتَ تعلمُ هذا الأمر - ثم يُسَمِّيه بعَيْنِهِ - خيرًا لي في عاجلِ أمري وآجِلِهِ - قال : أو في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري - فاقدرْه لي ويَسِّرْه لي ، ثم بارِكْ لي فيه . اللهم إن كنتَ تعلمُ أنه شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري - أو قال : في عاجلِ أمري وآجِلِهِ - فاصرفْني عنه واقْدُرْ لي الخيرَ حيث كان ثم رَضِّني به »[1].

○ الحادي عشر : الإرادة والمشيئة ○

إن من صفات الله تعالى الإرادة والمشيئة ، وهي ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، وإرادته سبحانه وتعالى صفةٌ من صفات ذاته .

والمشيئة بمعنى الإرادة :

فالمشيئة والإرادة عند عامة السلف بمعنى واحد يُسْتَعْمَل كلٌّ منهما موضع الآخر ومكانه .

قال الراغب : المشيئة عند الأكثر كالإرادة سواء ، وفي العرف تُستعمل موضع الإرادة[2] .

قال الشافعي - رحمه الله -: المشيئة إرادة الله ، وقد أَعْلَمَ الله خلقه أن المشيئة له دونهم ، فليست للخلق مشيئة إلا أن يشاء الله[3] .

قال ابن بطال : غَرَضُ البخاري إثبات المشيئة والإرادة ، وهما بمعنى واحد ، وإرادته صفةٌ من صفات ذاته، وزعم المعتزلة أنها صفة من صفات فِعْلِه ، وهو فاسد[4] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ قل هو القادر ﴾ .

(٢،٣،٤) نقلًا عن فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (كتاب التوحيد).

والأصل في هذا النزاع والاختلاف بين أهل السنة والمعتزلة: أن أهل السنة يقولون بأن الإرادة تابعةٌ للعلم، وأمَّا المعتزلة فيقولون بأن الإرادة تابعةٌ للأمر.

ومن أدلة إثبات الإرادة والمشيئة لله تعالى من الكتاب ما يلي :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[١] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٣] .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾[٤] ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٥] .

أمَّا من أحاديث الرسول ﷺ :

فالأدلة على ثبوت الإرادة والمشيئة لله تعالى كثيرة جدًّا نذكر منها ما يلي :

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **مَثَلُ المؤمنِ كمَثَلِ خامةِ الزَّرعِ يَفِيءُ ورقُهُ من حيث أتتها الرِّيحُ تُكفِّئُها ، فإذا سكنَت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يُكفَّأُ بالبلاء ، ومَثَلُ الكافرِ كمَثَلِ الأرزةِ صمَّاء معتدلة حتى يَقصِمَها الله إذا شاءَ** »[٦].

وعن أبي قتادة ، عن أبيه : حين ناموا عن الصلاة قال النبي ﷺ : « **إن الله قَبَضَ أرواحكم حين شاءَ وردَّها حين شاء** » . **فقضَوْا حوائجهم وتوضَّئُوا إلى أن طلعتِ الشمس وابيضَّتْ فقام فصلَّى**[٧].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « **لا يَقُل أحدُكم : اللهم اغفر لي إن شئتَ ، ارحمني إن شئتَ ، ارزقني إن شئتَ ، وليَعزِمْ مسألتَهُ ،**

---

(١) المائدة : (١) .
(٢) الحج : (١٤) .
(٣) البروج : (١٦) .
(٤) البقرة : (٢٠) .
(٥) النساء : (٤٨) .
(٦) رواه البخاري (كتاب المرضى) باب (ما جاء في كفارة المرضى) .
(٧) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب (في المشيئة والإرادة) .

إنه يفعلُ ما يشاءُ لا مُكْرِهَ له »[١].

أنواع الإرادة :

١ - إرادة كونية :

وهي التي تُرادفها المشيئة ، فما كان بمعنى المشيئة فهو إرادة كونية ، وهذه الإرادة شاملة لجميع الكائنات ومحيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية . ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[٢] .

قال تعالى : ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾[٣] .

ومعلوم أن الله تعالى لا يحب أن يغوي العباد ، إذَنْ لا يصح أن يكون المعنى : إنْ كان الله يحب أن يغويكم ، بل المعنى : إن كان الله يشاء أن يغويكم[٤] .

إرادة دينية شرعية :

والإرادة الشرعية تتعلّق بالطاعة والمعصية سواءٌ وقعتْ أم لا ، فهي بمعنى ما يحبه الله تعالى وليست بمعنى ما يشاؤه ، فكل ما أحبه الله تعالى فهو إرادة شرعية ولا يلزم من محبة الله تعالى للشيء أن يقع ؛ لأن الحكمة الإلهية البالغة قد تقتضي عدم وقوعه . ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٥] . ومعنى الإرادة هنا هو إرادة اليسر بالتخيير بين الصوم في السفر ومع المرض والإفطار بشرطه ، وإرادة العسر المَنْفِيَّة الإلزام

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب (ليعزم المسألة فإنه لا مكره له) ومسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (العزم بالدعاء ولا يقل : إن شئت) .

(٢) الأنعام : (١٢٥) .

(٣) هود : (٣٤) .

(٤) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين .

(٥) البقرة : (١٨٥) .

بالصوم في السفر في جميع الحالات، فالالتزام هو الذي لا يقع لأنه لا يريده[١].

وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[٢] .

و « يريد » هنا بمعنى « يحب » ولا تكون بمعنى المشيئة ؛ لأنه لو كان المعنى أن الله يريد أن يتوب عليكم لتاب الله على جميع العباد ، فإنه لا رادَّ لمشيئته ، ولكن هذا أمر لم يكن وليس بواقع ، فلو نظرنا لَوَجَدْنا أكثر أهل الأرض على الكفر ، وعلى هذا يكون المراد هنا بالإرادة هي المحبة ، بمعنى يحب الله أن يتوب عليكم ، ومعلوم أنه ليس بالضروري أن كل ما يحبه الله يقع ويحدث ، فقد تقتضي حكمة الله تعالى عدم وقوعه .

الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية :

١ – إن الإرادة الكونية لابد من وقوعها ، وذلك لأن الله تعالى إذا أراد شيئًا كَوْنًا فلابد أن يقع فإنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣] .

أما الإرادة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع ، فإن وقعتْ فهي بإرادة الله وحُبِّه ، فإن لم تقع فهي بإرادة الله دون حُبِّه لها .

قال فضيلة الشيخ صالح بن عثيمين :

فإذا قال قائل : هل الله يريد المعاصي ؟ فنقول : يريدها كَوْنًا لا شرعًا ؛ لأن الإرادة الشرعية بمعنى المحبة ، والله لا يحب المعاصي ولكنْ يريدها كَوْنًا أي بمشيئته ، فكل ما في السموات والأرض فهو بمشيئة الله[٤] .

٢ – إن الإرادة الكونية شاملة للخير والشر والنَّفْع والضرّ ، وكل شيء ،

---

(١) من كلام ابن حجر في فتح الباري (كتاب التوحيد) .
(٢) النساء : (٢٧) .
(٣) يس : (٨٢) .
(٤) انظر المجموع الثمين في فتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين .

ولكن الإرادة الشرعية إنما تكون في الخير والنفع فقط .

٣ - الإرادة الكونية ليس من لازمها المحبة، فقد يريد الله ما لا يحبه لكنْ يترتَّب عليه ما هو محبوبُ الله، كخلق إبليس وسائر الشرور للابتلاء والامتحان.

أما الإرادة الشرعية فمن لازمها المحبة فلا يريد بها إلا ما يحبه كالطاعة والثواب .

مناظرة بين أحد أئمة السنة ومعتزلي :

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : ويقال : إن بعض أئمة السنة أُحْضِر للمناظرة مع بعض أئمة المعتزلة فلمَّا جلس **المعتزلي قال** : سبحان من تنزَّه عن الفحشاء ؛ يقصد سبحان من لا يريد الفحشاء .

فقال السُّني : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء مع حُبِّه للطاعة وبغضه للمعصية .

قال المعتزلي : أيشاء ربنا أن يُعْصَى ؟ بمعنى : أيريد ربنا المعصية .

فقال السُّني : أفيُعْصَى ربنا قهرًا ؟ بمعنى أن المعصية وقعت بإرادته وإن لم يحبها .

فقال المعتزلي : أرأيت إن منعني الهُدَى ، وقضى علي بالرَّدَى ، أحْسَنَ إليَّ أم أساء ؛ (يقصد أنه يُعْتَبَر مسلوب الإرادة أمام إرادة الله النافذة) .

قال السُّني : إن كان مَنَعَك ما هو لك فقد أساء ، وإن كان مَنَعَكَ ما هو له فإنه يختصُّ برحمته من يشاء.فانْقَطَعَ (إشارة إلى أن كل المخلوقات ملك لله تعالى ، وهو لا يسأل عما يَفْعَل) .

○ الثاني عشر : العَجَبُ ○

إن العجب صفة من صفات الله تعالى ، وهي ثابتةٌ له بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، وذلك على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، فيجب إثباته لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وهو عجب حقيقيٌّ يليق بالله تعالى .

وذليله من الكتاب ما يلي :

قال تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[(1)] وذلك على قراءة ضم التاء (بل عَجِبْتُ ويسخرون) وهي قراءة صحيحة متواترة ، وهي قراءة الأئمة ؛ حمزة ، والكسائي ، وخلف[(2)] ، فتاء المتكلم هنا تعود على ذات الله تعالى .

أما الأدلة من السنة النبوية فكثيرة ، نذكر منها ما يلي :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ ، فبعثَ إلى نسائه ، فقُلْنَ : ما عندنا إلّا الماءُ . فقال الرسول ﷺ : « مَنْ يُضَيِّفُ هذا ؟ » قال رجلٌ من الأنصار : أنا . إلى أن قال النبي ﷺ : « لقد عَجبَ اللهُ عزَّ وجلَّ – أو ضَحِك – من فلان وفلانة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[(3)(4)] » .

أنواع العجب :

النوع الأول : أن يكون هذا العجب صادرًا عن خفاءِ الأسباب على المتعجِّب فيدهش له ويستعظمه ويتعجّب منه ، وهذا النوع مستحيل على الله تعالى وحاشاه أن يُنسب له ؛ لأنه لا تخْفَى عليه خافية .

والنوع الثاني : أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره ، أو عمّا ينبغي أن يكون عليه الشيء ، وذلك مع علم المتعجّب به وإحاطته بأسبابه وأبعاده ، وهذا يُنسب ويُثْبَت لله تعالى . والله أعلم .

---

(١) الصافات : (١٢) .

(٢) راجع المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصفهاني صـ ٣٧٥ . والسبعة في القراءات لابن مجاهد صـ ٥٤٧ (وتاء المخاطب المفتوحة تعود على النبي ﷺ) .

(٣) الحشر : (٩) .

(٤) رواه البخاري (كتاب فضائل الصحابة) باب (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ورواه مسلم (كتاب الأشربة) باب (إكرام الضيف) .

○ الثالث عشر : الضحك ○

الضحك صفة من صفات الله الثابتة بالسنة وإجماع السلف رحمة الله عليهم ، فمذهب أهل السنة والجماعة إثبات الضحك لله تعالى ، فهو يضحك متى شاء وكيف يشاء ، نؤمن بذلك ولا ندري كيفيته ، ولسنا مُطَالَبِين بأن ندري ، فيجب إثبات الضحك لله من غير تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ، وهو ضحكٌ حقيقيٌّ يليق بالله تعالى .

وأدلة إثبات صفة الضحك لله تعالى من السنة المطهرة كثيرة ، منها ما يلي :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَضْحَكُ اللهُ إلى رجُلَيْنِ يَقْتُلُ أحدُهما الآخَرَ يدخُلانِ الجنةَ ، يُقاتِلُ هذا في سبيل الله فَيُقْتَلُ ثم يتوبُ اللهُ على القاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ** »[1].

وأيضًا حديث الضيف عن أبي هريرة وقول الرسول ﷺ : « **لقد عَجِبَ اللهُ عزَّ وجلَّ – أو ضَحِكَ – مِنْ فُلان وفُلانة** »[2].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – يرفعه : « **ثم يَفْرَغُ اللهُ من القضاءِ بين العباد ، ويبقَى رجلٌ مُقبِلٌ بوجْهِهِ على النار ، وهو آخِرُ أهلِ الجنةِ دخولًا ، فيقول : أيْ ربِّ ، اصْرِفْ وجهي عن النارِ ...** » إلى أن يقول : « **فيقول : أيْ ربِّ لا أكون أشْقَى خلْقِك . فلا يزال يدعو حتى يَضْحَكَ اللهُ منه ، فإذا ضَحِكَ اللهُ منه قال : ادخُلِ الجنةَ** »[3].

---

(١) رواه البخاري (كتاب الجهاد) باب (الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيُسدِّد ويقتل) ، ومسلم (كتاب الإمارة) باب (الرجلان يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة) .

(٢) رواه البخاري (كتاب فضائل الصحابة) باب ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ . ومسلم (كتاب الأشربة) باب (إكرام الضيف) .

(٣) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ . ومسلم (كتاب الإيمان) باب (آخر أهل الجنة دخولًا الجنة) .

وفي رواية أُخرَى عن ابن مسعود – رضي الله عنه –: **أن الله يقول لهذا الرجل : « يا ابنَ آدم ، أترضَى أن أُعطِيَك الدنيا ومثلَها معها ؟ فيقول : أي ربِّ ؛ أتستهزىءُ بي وأنت ربُّ العالمين ؟ » ، وضَحِك رسول الله ﷺ فقال : « ألا تسألوني مِمَّ ضَحِكتُ ؟ » فقالوا : مِمَّ ضحكتَ يا رسول الله ؟ قال : « من ضحكِ ربِّ العالمين حين قال : أتستهزىءُ بي وأنت ربُّ العالمين ؟ فيقول : لا أستهزىءُ بك ولكني على ما أشاءُ قادرٌ »**[1][2].

○ الرابع عشر : الحب والرضا ○

الحب والرضا صفتان ثابتتان لله عز وجل من صفاته الفعلية ، وذلك بالكتاب والسنة وإجماع السلف رضي الله عنهم ، فوجب إثباتهما لله تعالى من غير تحريف ولا تمثيل وهما محبةٌ ورضا حَقِيقِيَّان يليقان بجلال الله تعالى .

فإن الله تعالى يحب أفعالًا وأعمالًا وأشخاصًا ويرضى عنهم ، ويحب ويرضى عن الذين يتصفون بهذه الصفات التي يحبها ويرضى عنها ، وليست هذه المحبة وهذا الرضا كمحبة المخلوق للمخلوق ورضاه .

ومن أدلة ثبوت المحبة والرضا لله عز وجل من الكتاب ما يلي :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5] .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (آخر أهل النار خروجًا) .

(٢) للاستزادة من أحاديث إثبات الضحك يراجع كتاب التوحيد لابن خزيمة صـ ٢٣٠ ، وما بعدها .

(٣) البقرة : (٢٢٢) .

(٤) المائدة : (٥٤) .

(٥) البقرة : (١٩٥) .

قال تعالى : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[(١)] .

قال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[(٢)] .

وأما الأدلة من السنة المطهرة على ثبوت الحب والرضا لله عز وجل فهي كثيرة ، ومنها ما يلي :

عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ يوم خيبر قال : **« لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويُحبُّه اللهُ ورسولُهُ »**[(٣)].

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن الله لَيَرضَى عن العبدِ أن يأكُلَ الأكْلَةَ فيَحْمَدَه عليها ، أو يَشربَ الشَّرْبةَ فيَحمدَهُ عليها »**[(٤)].

ومن آثار هذه المحبة وهذا الرضا : حصول التوفيق والإكرام والإنعام لعباده الذين يحبهم ويرضى عنهم ، وحصول المحبة والرضا من الله لعباده سببه الأعمال الصالحة من التقوى والإحسان واتباع الرسول ﷺ ، فإن جماع الأعمال والأخلاق والأقوال التي يحبها الله هو ما جاء به الرسول ﷺ ، وما اتّصف به ﷺ ، ولذلك فقد بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٥)] .

---

(١) المائدة : (١١٩) .

(٢) النجم : (٢٦) .

(٣) رواه البخاري (كتاب المغازي) باب (غزوة خيبر) ومسلم (كتاب فضائل الصحابة) باب (فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) . والرجل المقصود في الحديث : هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب) .

(٥) آل عمران : (٣١) .

○ الخامس عشر : السُّخط والكراهية ○

السُّخط والكراهية صفتان لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، وهما ثابتتان له بالكتاب والسنة وإجماع السلف وذلك على مراد الله ، ويجب الإيمان بهما من غير تحريف ولا تمثيل ، وهما كراهية وسخط حقيقيّان من الله يليقان بالله على من أبغضه الله وسخط عليه .

فكما أن الله – سبحانه وتعالى – يحبُّ عباده المؤمنين ويرضى عنهم ، ويحب أعمالهم وأقوالهم الصالحة ، فهو أيضًا يسخط على الكفار والمنافقين ، ويكرههم ويكره أعمالهم ، ومن آثار هاتين الصفتين حلول العقوبات والمصائب بالمسخوط عليهم والذين كره الله أعمالهم .

والأدلة على إثبات السخط والكراهية لله تعالى من الكتاب كثيرة ، نذكر منها :

قال تعالى : ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾[٣] .

والأدلة من السنة المطهرة على ثبوت هاتين الصفتين كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان من دعاء النبي ﷺ : « **اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ برِضاكَ مِنْ سَخَطِك ، وبمُعافاتِك من عقوبَتِك ...** »[٤].

وعن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) المائدة : (٨٠) .
(٢) محمد : (٢٨) .
(٣) التوبة : (٤٦) .
(٤) رواه مسلم (كتاب الصلاة) باب (ما يقال في الركوع والسجود) .

« إن اللهَ كَرِهَ لكم ثلاثًا : قِيلَ وقال ، وكَثْرَة السُّؤال ، وإضاعَةَ المال »[1].

إذن فيجب الإيمان بهاتين الصفتين ، وإثباتهما لله تعالى على ما يليق به سبحانه وتعالى ، فما علينا إلا أن نُقِرَّ بهما ، وذلك لثبوتهما بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، ولا نخوض فيهما ، بل نؤمن بهما على مراد الله مع جَزْمِنا واعتقادنا أنهما صفتان تختلفان عن صفات المخلوقين ، فتعالى الله عن أن يشابه خلقه علوًّا كبيرًا .

○ السادس عشر : النَّفْس ○

النفس صفة من صفات الله تعالى ، وهي ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح . والنفس صفة ذاتٍ لله تعالى ، ويجب اعتقاد ذلك وإثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، مع اعتقاد أن نفس الله ليست كنفس مخلوقاته ، فتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، فلا ينبغي للإله أن يُشابِه خَلْقَه ؛ لأنه سبحانه وتعالى له صفة الكمال التي ينفرد بها عن خلقه ، ولكن نُثبت له ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له نبيُّه ﷺ في أحاديثه الصحيحة ، وذلك على الوجه اللائق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل وفي إطار قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2] .

ومن أدلة ثبوت صفة النفس لله تعالى من الكتاب ما يلي :

قال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[3] .

قال تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[4] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الزكاة) باب (لا يسألون الناس إلحافًا) ومسلم (كتاب الأقضية) (باب النهي عن كثرة السؤال) واللفظ لمسلم .

(٢) الشورى : (١١) .

(٣) الأنعام : (٥٤) .

(٤) آل عمران : (٣٠) .

قال تعالى لرسوله موسى – عليه السلام : ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾(١) .

قال تعالى على لسان عيسى – عليه السلام : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾(٢) .

وفي هذه النصوص يثبت الله تعالى أن له نفسًا وأنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة ، فيجب إثباتها لله تعالى كما تقدّم .

وأما الأدلة من السنة والتي تثبت صفة النفس لله ، فمنها ما يلي :

عن ابن عباس : **أن النبي ﷺ خرجَ إلى صلاة الصبح و (جويرية) زوجتُه جالسةٌ في المسجد ، ورجعَ حين تعالَى النهارُ وهي كذلك تذْكُرُ الله ، فقال لها رسول الله ﷺ : « لم تزالي جالسةً بعدِي ؟ » قالت : نعم . قال : « لقد قُلتُ بعدكِ أربعَ كلماتٍ لو وُزِنَتْ بِهِنّ لَوَزَنَتْهُنّ : سبحان اللهِ وبحمْدِهِ عَدَدَ خلْقِهِ ، ومِدادَ كلماتِهِ ، ورِضا نفْسِهِ ، وزِنَةَ عرشِهِ »**(٣).

والله – سبحانه وتعالى – يذكر في نفسه عباده الصالحين الذين يذكرونه في أنفسهم ، **فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن الرسول ﷺ قال : « يقول الله تعالى : أنا مع عبدي حِينَ يذكُرني ، فإن ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذكرتُهُ في نفسي ، وإن ذكَرني في ملأ ذكَرتُهُ في ملأ خير منهم »**(٤).

○ السابع عشر : العلم ○

ومن صفات الله تعالى الثابتة العلم فقد وصف الله نفسه في كتابه العزيز

---

(١) طه : (٤٠ – ٤١) .

(٢) المائدة : (١١٦) .

(٣) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (التسبيح أول النهار وعند النوم) .

(٤) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ ومسلم (كتاب الذكر والدعاء) باب (فضل الذكر والدعاء) .

بالعلم ووصفه رسوله ﷺ بصفة العلم . فالعلم ثابت لله تعالى بالكتاب والسنة المطهرة وإجماع سلف هذه الأمة ، فيجب الإيمان بأن الله تعالى عليم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات ، وهو من صفاته الذاتية ، وعلمه أزلي بأزليته (وكذلك جميع صفاته) فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار ، وعلم عدد أنفاسهم، ولحظاتهم ، وجميع حركاتهم ، وسكناتهم ، أين تقع ؟ وكيف تقع ؟ فكل ذلك بعلم وبمرأى منه ومسمع ، لا تخفى عليه منهم خافية سواء عنده الغيب والشهادة ، والسر والجهر والجليل والحقير ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ولا في الدنيا والآخرة[1] .

والأدلة من الكتاب العزيز كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

قال تعالى : ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[3] . .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4] .

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[5] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والمسلمون يعلمون أن الله عالمُ الأشياء قبل كوْنها بعلمه القديم الأزلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة ، لم يَسْتَفِدْ عِلْمَه بها منها .

---

(١) معارج القبول شرح سلم الوصول (لحافظ الحكمي) .
(٢) الحشر : (٢٢) .
(٣) سبأ : (٣) .
(٤) النحل : (٧٤) .
(٥) التغابن : (٤) .

قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1] .

ويعلم الله تعالى ما يحيط بالإنسان وما يجول في خاطره ، فلا يخفى على الله منه شيء، فهو يعلم كل ما توسوس به نفسه، ويعلم ما استكنَّ في أعماق نفسه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾[2] .

بل إن علم الله تعالى يمتدُّ إلى كل شيء حتى الذرة الصغيرة فلا تُفْلِت من علمه ، قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[3] .

بل الأمر لا يقف عند الذرة ، بل ما هو أصغر منها أيضًا فهو في علم الله تعالى وفي كتاب مبين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[4]

وأما الأدلة من السنة المطهرة على ثبوت صفة العلم لله تعالى فكثيرة ، نذكر منها :

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال : **كان الرسول ﷺ يُعلِّم أصحابه الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كما يُعلِّم السورةَ من القرآن ، يقول : « إذا همَّ أحدُكم بالأمر فلْيَركَعْ ركعتَيْنِ من غير الفريضة ثم لْيَقُل : اللَّهُمَّ إني أستخيرُك بعِلْمِك وأستَقْدِرُك بقُدرتِك وأسألُك من فضلِك العظيم ، فإنك تَقْدِرُ ولا أقدِر ، وتعلمُ ولا أعلمُ ، وأنت علَّام الغيوبِ ، اللَّهمَّ فإن كنتَ تعلمُ هذا الأمرَ – ثم يُسمِّيه بعَيْنِه – خيرًا لي في عاجلِ أمري وآجلِهِ – أو قال : في ديني ومعاشي وعاقبةِ**

---

(١) الملك : (١٤) .
(٢) آل عمران : (٢٩) ..
(٣) لقمان : (١٦) .
(٤) يونس : (٦١) .

أمري – فاقْدُرْه لي ويَسّرْه لي ، ثم بارِكْ لي فيه . اللّهمّ وإن كنتَ تعلمُ أنه شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : في عاجلِهِ وآجلِهِ – فاصرفْني عنه واقْدُرْ لي الخيرَ حيث كان ثم رضِّنِي به »[1].

وفي قصة موسى – عليه السلام – مع الخضر قال رسول الله ﷺ : **« فركبا في السفينةِ » قال : « ووقع عصفورٌ على حَرْفِ السفينةِ فغَمَس مِنقارَهُ في البحرِ ، فقال الخضرُ لموسى : ما عِلْمك وعِلْم الخلائق في عِلْم الله إلّا مِقدار ما غَمَسَ هذا العصفورُ مِنقارَهُ »** . وفي رواية : **« إلّا مِثْل ما نقصَ هذا العصفورُ من هذا البحرِ »**[2].

قال ابن بطال :

وفي هذه الآيات (آيات العلم) إثبات علم الله تعالى ، وهو من صفات ذاته ، خلافًا لمن قال : إنه عالمٌ بلا عِلْم ، ثم إذا أُثبتَ أن علمه قديمٌ وَجَبَ تعلُّقه بكل معلوم على حقيقته بدلالة هذه الآيات ، وبهذا التقرير يُرَدُّ عليهم في القدرة والقوة والحياة وغيرها[3] .

قال أبو إسحاق الإسفراييني :

معنى العليم:يعلم المعلومات ، ومعنى الخبير : يعلم ما كان قبل أن يكون ، ومعنى الشهيد : يعلم الغائب كما يعلم الحاضر ، ومعنى المحصي : لا تشغله الكثرة عن العلم [4] .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : **« مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ ، لا يعلمها إلا اللهُ : لا يعلمُ ما في غدٍ إلا الله ، ولا يعلم ما تَغِيضُ**

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ قل هو القادر ﴾ .

(٢) رواه البخاري (كتاب العلم) باب (ما يستحب للعالم إذا سئل : أي الناس أعلم ؟) و (كتاب التفسير) باب (تفسير سورة الكهف) . ورواه مسلم (كتاب الفضائل) باب (فضائل الخضر) .

(٣،٤) نقلًا عن فتح الباري شرح صحيح البخاري (لابن حجر العسقلاني) .

الأرحامُ إلّا اللهُ ، ولا يعلمُ متى يأتي المطرُ أحدٌ إلا اللهُ ، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت ، ولا يعلم متى تقومُ الساعةُ إلّا اللهُ »[1].

○ الثامن عشر : الغضب ○

الغضب صفةٌ من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف من أهل السنة والجماعة ، وهو غضب حقيقي يليق بالله تعالى ، ويجب أن نؤمن بهذه الصفة ونثبتها لله تعالى ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أثبتها لنفسه ، وأثبتها له نبيُّه ﷺ. وأجمع سلفُ هذه الأمة الصالحُ على إثباتها لله تعالى ، وذلك على ما يليق بالله وعظمته ، وأنه غضب ليس كغضب المخلوقين ، فتعالى الله عن مشابهة خلقه . ولكن نثبتها لله تعالى ونُقِرُّها ونُمرُّها من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ، ونؤمن بها في إطار قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] .

ومن الأدلة على ثبوت صفة الغضب لله تعالى من الكتاب ما يلي :

قال تعالى : ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[3] .

قال تعالى : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[4] .

ومعنى آسفونا : أغضبونا أشد الغضب بأعمالهم[5] .

قال الضحاك ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وابن عباس ومجاهد

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التفسير – تفسير سورة الأنعام) ، و (كتاب الاستسقاء) باب (لا يدري متى يجيء المطر إلا الله) ، و (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ﴾ .

(٢) الشورى : (١١) .

(٣) النساء : (٩٣) .

(٤) الزخرف : (٥٥) .

(٥) انظر كلمات القرآن تفسير وبيان للشيخ حسنين محمد مخلوف .

وعكرمة : إن معنى (آسفونا) : أغضبونا . وغيرهم من المفسرين[١] .

وأما الأدلة من السنة المطهرة على ثبوت صفة الغضب لله تعالى ، فنذكر منها:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله كتبَ كتابًا عنده فوقَ العرشِ : إن رحمتي تغلِبُ غضبي** »[٢].

فهذا الحديث الشريف يثبت صفة الغضب لله تعالى ، وإن كانت رحمته تغلب وتسبق غضبه ، فهذا من رحمته بنا وشفقته علينا .

وقوله ﷺ أيضًا في حديث الشفاعة الطويل : « **إن ربي غَضِبَ اليومَ غضبًا لم يَغضبْ قبلَهُ مِثلَهُ ولا بعدَهُ مِثلَه** »[٣].

الفرق بين الغضب والانتقام :

إن الغضب يختلف عن الانتقام ، فقد يغضب الله عز وجل على قومٍ ويعجل لهم العقوبة وينتقم منهم في الدنيا ، وذلك كما فعل مع فرعون وأعوانه ، وكما فعل مع عاد وثمود ، وغيرهم ممن انتقم منهم وعذَّبهم في الدنيا . ولكن قد يغضب الله عز وجل على قومٍ ويؤخِّر عنهم العذاب والعقاب إلى يوم يلقونه ، فليس هناك تلازمٌ بين الغضب وتعجيل الانتقام . فهذا مذهب أهل السنة والجماعة : أنَّ غضب الله غَيْرُ انتقامه ، وذلك خلافًا لأهل التعطيل الذين فسَّروا الغضب بالانتقام ، ونَرُدُّ عليهم بكلام الله تعالى ، وأنه فرَّق بين الغضب والانتقام ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾[٤] أي فلمَّا أغضبونا : ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[٥] أي أن الانتقام جاء نتيجة للغضب ، فدلَّ ذلك على أن الغضب غَيْرُ الانتقام .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (الزخرف) .

(٢) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ .

(٣) راجع حديث الشفاعة الطويل في كتب السنة ومنها البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد .

(٤،٥) الزخرف : (٥٥) .

○ كيف نتعبَّد لله بهذه الصفات ○

إن لكل اسم من أسماء الله تعالى ، ولكل صفة من صفاته – جل وعلا – عبودية خاصَّة يُتَعَبَّد بها ، ويُتَقَرَّب بها لله تعالى ، فلله العبودية المطلقة ، لا إله غيره ولا معبود سواه .

ويحب الله تعالى أن يَعْبُدَه عبادُه ويتقربوا إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[1] . فكلما أثنى العبد على الله باسمٍ من أسمائه ، أو بصفةٍ من صفاته ، كلما كان على مقربةٍ من رحمة ربه، وكان عرضة لنَيْل رضا ربه ، وأصبح في عداد عباده الصالحين .

ولكن يجب على المسلم أن يتعلم كيف يعبد ربه بهذه الأسماء وبتلك الصفات ، حتى لا يلحد في أسمائه ولا يشرك في صفاته ، فيعبد ربه على عِلْمٍ كما علّمه ربه ، وكما جاء عن رسول الله ﷺ ، وكما أُثِرَ عن السلف الصالح ، حتى لا تنزلق الأقدام ، وحتى لا تضيع معالم الهُدَىٰ والرشاد ، فالأصل في العبادات – كما هو معلوم – أنها (توقيفية) نقوم بها ونُؤَدِّيها كما أمرنا بها ربُّنا ، وعلَّمَنا إياها رسولُه الكريم ﷺ في سنَّتِهِ المطهرة قولًا وفعلًا وسلوكًا . ونأخذ بعض الصفات ، ونرى كيف يمكن أن نتعبَّد لله تعالى بها على سبيل المثال :

○ التعبد لله تعالى بصفة الوجه ○

وها نحن أمام صفة من صفات الله تعالى ، وهي صفة (الوجه) .
وهذه الصفة العظيمة يُتعبَّد بها لله تعالى ويُتقرَّب إليه بها . فوجه الله عظيم ، ووجه الله جليل ، ندعوه بهذه الصفة ونتعوَّذ به بهذه الصفة ، فإن لها من الكمال

---

(١) الأعراف : (١٨٠) .

والإجلال ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[١] . وقال تعالى – أيضًا –: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٢] . وكما جاء في معنى الحديث عند أبي داود أنه : « لا يُسْأَلُ بوجه الله إلا الجنة »[٣] .

وهنا لنا وقفتان :

إحداهما: أنَّ من التعبُّد لله تعالى أن نسأله بصفة الوجه ؛ لأنها من صفات الله تعالى ، وأنها صفة عظيمة ، وصفات الله تعالى كلها عظيمة ، ففي الحديث دليلٌ على أنه من المشروع أن نسأل الله تعالى بهذه الصفة .

والثانية : أن هذه الصفة لها من المكانة والعظمة والإجلال والإكبار بحيث ألّا يُسأل الله تعالى بها إلا طَلَبًا للجنة . فهي صفة عظيمة ولا يُسأل بها إلا لشيءٍ عظيم ؛ لأن هذه الصفة صفةٌ لذات الله العُليا ، وتدلُّ على إجلاله وإكباره .

التعوذ بوجه الله تعالى :

أيضًا من التعبد لله بهذه الصفة أن نتعوَّذ بها ونتحصَّن بها ، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، ففي الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أنه لما نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[٤] ، فقال النبي ﷺ : « أعوذ بوجهك » ، فقال : ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فقال النبي ﷺ : « أعوذ بوجهك » ، فقال : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ ، فقال النبي ﷺ : « هذا أيسر »[٥] . فلقد تعوَّذ الرسول الكريم ﷺ بالله بهذه الصفة الجليلة ، التي تدل على إجلال الله تعالى وعظمته . فإن لها من

---

(١) القصص : (٨٨) .
(٢) الرحمن : (٢٧) .
(٣) انظر كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) للشيخ / محمد بن عبد الوهاب ، باب (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) .
(٤) الأنعام : (٦٥) .
(٥) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب (كل شيء هالك إلا وجهه) .

الإجلال والإكبار ما لا يعلمه إلا الله . ولذلك تعوذ بها رسولنا الكريم ﷺ وتحصَّن بها من وقوع العذاب المُهلك من فوقنا ومن تحت أرجلنا ، فكانت الإجابة من الله تعالى بصَرْفِ هذا العقاب وهذا العذاب إجلالًا لهذه الصفة . فلقد سأل رسول الله ﷺ بعظيمٍ ، فتضاءلت المسألة المطلوبة أمام عظمة الصفة التي طلب بها ، فما كان إلا الإجابة تفضُّلًا من الله تعالى .

وعلينا التعبُّد لله بهذه الصفة بأن ندعو الله بها ، وأن نتعوذ بالله بها . والله أعلم .

○ التعبد لله بصفتي السمع والبصر ○

إن من صفات الله تعالى السمع والبصر ، فهو سبحانه وتعالى سميعٌ بصير ، وكما عَلِمْنا أنهما سمعٌ وبصرٌ يليقان بجلال الله وعظمته، فليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير .

ولكن كيف نتعبد لله بهذين الاسمين وهاتين الصفتين ؟

إن التعبد لله بهذين الاسمين وهاتين الصفتين له جوانب عديدة لا يعلمها إلا الله ، ومن هذه الجوانب ما يلي :

١ - جانب الثبات على الحق :

فإذا علم العبد أن له ربًّا يسمع ويبصر ، وأنه يعلم ويحيط بكل أموره ولايتركه طَرْفَة عين ، كان ذلك دافعًا ويقينًا قويًّا وعزيمة فتيَّةً للإصرار على إكمال المسيرة ، والثبات على الحق ، والتَّمسُّك بالعقيدة والمنهج فلا يخشى العبد ظُلْمَ ظالمٍ ، ولا بطش باطشٍ ؛ لأن له ربًّا معه،يسمع ما يُقال ويُبصر ما يُفْعَل،فيتحوَّل ما يلقاه العبد من مشاقّ وعَنَت إلى تلذُّذٍ واستِعْذَاب .

فهذا القول : الذي قاله العبد ابتغاء مرضاة الله قد سمعه الله عز وجل ، وسجَّلته الملائكة ، والعبد يحتسبه عند مولاه عز وجل .

وهذا الفِعْل : الذي قام به العبد ابتغاء مرضاة الله ، ولاقى في سبيله من

البَطش ، والفَتْك ، والحِرمان ، والوعيد ، والتهديد في أغنى ما يملك ، فإن الله به بصير ، ولن يذهب عمله سُدًى .

فعقيدة المسلم الصابر الثابت على الحق جعلته يتعبَّد لله بصفتي السمع والبصر ، فهو مُحْتَسِبٌ ذلك كلَّه عند ربه ، لأن ربه لم يتركه هَمَلًا ، ولم يكن ربه غافلًا ولا ساهيًا ، حاشا لله تعالى . فإيمان العبد بهاتين الصفتين خيرُ معين على التَّصبُّر على ما يتجرَّع من ألوان البطش والعذاب والجوع والحرمان .

ونلمس هذا النوع من التعبُّد في قصة موسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام– حينما أمرهما ربهما– تبارك وتعالى– أن يذهبا إلى فرعون، وأن يأمراه بالمعروف ، وينهياه عن المنكر ، ولكنهما خَشِيَا على نَفْسَيْهما من بطش هذا الجبار ، فلقد كان فرعون من المتكبرين في الأرض ، والمتغطرسين (شأنُه في ذلك شأن كلِّ طاغيةٍ من طواغيت الأرض) قال تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾[1] . وتأتي الإجابة من الله تعالى بالتَّوجيه الرَّبَّاني لموسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام – كيف يتعبَّدان لله بصفتي السمع والبصر ، فأرشدهما إلى التَّوَجُّه إلى فرعون – عليه لعنة الله تعالى – وألَّا يخافاه فإن معهما إلَهًا يسمع كل ما يقال وكل ما يدور ، ويبصر كل شيءٍ في الأرض أو في السماء وما بينهما ، فهو حافظهما بِحفْظه، ويرعاهما برعايته، فهذا يعطي العبد ثقة في الله تعالى وثباتًا على الحق.

فإن شاء الله عَصَمَه من أيدي أعدائه ، فإن الله قادرٌ على كل شيء ، يقول له : كن ، فيكون . فهذا نصرٌ من الله تعالى وتأييدٌ لعبده .

وإن قَدَّر الله أن يصل لعبده بعضُ الأذى من أعدائه، فإن ذلك العبد يعلم أن ربه يراه، ويبصره، فيَحْتسِبُ ذلك عند ربه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2]. فسبحان السميع البصير.

---

(١) طه (٤٤ ، ٤٥) .

(٢) طه : (٤٦) .

٢ – جانب المراقبة والخشية :

أيضًا من الجوانب التي نتعبَّد بها لله تعالى ، لهذين الاسمين ، وهاتين الصفتين، جانب (المراقبة والخشية) فإن آمن العبد بأن له ربًّا يسمعه، يسمع صَوْتَه وهَمْسَه ، جهرَه وسرَّه ، وإذا آمن العبد من قلبه بأن له ربًّا يبصره ومُطَّلِعًا عليه في حركاته وسكناته وجميع أعماله وأفعاله ، فإن ذلك يدعوه لأن يراقب هذا الربَّ ويخشى هذا الإله ، فإنه يسمع ويبصر ، وسيحاسبُ عباده ، وهو بهم عليم ، علمٌ جاء عن (سمع ، وبصر) فلن يعْزُب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

فمن التَّعبُّد لله تعالى بهذين الاسمين وهاتين الصفتين : أن نستشعر سَمْع الله لنا وإبصاره لنا في جميع أقوالنا وأفعالنا ، ونلمح هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1] . ففي هذه الآية الكريمة يامرنا الله – عز وجل – بأمرين عظيمين وهما (تأدية الأمانات إلى أهلها ، والحكم بالعدل) وإذا تأمَّلْنا هاتين الصفتين وجدناهما تحتاجان إلى مراقبةٍ شديدةٍ من العبد لربه، تحتاجان من العبد أن يستشعر أن الله– عز وجل– مُطَّلعٌ عليه يسمعه ويبصره .

– فهذه الأمانات التي قَدَرَ عليها العبد ، ولكنه أبى إلَّا أن يُؤدِّيها إلى أهلها ، لَمَّا عَلِم واعتقد أن الله يُبصره ، فوَلَّد ذلك الاعتقاد في قلب العبد الخشية من الله تعالى ، فخاف مقام ربه فنهى النَّفْس عن الهوى .

– وهذا الذي قَدَرَ على أن يظلم ، وأن يحكم بما تشتهيه نَفْسُه ، فلا مُطَّلعَ عليه غير ربه ، ولكنَّه يعتقد اعتقادًا جازمًا أن له ربًّا يسمعه ويبصره ، يسمع ما يقول ، ويُبصر ما يفعل ، فكيف تخرج منه كلمةٌ تُغضب المولى – عز وجل – في علاه . فكل كلمة ، بل كل حرفٍ ، بل الغَمْز واللَّمْز الله مُطَّلعٌ عليه ، بل

(١) النساء : (٥٨) .

يعلم – سبحانه – ما يُحَدِّث به العبدُ نَفْسَه ، فلمَّا عَلِمَ العبدُ المؤمنُ ذلك – وتَعَبُّدًا لله – تعالى – بصفتي السمع والبصر – وأن ربَّه سميعٌ بصيرٌ ، تراجَعَ عمَّا يُغْضِب ربَّه ، بل أقْدَمَ على ما يُرضي الربَّ عز وجل . فأمَرَ نفسه بمعروفٍ ونهاها عن منكرٍ ، وألْزَمَها ألَّا يُسْمِع ربَّه منه إلَّا ما يرضيه ، وألَّا يُبصِره ربُّه إلَّا في طاعةٍ ، فيُبصِره حيث أمَرَهُ ، ويَفْتَقِدُه حيث نهاه .

* * *

الباب الرابع

بعض المصطلحات في الشريعة الإسلامية

الفصل الأول

الكُفــــر

□ الفصل الأول □

○ الكفـر ○

معنى الكفر لغة :

الكفر في اللغة : التغطية والستر[١] .

معنى الكفر شرعًا :

الكفر شرعًا : هو ضد الإيمان ، والكفر عدم الإيمان بالله ورسله ، سواءٌ كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض ، أو حسد ، أو كيد ، واتباع بعض الأهواء الصادَّة عن اتِّباع الرسالة . وإن كان المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحد المكذب حسدًا مع استيقان صدق الرسل[٢].

أنواع الكفر :

إن الكفر أيضًا كفران : كفر أكبر يخرج من الملة ، وكفر أصغر لا يخرج من الملة ، قال العلّامة ابن القيم : الكفر نوعان : كفر عمل ، وكفر جحود وعناد ؛ فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله تعالى جحودًا وعنادًا من أسماء الله وصفاته وأفعاله وأحكامه ، وهذا الكفر يُضادّ الإيمان من كل وجه ، وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده؛ فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان[٣].

النوع الأول : الكفر الأكبر :

وهو الذي يخرج صاحبه من الملة ، ويوجب له التخليد في النار ، ويحرم عليه

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) مجموع الفتاوى (للشيخ ابن تيمية) ١٢/٣٣٥ .

(٣) من كلام العلّامة ابن القيم ، نقلًا عن الولاء والبراء ، د / محمد سعيد القحطاني .

دخول الجنة ، وهو خمسة أقسام :

القسم الأول :

(كفر التكذيب) . ودليله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]؛ أي أنه لا أحد أشد عقوبة وكفرًا ممن كذب على الله فقال : إن الله أوحى إليه ولم يُوحَ إليه شيءٌ ، وأيضًا ليس هناك من هو أشد جرمًا وكفرًا وعقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه ، فالأول مفترٍ والثاني مكذبٌ ، ومصيرهما ومثواهما جهنم والعياذ بالله .

القسم الثاني :

(كفر الإباء والاستكبار مع التصديق) وهذا الكفر مثل كفر إبليس ، وأيضًا من عرف الرسول ، وعلم صدقه ، وأنه مرسَل من عند الله ، ولم يتبعه ، ولم يَنْقَد له ؛ إباءً واستكبارًا ، ومن ذلك كفر فرعون وقومه ؛ قال تعالى : ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾[2]

القسم الثالث :

(كفر الشك) وهو كفر الظن وعدم الجزم، فصاحبه لا يكذِّب الرسول ولا يصدقه ، بل يشك في أمره ، وهذا الشك يرجع لمرض في القلوب ، فالقلوب السليمة النظيفة الطاهرة لا تجد صعوبة في تكَشُّف الحقائق والوصول للحق ، فقلوبها دائمًا تميل إلى الحق ، وصاحب كفر الشك لا يستمر في شكِّه إلا لأنه أعرض عن آيات صدق الرسول ، لأنه لو نظر إليها بفطرته التي فطره الله عليها لدخل الحق واليقين في قلبه . ومن هذا الكفر كفر صاحب الجنة والبستان الذي غره ما عنده من الرزق ، وفَقَدَ الإيمان بالله واليوم الآخر ، قال الله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ

(١) العنكبوت : (٦٨) .

(٢) المؤمنون : (٤٧) .

أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾[1]. فلقد عبَّر عن عقيدته في اليوم الآخر بقوله : [ولئن رُددت إلى ربي] هكذا على سبيل الشكِّ وعدم اليقين ، فوقع في الكفر كما قال له صاحبه : [أكفرت بالذي خلقك] وهذا هو مصير أصحاب القلوب المريضة ، والعياذ بالله .

القسم الرابع :

(كفر الإعراض) وهذا الكفر مثل من يعرض عن الرسول ؛ لا تكذيبًا له ولا تصديقًا له ، ولا موالاة له ولا معاداة إيّاه ، ولكنه لا يُصغي ولا يسمع من الرسول ، بل يُعْرِض عنه ويتركه ؛ كما قال أحد بني (عبد ياليل) للنبي ﷺ : والله إن كنتَ صادقًا فأنت أجلُّ في عيني من أن أرد عليك ، وإن كنتَ كاذبًا فأنت أحقر من أن أكلمك . ودليله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[2] .

القسم الخامس :

(كفر النفاق) . وهذا النوع هو أشد أنواع الكفر خطرًا على الإسلام والمسلمين ، وصورته أن يُظهر صاحبه الإيمان بلسانه وينطوي بقلبه التكذيب ، وهذا هو النفاق الأكبر ، وأصحاب هذا النفاق يتغلغلون في صفوف المسلمين ، ويحاولون تفريق الكلمة ، وإضعاف التقوى ، وتمزيق الوحدة،ودليله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[4]. وهؤلاء يجب التشهيرُ بهم ونعريتهم .

النوع الثاني : الكفر الأصغر :

وهذا الكفر كما ذكرنا لا يخرج صاحبه من الملة ، وهو كفر العمل ،

---

(١) الكهف : (٣٥ : ٣٨) .
(٢) الأحقاف : (٣) .
(٣) البقرة : (٨ ، ٩) .
(٤) المنافقون : (٣) .

وهو كل ذنب ورد تسميته في الكتاب والسنة كفرًا ، وهو لا يصل إلى حد الكفر الأكبر ، ومثال ذلك كفر النعمة المذكور في القرآن الكريم : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وكذلك قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ »[2]؛ فهذا كفر عمل لا يخرج صاحبه من الملة ، وكذلك قوله ﷺ : « إذا قال الرجُلُ لأخيه يا كافرُ فقد باءَ بها أحدُهما »[3] فهذا كله وما على شاكلته يسمى كفرًا عمليًا ، لا يخرج صاحبه من الملة ؛ لأنه كفر أصغر ؛ كفر دون كفر .

الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر :

مما مضى تَبيَّن لنا أن هناك بعض الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر ؛ ونذكر منها :

١ – إن الكفر الأكبر يخرج من الملة ، ويحبط جميع الأعمال ، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة ، ولا يحبط الأعمال ، ولكن ينقصها بحسبه ، ويُعَرِّض صاحبها للوعيد .

٢ – إن الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار ، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار لا يخلد فيها ، وقد يتوب الله عليه ؛ فلا يدخل النار ابتداءً .

٣ – إن الكفر الأكبر يبيح الدم والمال ، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال .

٤ – إن الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين ؛ فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ، ولو كان أقرب قريب ، أما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا ، بل صاحبه يُحَبّ ويُوَالَى بقدر ما فيه من الإيمان ، ويُبغضُ ويعادَى بقدر ما فيه من العصيان .

* * *

(١) النحل : (١١٢) .
(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (لا ترجعوا بعدي كفارًا) .
(٣) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (بيان إيمان من قال لأخيه المسلم ياكافر) .

الفصل الثاني

الشِّرك



□ الفصل الثاني □

○ الشرك ○

معنى الشرك لغة :

الشِّركة والشَّركة سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والجمع: أشراك وشركاء[1].

معنى الشرك شرعًا :

الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته . والشرك له صور متعددة وحالات شتى ؛ فهناك من يشرك بالله ، وذلك بالدعاء أو الذبح أو النذر لغير الله ، أو غير ذلك من أنواع العبادة لغير الله ، فهو شرك أكبر ، يخرج صاحبه من الملة .

عاقبة الشرك :

إن الشرك أعظم الذنوب وأقبحها ، وأخطر وأبشع ما يرتكبه الإنسان في حياته ؛ وذلك لأمور كثيرة ، منها :

١ – هذا المشرك قد تجرأ على الله تعالى ، وساوى بينه وبين خلقه ، إذ كيف يصرف عبادة لمخلوقٍ مثله ، وهي لا تحِقُّ إلا للخالق، وكأنه شبَّه الخالق بالمخلوق، فقد ظلم وأفسد؛ لوضعه الشيء في غير موضعه، وصرف العبادة لغير الله، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2].

٢ – لقد حَرَم هذا المشرك نفسه من مغفرة ربه ورحمته ، حيث لا تناله رحمة

---

(١) انظر لسان العرب .

(٢) لقمان : (١٣) .

الله ومغفرته ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] . وحَرَم نفسه أيضًا من الشفاعة ، فهي محرَّمة على الكافرين والمشركين.

٣ – إن هذا المشرك بشركه حَرَم نفسه من أي أجر أو ثواب ؛ فلقد أحبط الشرك جميع عمله الصالح ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

٤ – إن المشرك بشركه قد أحَلَّ دمه وماله ؛ فلا حرمة له في الإسلام ؛ فكما استهان بقضية التوحيد ، ولم يُحَقِّقه – فلا قيمة له في الإسلام ، ولا حرمة له ولا ذمة، وماله حلال، والدليل: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[3] .

٥ – إن المشرك قد حكم على نفسه بالخلود في النار وبئس القرار ، وحرَّم على نفسه الجنة؛ لأن الله تعالى حرَّمها على المشركين، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[4] .

قال ابن القيم رحمه الله[5] :

أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يُعرف بأسمائه وصفاته ، ويُعْبَد وحده ، ولا يشرك به ، وأن يقوم الناس بالقسط (وهو العدل) الذي قامت به السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[6] ، فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله ،

(١) النساء : (٤٨) .
(٢) الأنعام : (٨٨) .
(٣) التوبة : (٥) .
(٤) المائدة : (٧٢) .
(٥) انظر الجواب الكافي (لابن القيم) صـ ١٠٩ .
(٦) الحديد : (٢٥) .

وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط (وهو العدل) ومن أعظم القسط التوحيد ، وهو رأس العدل وقوامه ، وأن الشرك ظلم كما قال : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] ؛ فالشرك أظلم الظلم ، والتوحيد أعدل العدل فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر .فلما كان الشرك منافيًا بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحَرَّم الله الجنة على المشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد ، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم ، وأبى الله سبحانه أن يقبل من المشرك عملًا ، أو يقبل فيه شفاعة ، أو يستجيب له في الآخرة دعوة ، أو يقبل منه رجاءً ، وإن كان المشرك في الواقع لم يظلم ربه ، وإنما ظلم نفسه .

أنواع الشرك :

الشرك نوعان :

أولًا : شرك أكبر :

وهو الذي يخرج صاحبه من ملة الإسلام ، ويوجب لصاحبه الخلود في النار ، ويُحَرِّم عليه الجنة ، وذلك إن لم يتب ، ومات على الشرك . ومن هذا الشرك : صرف عبادة من العبادات لغير الله ؛ مثل الدعاء ، والنذر ، والخوف ، والذبح ، والتوكل . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2] .

أنواع الشرك الأكبر :

ينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع :

١ - شرك الدعاء :

الدليل : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ

---

(١) لقمان : (١٣) .
(٢) النساء : (١١٦) .

﴿إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1] .فبعد أنْ يُنجيهم ربُّهم يُشركون به ويَدْعون غيرَه .

٢ - شرك النية والإرادة والقصد :

ودليله : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2] . قال ابن عباس : إن أهل الرياء يُعْطَوْن بحسناتهم في الدنيا ؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا ، ويقول : من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاة وغير ذلك - أُوَفِّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة ، وحَبِطَ عمله الذي كان يعمله وهو في الآخرة من الخاسرين. قال قتادة: من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة[3].

٣ - شرك الطاعة :

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4] ، وفي الحديث عن عدي بن حاتم رضي الله عنه حين سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4]. قلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال : « **بلى ، إنهم حَرَّموا عليهم الحلالَ وأحَلُّوا لهم الحرامَ فاتَّبَعُوهم ، فذلك عبادتُهم إيَّاهم** »[5]. فطاعة أي مخلوق ، وأخذ الأمر والنهي منه في معصية الله تعالى في الحلال والحرام ، وفي « افعل ولا تفعل » ، فهذه الطاعة شركٌ أكبر تُخرج صاحبها من المِلَّة.

---

(١) العنكبوت : (٦٥) . (٢) هود : (١٥ ، ١٦) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (سورة هود) .

(٤) التوبة : (٣١) .

(٥) رواه الترمذي (كتاب التفسير) وقال:حديث غريب . ورواه ابن كثير في تفسير هذه الآية ، وعزاه لأحمد وابن جرير ، وقال الألباني في (غاية المرام في تخريج الحلال والحرام) قال : حديث حسن .

٤ – شرك المحبة :

ودليله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1] .

قال ابن كثير رحمه الله :

يذكر تعالى المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة ؛ حيث جعلوا له أندادًا؛ أي أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه ، ويحبونهم كحبه ، وهو الله لا إله إلا هو ، ولا ضد له ، ولا ند له ، ولا شريك له ؛ فهو إله واحد .

ثانيًا : شرك أصغر :

والشرك الأصغر هو الذي لا يخرج صاحبه من الملة ، ولكن ينقص من توحيده ، فهو وسيلة للشرك الأكبر ؛ والعياذ بالله ، وهو ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : شرك ظاهر :

وهذا الشرك الظاهر يتمثل في الألفاظ والأفعال فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرية . **ومن الألفاظ الشركية التي نهى عنها الله ورسوله** – كالحلف بغير الله تعالى – قول : ما شاء الله وشئت ، وقول : لولا الله وفلان ؛ فالأصل ألا يساوي العبدَ المخلوقَ مع ربه وخالقه ، فالصواب أن نقول : شاء الله ثم شئت ، لولا الله ثم فلان ، وألَّا نحلف إلا بالله تعالى ؛ وذلك لقول الرسول ﷺ : « **مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد أشرك** »[2]. **وأمَّا في الأفعال** : فهو كثير جدًّا ، ومنها تعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها ، كلُبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه. ولكن مع ملاحظة أن يكون ذلك الفعل على سبيل الاعتقاد ، وأنه سبب في رفع البلاء أو دفعه ، فهذا شرك أصغر ، ولكن إذا اعتقد فاعل ذلك أنها تنفع أو تدفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر يخرجه من الملة ؛ لأنه تعلق بغير الله تعالى .

---

(١) سورة البقرة : (١٦٥) .

(٢) رواه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور) والترمذي في (النذور والأيمان) وقال : حديث حسن ، وقال الشوكاني في نيل الأوطار :(صححه الحاكم) .

القسم الثاني : شرك خفي :

وهو الشرك في الإرادات والنيات ، وذلك مثل الرياء ، والسمعة ؛ ومثال ذلك أن يعمل المسلم عملًا الأصل فيه أنه لله تعالى ، ثم بعد ذلك يدخل فيه شيء من الرياء أو السمعة ، فيريد من الناس الثناء عليه ؛ كأن يقرأ مسلم القرآن لله تعالى وتقرُّبًا له، وعندما يرى الناس تنصت له يُلحن في صوته ابتغاء الثناء عليه ، أو يتصدق إنسان بمال لكي يُمْدَحَ ويثنى عليه ، أو يحسن الرجل صلاته التي يتقرب بها إلى الله لما يرى من نظر الناس إليه ، وغير ذلك من الأعمال والعبادات التي تصرف لله تعالى وإلا لو صرفت ابتداءً لغير الله لأصبح ذلك شركًا أكبر يخرج من الملة ، ولكن بعد البدء فيها يدخل عليه حب المدح والثناء على فعله وعبادته.وعاقبة الرياء الذي يخالط العمل هو إبطال أجر وثواب هذا العمل ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]. وقال الرسول ﷺ : **« أخوفُ ما أخافُ عليكمُ الشّركُ الأصغرُ ، قالوا : يا رسول الله وما الشركُ الأصغرُ ؟ قال : الرِّياءُ »**[2].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقلَّ مَنْ ينجو منه ، فمن أراد بعمله غير وجه الله ، ونوى به شيئًا غير التقرب إليه ، وطلب الجزاء منه – فقد أشرك في نيته وإرادته ، والإخلاص : أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته ، وهذه هي الحنيفية ؛ ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها ، وهي حقيقة الإسلام ، وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو مِنْ أسْفَهِ السفهاء؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

---

(١) الكهف : (١١٠) .

(٢) رواه أحمد في المسند ، والطبراني ، والبغوي في شرح السنة .

(٣) آل عمران : (٨٥) .

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :

نستطيع أن نستخلص مما سبق بعض الفوارق التي تُبَيِّن الشرك الأكبر والشرك الأصغر ؛ ومنها ما يلي :

١ – الشرك الأكبر يخرج من الملة ، الشرك الأصغر لا يخرج من الملة .

٢ – الشرك الأكبر : يخلد صاحبه في النار ، الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار إن دخلها . [فقد لا يدخل النار ، فتشمله رحمة ربه وعفوه ومغفرته]

٣ – الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، الشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال ، ولكن يحبط العمل الذي خالطه الرياء والسمعة فقط .

٤ – الشرك الأكبر يبيح الدم والمال ، الشرك الأصغر لا يبيحهما .

الشرك ظلم عظيم :

إن الشرك ظلم عظيم ؛ إذ إن المشرك وضع طاعته وولاءه وعبادته في غير موضعها المستحقّ . فالظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، فهذا المشرك وقع في أعظم الظلم حينما صرف عبادته – أو شيئًا منها – لغير الله تعالى الذي هو خالقه ورازقه ومُحييه ومُميته ، والذي يبعثه ليُحاسبه على أفعاله وأعماله ، وعلى ما قدّمتْ يداه ، وعلى هذا فالمشرك ظالم من وجوه كثيرة ، منها :

١ – أنه وضع عبادته في غير موضعها حينما صرّفها – أو صرف شيئًا منها – لغير ربّه وإلهه .

٢ – أنه منع الله تعالى حقًّا من حقوقه على خلْقه ، وهو أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا .

٣ – أنه خالف الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، ألا وهي التوحيد .

٤ – أنه ظلم جسده وأعضاءه التي هي أمانةٌ عنده ؛ فبشركه أوجب لها الخلود في النار ، والعياذ بالله .

٥ – أنه غير منصف وغير عادل ، فلو كان مُنصفًا ، لأخضع جوارحه لربِّه وصرف عبادته لخالقه .

الفصل الثالث

النِّفـاق

□ الفصل الثالث □

○ النفاق ○

معنى النفاق لغة :

مصدر نافق ؛ يقال : نافق ينافق نفاقًا ومنافقة ، وهو مأخوذ من النافقاء ؛ أحد مخارج اليربوع من جحره ، فإنه إذا طُلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه ، وقيل : هو من النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه[1] .

معنى النفاق شرعًا :

هو إظهار الإسلام والخير وإبطان الكفر والشر ، وإن المنافقين أشد شرًا من الكافرين ، وأعدَّ الله لهم ما لم يعد لغيرهم من العذاب والنكال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[3] .

أنواع النفاق :

ينقسم النفاق إلى نوعين : نفاق الاعتقاد ، ونفاق العمل :

النوع الأول : (نفاق الاعتقاد) :

وهذا النوع من النفاق الأكبر الذي يخرج صاحبه من ملة الإسلام ، ويوجب له الخلود في النار ، ويُحَرِّم عليه دخول الجنة ، وذلك لأنه أظهر الإسلام والخير وأبطن الكفر والشر، وهؤلاء هم أشد خطرًا وبلاءً على الإسلام والمسلمين؛ لأنه يُؤمَن جانبُهم لما ظهر من أمور تدل على إيمانهم ، ويأتي الخطر كل الخطر

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير (٥ / ٩٨) .
(٢) النساء : (١٤٥) .
(٣) النساء : (١٤٢) .

من جانبهم ؛ فهم الذين يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا وهم الذين يذبذبون الصف المسلم ، وغير ذلك ، ولكن الله كاشف أمرهم ، وهو على إذلالهم قدير ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1] .

وهذا النفاق ستة أنواع :

١ – تكذيب الرسول ﷺ .

٢ – تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

٣ – بُغض الرسول ﷺ .

٤ – بُغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

٥ – المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ .

٦ – الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ .

النوع الثاني : (النفاق العملي) :

وهو النفاق الذي لا ينقل صاحبه عن الملة ، بل يظل معه مسلمًا ، ويبقى معه إيمانه ، وهذا النفاق العملي هو الاتصاف ببعض أعمال المنافقين التي لا تنقض الإيمان ، بل في المعاملات ، وذلك مثل الكذب في الحديث ، إخلاف الوعد ، الغدر عند الخصام ، الخيانة عند الائتمان ، فإنه قد يجتمع في العبد بعض خصال الخير ، وبعض خصال الشر ، ويستحق من الثواب على قدر ما عنده من خصال الخير ، ويستحق من العذاب على قدر ما عنده من خصال الشر والنفاق ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يخافون النفاق ويحذرون الوقوع فيه والاقتراب منه ، قال ابن أبي مليكة رحمه الله : أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه .

---

(١) البقرة : (٨ : ١٠) .

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر :

١ – أن النفاق الأكبر يخرج من الملة ، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة .

٢ – أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد ، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد .

٣ – أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن ، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من مؤمن .

٤ – أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ،ولو تاب اختلف في توبته عند الحاكم ، بخلاف النفاق الأصغر ، فإن صاحبه قد يتوب إلى الله تعالى فيتوب الله عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] :

وكثيرًا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه ،وقد يَرِد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه إليه ، والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره ؛ كما قال الصحابة : **يا رسولَ الله،إن أحَدَنا يَجِد في نَفْسِه ما لَأن يَخِرَّ من السماءِ إلى الأرضِ أحبُّ إليه من أن يتكلَّمَ** به ؛ **فقال : « ذلك صريحُ الإيمانِ »[2]**؛ أي أن حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهية العظيمة ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان .

تنبيه هام :

إن اتهام بعض الصحابة أنفسهم بالنفاق والخوف من الوقوع فيه ، فإن ذلك يدلُّ على أشياء كثيرة ومعانٍ رفيعة ، منها :

١ – مدى حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – على إيمانهم وتوحيدهم وحفظ إيمانهم ، من أن تشوبه شائبة تعكِّر صفوه أو تنقص كماله .

٢ – تواضع الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – وعدم اغترارهم بأعمالهم .

٣ – ما يجب أن يكون عليه العبد من الخوف والرجاء ، فإنه يخاف ربَّه وأن يقع فيما يُغضبه ، وفي نفس الوقت يرجو رحمته .

(١) انظر كتاب الإيمان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٣٨ .

(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (بيان الوسوسة في الإيمان) .

الفصل الرابع

الــرِّدَّة

□ الفصل الرابع □

○ الردة ○

معنى الردة لغة :

هي الرجوع في الطريق الذي جاء منه[١] .

معنى الردة شرعًا :

هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر ، مختارًا غير مُكْرَه .

ويستوي فيه الذكر والأنثى ، ولا عبرة بارتداد المجنون ولا الصبي ؛ لأنهما غير مكلفين ، وذلك لقول النبي ﷺ في الحديث: « رُفِعَ القلمُ عن ثلاثٍ : عن النائمِ حتى يَستيقظَ، وعن الصَّبِيِّ حتى يَحتلمَ، وعن المجنونِ حتى يَعقِلَ »[٢]. وذلك لأن العقل هو مناط التكليف ، فإذا فقد العقل بالجنون أو كان غير مؤهل لحمل التكليف لصغر السن وغير ذلك فلا يُعْتَدّ بالردة حينئذ ، وأما من أُكره على التلفظ بالكفر ، أو فعل فعلًا مُكْرَهًا عليه ، وقلبه مطمئن بالإيمان – فلا يضر ذلك إيمانه شيئًا ، وقد أُكْرِه عمار بن ياسر على التلفظ بكلمة الكفر فنطق بها ، وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[٣] .

أمثلة على الارتداد :

١ – الإشراك بالله تعالى .

---

(١) انظر المعجم الوسيط .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ، وأصحاب السنن ، وقال الترمذي: حديث حسن .

(٣) النحل : (١٠٦) .

٢ – جحد ربوبيته أو وحدانيته .
٣ – جحد صفة من صفاته .
٤ – الزعم باتخاذ الله صاحبة أو ولدًا .
٥ – جحد بعض كتبه أو رسله .
٦ – سب الله تعالى أو سب رسول من رسله أو ادعاء النبوة .
٧ – جحد شيء من المحرمات الظاهرة المجمع عليها أو جحد وجوب عبادة من العبادات الخمس .

أنواع الردة :

١ – **الارتداد بالقول** ؛ كَسَبِّ الله تعالى ، والنطق بقول يكفر به .
٢ – **الارتداد بالفعل** ؛ كالسجود للأصنام والكواكب ونحوها ، أو إذا أتى بفعل صريح ؛ كالاستهزاء بالدين ، أو امتهان القرآن ، أو وضعه في القاذورات .
٣ – **الارتداد بالاعتقاد** ؛ كاعتقاد الشريك لله سبحانه وتعالى أو اعتقاد حِلّ شيء من المحرمات المجمع عليها إجماعًا قطعيًّا .
٤ – **الارتداد بالشّكّ** ؛ كما لو شك في شيء من واجبات الدين ؛ كالصلاة ، أو الصيام ، أو الزكاة ، أو يشك في تحريم الشرك ، أو شيء من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة ، مثل الزنا والخمر ، أو شك في رسالة النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء ، أو في صدقه ، أو في دين الإسلام ، أو في صلاحيته لهذا الزمان أو لغيره من الأزمنة .

الأحكام التي تترتب على الارتداد :

١ – استتابة المرتد ؛ فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قُبل منه ذلك .
٢ – إذا أبى أن يتوب وجب قتله ؛ لقول النبي ﷺ : « من بَدَّل دينه فاقتلوه »[1] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الجهاد) باب (لا يعذب بعذاب الله) .

٣ – يُمْنَع من التصرف في ماله في مدة استتابته ، فإن أسلم فهو له ، وإلا صار فيئًا لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة . وقيل:من حين ارتداده ، يصرف في مصالح المسلمين .

٤ – انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه ، فلا يرثهم ولا يرثونه .

٥ – إذا مات أو قُتل على ردته فإنه لا يُغسَّل ، ولا يُصَلَّى عليه ، ولا يُدفن في مقابر المسلمين ، وإنما يُدفن في مقابر الكفار ، أو يوارَى في التراب في أماكن غير مقابر المسلمين .. هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فإنها تستوجب العذاب الشديد والخلود في النار ، وذلك لقوله تعالى : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] .

قال فضيلة الشيخ حمد بن علي بن عتيق النجدي رحمه الله[2] :

الأشياء التي يصير بها المسلم مرتدًا :

فأحدها : الشرك بالله تعالى ، وهو أن يجعل لله ندًا من مخلوقاته ، يُدْعَى كما يُدعى الله ، ويخاف كما يُخاف الله ، ويتوكل عليه كما يُتوكل على الله ، أو يُصرَف له شيءٌ من العبادات ، فإذا فعل ذلك كفر، وخرج من الإسلام، وإن صام النهار وقام الليل؛ والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ

---

(١) سورة البقرة : (٢١٧) .

(٢) انظر كتاب سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين لأهل الشرك ، وذلك باختصار ضمن مجموعة التوحيد صـ ٣٥٤ : ٣٦٢ ، تحقيق محمد بشير عيون .

(٣) الزمر : (٨) .

﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[1] ... وغير ذلك من الآيات الكريمة .

الثاني : إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم ؛ والدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[2] .

الثالث : موالاة المشركين ؛ والدليل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3] .

وقوله : ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[4] ؛ فذكر تعالى في الآية الأولى : أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم ؛ قال أبو هريرة : ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني برئ الله منه .

الرابع : الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار ؛ والدليل : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ

---

(١) المؤمنون : (١١٧) .
(٢) محمد : (٢٥ : ٢٨) .
(٣) المائدة : (٥١) .
(٤) آل عمران : (٢٨) .

﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[١] .

الخامس : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله ؛ والدليل : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٢]؛ والاستهزاء على نوعين: استهزاء صريح، والآخر غير صريح ؛ والصريح : كقول القائل:إن الإسلام دين رجعية ، أو دين تخلف ، أو دين الصحراء ، والغير صريح مثل : الرمز والغمز بالعين ، ومَدُّ الشفة ، وإخراج اللسان سخرية بالله أو الرسول أو الدين .

السادس : ظهور الكراهية والغضب ، عند الدعوة إلى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ والدليل : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٣] .

السابع : كراهية ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ؛ والدليل : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٤] .

الثامن : جحد الناس شيئًا من كتاب الله ، ولو اية ، أو بعضها ، أو شيء عن النبي ﷺ،والدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا

---

(١) النساء : (١٤٠) .
(٢) التوبة : (٦٥ : ٦٦) .
(٣) الحج : (٧٢) .
(٤) محمد : (٩) .

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[(١)].

التاسع : عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث ؛ والدليل : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾[(٢)].

العاشر : الإعراض عن تعلم دين الله ، والغفلة عن ذلك ؛ والدليل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾[(٣)].

الحادي عشر : كراهية إقامة الدين والاجتماع عليه ؛ والدليل : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[(٤)].

الثاني عشر : السحر ؛ تعلُّمه وتعليمه والعمل بموجبه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[(٥)].

الثالث عشر : إنكار البعث؛ والدليل: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[(٦)].

الرابع عشر : التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

---

(١) النساء : (١٥٠ ، ١٥١) .
(٢) غافر : (٤) .
(٣) الأحقاف : (٣) .
(٤) الشورى : (١٣) .
(٥) البقرة : (١٠٢) .
(٦) الرعد : (٥) .

قال ابن كثير :

كما كان أهل الجاهلية يحكّمون الجهالات والضلالات ، وكما يحكم بها التتار من السياسات المأخوذة عن (جنكيز خان) الذي وضع لهم كتابًا مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى . ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتله ؛ والدليل : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] .

* * *

---

(١) المائدة : (٥٠)

الفصل الخامس

الفِسْق

□ الفصل الخامس □

○ الفسق ○

معنى الفسق لغة :

الخروج ؛ فسق الشيء : خرج عن طبيعته[١] .

معنى الفسق شرعًا :

هو الخروج عن طاعة الله ، سواء كان خروجًا كليًّا أو جزئيًّا .

أنواع الفسق :

الفسق ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول: فسق ينقل عن الملة وهو الكفر ، فهو فسق كلي ، خرج صاحبه عن طاعة الله وعبوديته ، ولقد سَمَّىٰ الله تعالى الكفر المخرج عن الملة الموجب لصاحبه النار – سمّاه فسقًا ، كما في قوله تعالى عن إبليس عليه لعنة الله : ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[٢] ، وسمَّىٰ الله تعالى أصحاب النار فُسّاقًا ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[٣] .

القسم الثاني : وهو الفسق الذي لا ينقل من الملة ، وهو فسق جزئي ، وهو يطلق على بعض المعاصي، وعلى بعض العصاة، وهو لا يخرج من الملة، وصاحبه ما زال في حظيرة الإسلام .

---

(١) المعجم الوسيط .

(٢) الكهف : (٥٠) .

(٣) السجدة : (٢٠) .

ولقد سمّى الله المؤمنين الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بالشهداء بأنهم فاسقون ، وهم ما زالوا في حظيرة الإسلام يتمتّعون بعقيدة المسلمين ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1]

* * *

---

(١) النور : (٤) .

الفصل السادس

الضَّــلال

□ الفصل السادس □

○ الضَّلال ○

معنى الضلال لغة :

الضَّلالُ والضَّلالةُ : ضد الهدى والرشاد[١] .

معنى الضلال شرعًا :

هو العدول عن الطريق المستقيم ، وهو ضد الهداية، قال الله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[٢] .

تعدد معنى الضلال في القرآن الكريم :

إن المعنى العام للضلال هو عدم الاهتداء وتنكُّب الطريق الذي يؤدي بصاحبه إلى ما لا يحمد عقباه ، وإلى ما يجعل العبد يندم على ما وقع منه من هذا الضلال ، ولكن تختلف المصيبة ، ويتباين الندم على قدر ضرر الضلال الذي وقع من العبد ؛ فتارة يوقعه ضلاله في الكفر ، وتارة في الشرك ، وتارة في المعصية بأنواعها . ولقد ورد ذلك كله في القرآن الكريم حيث أطلق الضلال على عدة معانٍ ، منها ما يلي :

١ – أطلق الضلال على الكفر ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٣] .

٢ – وتارة أخرى أطلق على الشرك ،قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ

---

(١) انظر لسان العرب .

(٢) الإسراء : (١٥) .

(٣) النساء : (١٣٦) .

ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾[١] .

٣ – وتارة أخرى أطلق على المخالفة التي هي دون الكفر .

٤ – وقد يطلق على الخطأ ، ومنه قول موسى عليه السلام في القرآن الكريم : ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[٢] .

٥ – وتارة أخرى يطلق على النسيان ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[٣] .

* * *

(١) النساء : (١١٦) .
(٢) الشعراء : (٢٠) .
(٣) البقرة : (٢٨٢) .

الفصل السابع

الإلحـــاد

○ الفصل السابع : الإلحاد ○

معنى الإلحاد لغةً :

[لَحَدَ] اللَّحْدُ واللُّحْد : الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر موضع الميت ؛ لأنه قد أُميل عن وسطٍ إلى جانبه .

والإلحاد في اللغة : المَيْل عن القصْد .

وأصل الإلحاد : الميل والعدول عن الشيء .

قال ابن السّكيت : المُلْحِدُ : العادل عن الحق ، المُدْخِلُ فيه ما ليس فيه .

وألحد الرجلُ : أي ظلم في الحرم[1].

معنى الإلحاد شرعًا :

إنّ معنى الإلحاد شرعًا يدور حول معناه لغةً ويحمل فحواه :

قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾[2] قال : إلحادُ المُلحدين أنْ دعوا اللّات في أسماء الله تعالى .

وقال ابن جريج عن مجاهد : اشتقُّوا اللاتَ من الله ، والعُزَّى من العزيز .

وقال قتادة : يلحدون : يُشْركون في أسمائه .

وروي عن ابن عباس : الإلحاد : هو التكذيب .

ويعقّب الحافظ ابن كثير رحمه الله على هذه التعريفات قائلًا : وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدول عن القصْد والميل والجوْر والانحراف ، ومنه اللَّحد في القبر ؛ لانحرافه إلى جهة القِبْلة عن سَمْت الحفر[3].

ويقول ابن القيم رحمه الله :

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشراك والتعطيل والنكران . وأسماء الربِّ تعالى

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (لحد) .

(٢) سورة الأعراف : (١٨٠) .

(٣) تفسير ابن كثير ،سورة الأعراف :(١٨٠) .

كلها أسماء وأوصاف ، تعرَّف بها تعالى إلى عباده ، ودلَّت على كماله جَلَّ وعلا ، فالإلحاد إمَّا بجَحْدها وإنكارها ، وإمَّا بجحد معانيها وتعطيلها ، وإمَّا بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات ، وإمَّا أن يجعلها أسماءً لهذه المخلوقات ، كإلحادِ أهل الاتحاد ؛ فإنهم جعلوها أسماءَ هذا الكون ؛ محمودها ومذمومها ، حتى قال زعيمهم : هو المسمَّى بمعنى كل اسمٍ ممدوح عقلًا وشرعًا وعُرْفًا ، وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا !!!. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا[1].

تقسيم الإلحاد :

ويقسِّم الشيخ حافظ الحكمي الإلحاد إلى ثلاثة أقسام ، والقسم الثالث إلى قسمين . فبعد أن تعرض لتعريف السَّلف للإلحاد،قال : وهذه الأقوال متقاربة ، والإلحاد يعمُّها ، وهو ثلاثة أقسام :

القسم الأول : إلحاد المشركين : وهو ما ذكره ابن عباس وابن جريج ومجاهد ، مِنْ عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه ، وتسميتهم أوثانهم بها ؛ مُضَاهاةً لله عزَّ وجلَّ ، ومشاقَّة له وللرسول ﷺ .

القسم الثاني : إلحاد المشبهة : الذين يُكَيِّفون صفات الله عزَّ وجلَّ ، ويُشبِّهونها بصفات خلقه ، مضادةً له تعالى ، وردًّا لقوله عز وجل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[3]، وهو مقابلٌ لإلحاد المشركين ، فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسوُّوه به ، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبَّهوه بها ، تعالى وتقدس عن إفكهم .

القسم الثالث : إلحاد النفاة ، وهم قسمان :

قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمال ، فقالوا :

---

(١) انظر كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣٩٢ : ٣٩٣ .
(٢) الشورى : (١١) .
(٣) طه : (١١٠) .

رحمن رحيم بلا رحمة ، عليم بلا علم ، حكيم بلا حكمة ، قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر . واطَّردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا ، وعطَّلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمَّنه من صفات الكمال لله تعالى ، وهم في الحقيقة كمن بَعْدَهم ، وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تستُّرًا ، وهو لا ينفعهم .

وقسم لم يتستَّروا بما تستَّر به إخوانُهم ، بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني ، واستراحوا من تكلُّف أولئك ، وصفوا الله تعالى بالعَدَم المحض ؛ الذي لا اسم له ولا صفة ، وهم في الحقيقة جاحدون لوجودِ ذاته تعالى ، مكذِّبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله . وكل هذه الأربعة الأقسام كلُّ فريق منهم يُكفِّر مُقَابِله ، وهم كما قالوا ، كلُّهم كفار بشهادة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات ، الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين[1].

الأستاذ سيد قطب ومفهوم أوسع للإلحاد :

قال الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2]: والإلحاد هو الانحراف أو التحريف .. وقد حَرَّف المشركون في الجزيرة أسماءَ الله الحسنى ؛ فسموا بها آلهتهم المدَّعاة .. حرَّفوا اسم « الله » فسموا به « اللات » . واسم « العزيز » فسموا به « العزى » .. فالآية تقرر أن هذه الأسماء الحسنى لله وحده . وتأمر أن يدعوه المؤمنون وحدَه بها ، دون تحريف ولا ميل ؛ وأن يذَعوا المحرِّفين المنحرفين ؛ فلا يَحْفُلوهم ولا يأبهوا لما هم فيه من الإلحاد . فأمْرهم موكولٌ إلى الله ؛ وهم ملاقون جزاءهم الذي ينتظرهم منه .. ويا له من وعيد !..

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ١٢٨: ١٢٩) .
(٢) الأعراف : (١٨٠) .

وهذا الأمر بإهمال شأن الذين يُلحدون في أسماء الله ؛ لا يقتصر على تلك المناسبة التاريخية ، ولا على الإلحاد في أسماء الله بتحريفها اللّفظي إلى الآلهة المدّعاة .. إنما هو ينسحب على كل ألوان الإلحاد في شتى صوره ؛ ينسحب على الذين يلحدون - أي يحرّفون أو ينحرفون - في تصوُّرهم لحقيقة الألوهية على الإطلاق ، كالذين يدّعون له الولد ، وكالذين يدّعون أن مشيئته - سبحانه - مقيدة بنواميس الطبيعة الكونية ! وكالذين يدّعون له كيفيات أعمال تُشْبه كيفيات أعمال البشر - وهو سبحانه ليس كمثله شيء - وكذلك من يدّعون أنه سبحانه إلهٌ في السماء ، وفي تصريف نظام الكون ، وفي حساب الناس في الآخرة ؛ ولكنه ليس إلهًا في الأرض ، ولا في حياة الناس ، فليس له - في زعمهم - أن يشرِّع لحياة الناس ، إنما الناس هم الذين يشرِّعون لأنفسهم بعقولهم وتجاربهم ومصالحهم - كما يرونها هم - فالناس في هذا هم آلهة أنفسهم ، أو بعضهم آلهة بعض !.. وكله إلحادٌ في الله وصفاته وخصائص ألوهيته .. والمسلمون مأمورون بالإعراض عن هذا كله وإهماله ، والملحدون مَوعُودون بجزاء الله لهم على ما كانوا يعملون!»[1].

ونَلْمحُ في قول هذا الشيخ الجليل والأستاذ الفاضل،سيد قطب رحمه الله معنًى جديدًا ، لا يلحظه إلا أمثال سيد قطب رحمه الله ، وهو أن الإلحاد يشمل ويتطرَّق إلى حقيقة الألوهية من جميع جوانبها ؛ ومنها - كما ذكر الشيخ رحمه الله - الإلحاد في التشريع ، وهو الميْل عن الأصل الفطري والحق الإلهي في التشريع لعباده وخلقه ، فهو الخالق فله أحقيَّة التشريع لخلقه ، ولذلك نجد كثيرًا في آيات القرآن ربط قضية الألوهية بقضيه الربوبية كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[2]، فالله سبحانه الذي له الخلق فهو الخالق ؛ خلَق الإنسانَ ويعلم ما تُوسوس به نفسهُ ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ؛ فإنه سبحانه الذي يعلم

---

(١) انظر (ظلال القرآن) للشيخ سيد قطب،تفسير سورة الأعراف:آية (١٨٠) .
(٢) الأعراف : (٥٤) .

ما يُصْلح الإنسان ، ويعلم ما يُفسده ، فهو سبحانه أحقُّ مَنْ يُشرع لهذا الإنسان ، فالجحودُ كلُّ الجحود ، والجوْرُ كلُّ الجور ، والميلُ كلُّ الميل ، والانحرافُ كلُّ الانحراف ، أن يجحد هذا الإنسان حقَّ هذا الإله في التشريع والحكم بين خلقه ، فكيف يَخْلُق ويُعبدُ غيرهُ ؟!! وكيف يَرْزق ويُشكر غيرهُ ؟!! ، وكيف يَمْلِك ويُحَكَّمُ سواه ؟!! ، وكيف يكون هو الإله الأوحد الحق ويُشرِّع سواه ؟!!

سبحان الله ، أيُّ إلحاد هذا ؟! وأيُّ مَيْلٍ وزيغ عن الحق ؟! الذي انحرفوا به عن الفطرة ، وخالفوا به الكون من حولهم ، فهذا الكون البديع يصرخ في وجوههم معلنًا عن ألوهية الله لهذا الكون وما فيه ، ومعترفًا بألوهية الله التي هي حقُّ الله على خلقه ، ومُذعنًا بربوبية الله التي لامِرَاء فيها .

فما بقي إلا أن ينضمَّ هذا الإنسان إلى هذا العِقْد الذي هو حَلْقة فيه ؛ لتكتمل تلك الصورة الجميلة الرائعة التي يجب أن يكون عليها هذا الإنسان مع هذا الكون ، ومع هذه الطبيعة ، في انسجامٍ ربَّانيٍّ بديع .

فعلى كلِّ من انحرف عن المنهج الرباني ، وعن الفطرة الطبيعية الحقَّة التي فطر الله الناس عليها ، على كل من نحَّى شَرْع الله وأحلَّ مكانه هذه التشريعات الباطلة المزيفة ، التي هي غثاء من عقول البشر القاصرة ، سواء بُرِّر لذلك أم لم يبرر ، وسواء سماه شرعًا أو سماه أي مسمًّى ، وسواء حكم به تحت الدِّيانة والاعتقاد ، أم حكم به تحت الحرِّية والانفتاح ، سواء فضَّله على شرع الله أم لم يفضِّله ؛ فالحصيلة واحدةٌ ، والذنب واقع ، والإلحاد موجود ، والتوبة واجبةٌ من هذا الذنب العظيم ، والجُرْم الكبير ، حتى تتحقَّق لله الألوهية في الأرض ، وحتى يُحَكَّمَ بين خلقهِ ، وحتى توضع الأمور في نِصَابها ، وحتى تُرفع الجاهلية من الأرض ، قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1]. فليحذرْ هؤلاء الملحدون ؛ سواءٌ منهم الذين أعلنوا تمرُّدهم

---

(١) المائدة : (٥٠) .

على الإسلام وانسلخوا منه ، أو لم يدخلوه من الأصل ، أو هؤلاء الذين يَكذبون على أنفسهم ويخدعون الناس بأنهم من المسلمين وأن أسماءهم أسماء المسلمين ، إلا أن الإسلام والمسلمين منهم بَرَاء ، ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(1) فالله خَادِعُهم ، والله يمكر بهم ، والله يَمُدُّهم في طغيانهم يَعمهُون ، واللهُ غالبٌ على أمره ولكنْ أكثرهم لا يعلمون ، وسَيَعْلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون ، والحمد لله رب العالمين .

وأخيرًا نَذْرأُ بهذه الآية في نحور هؤلاء المنحرفين ، هؤلاء الملحدين ، الذين ألحدوا في أسماء الله وصفاته ، وفي قضية الألوهية . فالله يحذِّرهم ويهدِّدهم بأنه مُطَّلع عليهم وعلى أعمالهم ، وهو سبحانه على حسابهم وعقابهم والتَّنكيل بهم قدير ، فهم لا يَخْفون عليه ، وهو أعلم بهم من أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(2).

قال ابن كثير رحمه الله :

قال ابن عباس : الإلحاد وضْعُ الكلام في غير موضعه . وقال قتادة وغيره : هو الكفر والعناد . وقوله عز وجل : ﴿ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ فيه تهديدٌ شديد ووعيد أكيد . أي أنه تعالى عالم بمن يُلحد في آياته وأسمائه وصفاته ، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(3).

الإلحاد في الحرم :

لقد ألقينا الضوء في عُجالة من الأمر في السطور الماضية على معنى الإلحاد اللُّغوي والشَّرعي ، وبعض أنواع الإلحاد والتحذير من الوقوع فيه ، أو في أسر

---

(1) البقرة : (٩) .
(2) فصلت : (٤٠) .
(3) تفسير ابن كثير (٤/ ٩٩) .

أهلهِ ودُعاته ، ووجّهنا دعوةً لكل هؤلاء الملحدين ، على اختلاف مشاربهم ، وعلى تنوُّع اعتقاداتهم ، واختلاف مُسمَّياتهم ، دعونا كلَّ هؤلاء للتوبة إلى الله ، والإقلاع عن هذا الذنب ، والاستقامة على الجادة .

ورأينا تمامًا للفائدة أن نذكر قضيةً ذُكرت في القرآن الكريم ، تنبيهًا وتحذيرًا من خطورتها ، ألا وهي قضية : « الإلحاد في الحرم » .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

فإن هذا الحَرَمَ حَرَمُ الله ، حَرَّمه يومَ خلق السماوات والأرض ، ولم يُحلّه لأحدٍ من خلقه ، ولن تحلَّ لأحدٍ إلى يوم القيامة . اللَّهم إلَّا لنبيِّنا محمدٍ ﷺ ، فقد أُحلت له ساعة من نهار ، وهي يوم فتح مكة ؛ تكريمًا وتشريفًا لنبيِّنا ﷺ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

« وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ : يعني مكة . ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ قال : أنت يا محمد يحلُّ لك أن تقاتل به .

وقال الحسن البصري : أحلَّها الله له ساعةً من نهار . وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته : « إن هذا البلدَ حَرَّمَه اللهُ يومَ خلَق السمواتِ والأرضَ ، فهو حرامٌ بحُرْمةِ اللهِ إلى يوم القيامةِ ، لا يُعْضَد شَجَرُه ، ولا يُختلَى خلاه ، وإنما أُحِلَّتْ لي ساعةً من نهارٍ ، وقد عادتْ حُرمتُها اليومَ كحُرمتها بالأمس ، ألا فليُبلغ الشاهدُ الغائبَ » . وفي لفظٍ آخر : « فإنْ أحدٌ ترخَّصَ بقتالِ رسولِ الله ﷺ ، فقولوا : إن الله أذِنَ لرسولِهِ ولم يَأذنْ لكم »[3].

---

(١) الحج : (٢٥) .
(٢) البلد : (٢) .
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٦) .

فَحذَّر اللهُ تعالى ، وحذَّر نبيُّه ﷺ ، من انتهاك حُرمة هذا الحرم ، فإن الله سبحانه وتعالى وعد على لسان نبيِّه ﷺ بمضاعفة الأجر والثواب في هذا الحرم الشريف ، حتى بلغ مضاعفة أجر الصلاة فيه بأنَّ الركعة فيه تَعدل أجر « مائة ألف ركعة » ، فممَّا لا شكَّ فيه أن السَّيئات والذنوب والمعاصي فيه ليست كغيره من الأماكن ، فليحذر المسلم من أن تَنزلِق قدماه إلى هذه الهاوية ، فإن عقاب الله شديد ، وعذابه أليم .

وفي الجاهلية أيضًا نلحظ أن المشركين كانوا يراعون حرمة هذا الحرم في أحايين كثيرة ؛ ومن ذلك حينما أرادوا أن يقتلوا الصحابي الجليل خُبيبًا رضي الله عنه ، خرجوا به إلى التنعيم ، وذلك في الحِلِّ ، خارج حدود الحرم .

وبقي لنا أن نعرف ما المقصود بالإلحاد والظلم المذكورَيْن في آية سورة الحج ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

« والأجود أنه ضمَّن الفعل هاهنا معنى « يَهُمُّ » ؛ ولهذا عدَّاه بالباء فقال : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾ أي يهم فيه بأمرٍ فظيع من المعاصي الكبار ، وقوله : ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ أي عامدًا قاصدًا أنه ظلم ، ليس بمتأوِّل ، كما قال ابن جريج عن ابن عباس : هو التعمُّد .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : بظلم : بشرك .

وقال مجاهد : أن يُعبد فيه غير الله . [وكذا قال قتادة وغير واحد] .

وقال العوفي عن ابن عباس : بظلم : هو أن تَستحلَّ من الحرم ما حَرَّم الله عليك من إساءةٍ أو قتل ، فتظلم من لا يظلمك ، وتقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم .

وقال مجاهد : بظلم : يَعمل فيه عملًا سيِّئًا ، وهذا من خصوصية الحرم ،

(١) الحج : (٢٥) .

أنه يُعاقب البادي فيه الشر إذا كان عازمًا عليه ، وإن لم يوقعه[1].

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ قال : لو أن رجلًا أراد فيه بإلحاد بظلم ، وهو بعَدَن أَبْيَنَ؛لأذاقه الله من العذاب الأليم .

وقال الثوري عن السدي عن مرة عن عبد الله،قال : ما من رجل يهمُّ بسيئةٍ فتكتب عليه ، ولو أن رجلًا بعدن أبينَ ، هَمَّ أن يقتل رجلًا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم .

وجاء عن ابن عباسٍ في تفسير هذه الآية،أنها نزلت في عبد الله بن أنيس : أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين ؛ أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار ، فافتخروا في الأنساب ، فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ، ثم ارتد عن الإسلام ، ثم هرب إلى مكة ، فنزلت فيه : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ يعني من لجأ إلى الحرم بإلحادٍ ، يعني بميلٍ عن الإسلام[1]. والله أعلم .

* * *

(١) انظر تفسير ابن كثير ، سورة الحج آية (٢٥) [٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦] .

الفصل الثامن
الولاء والبراء



○ الفصل الثامن : الولاء والبراء ○

أولًا : معنى الولاء والبراء لغةً :

أ - معنى الولاء لغةً :

الوَلِيُّ : هو الناصر .

الوَلاية والوِلاية : النُّصرة ، يقال : هُمْ على وَلاية (وِلاية) : أي مجتمعون في النُّصرة .

المولى : الحليف ، وهو من انضم إليك ، فعَزَّ بعِزِّك ، وامتنعَ بمَنَعَتِك[1].

ب - معنى البراء لغةً :

قال ابن الأعرابي : بَرِئَ : إذا تخلَّص . وإذا تنزَّه وتباعد . وإذا أَعْذَرَ وأَنْذَرَ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ أي إعذارٌ وإنْذارٌ[2].

ثانيًا : معنى الولاء والبراء شرعًا :

أ - معنى الولاء شرعًا :

هو التناصر والتعاضد .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[3] قال : أي يتناصرون ويتعاضدون[4].

ب - معنى البراء شرعًا :

هو المصارمة ، والعداوة ، والمجانبة ، والتبرِّي ، والبُغض[5].

---

(١) انظر لسان العرب مادة (ولي) ، [٥/ ٤٠٦ : ٤١٤] .
(٢) انظر لسان العرب مادة (برأ) ، [١/ ٣١ : ٣٤] .
(٣) سورة التوبة (٧١) .
(٤) تفسير ابن كثير ، سورة التوبة (٧١) .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ، سورة الممتحنة آية (٤) .

ثالثًا : شيخ الإسلام ابن تيمية والولاء والبراء[1]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والولاية : ضد العداوة . وأصل الولاية : المحبّة والتقرُّب . وأصل العداوة : البُغض والبُعْد .

والولي : القريب . ويقال : هذا يلي هذا ؛ أي يقرب منه .

فإذا كان وليُّ الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليِّه معاديًا له .

فمن عادى أولياءَ الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ؛ ولهذا جاء في الحديث : « مَنْ عادَى لي وليًّا ، فقد بارَزَني بالمحاربة »[2].

رابعًا : بعض أنواع الموالاة :

١ – موالاة المؤمن لكتاب الله تعالى :

إن من أولى الولاية التي يجب على المسلم ولايتها هي موالاة كتاب الله تعالى ، ويكون ذلك بحبِّ المسلمِ المؤمنِ لكتاب الله تعالى ؛ لأنه صفةٌ من صفات الله ، ووحيه إلى خلقه .

ويظهر هذا الحب وهذه الموالاة على سلوك المؤمن ، وتأدبه مع كتاب الله (القرآن العظيم) [في تلاوته ، وحفظه ، والعمل بما فيه ، والائتمار بأوامره ، والانتهاء عن نواهيه ، والوقوف عند حدوده ......] فَيُحَكِّمُ شرع الله تعالى في كل حياته ؛ على نفسه ، وعلى زوجاته ، وعلى أبنائه .

ويتحرّك به بين إخوانه ، محكِّمًا إياه ، وداعيًا إليه ، ويكون هواه تبعًا لهذا الكتاب، ويكون راضيًا عن هذا الشرع، ولا يجد في نفسه حرجًا مما قضى الله فيه ، ويُسلِّم بقلبه عن حبٍّ ورضًا .

٢ – موالاة المؤمن لدين الله تعالى :

لقد مَنَّ الله تعالى على البشرية بأن اختار لهم الإسلام دينًا ، وجعلنا –

---

(١) انظر الفرقان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٧) .

(٢) رواه البخاري كتاب (الرقائق) ، باب (التواضع) .

سبحانه – حماةً للإسلام ، وحرَّاسًا للعقيدة ، فكان من أوجب الواجبات على الأمة الإسلامية – موالاةً لهذا الدين ونصرةً له – حَمْلُه إلى أنحاء المعمورة ، وتبليغه لكل حيٍّ ينبض ، فهذه أمانة يجب تأديتُها ؛ حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة المخلوقات إلى عبادة الخالق ، وحتى يروا طريق النور والهُدى والرَّشاد ؛ وحتى يُخلِّصوا أنفسهم من النار ، ويكونوا من أصحاب الجنان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1].

٣ – موالاة المؤمن للرسول ﷺ :

إن الله تعالى اختار نبيَّه ﷺ واصطفاه ، وأوجب علينا محبّته ونصرته وموالاته ؛ فإن موالاة الرسول ﷺ من أوجب الواجبات على المسلم ، ومن أفضل الطاعات والقربات إلى الله تعالى ، فيجب على المسلم موالاة هذا النبي بكلِّ أنواع الموالاة ، وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني النُّصرة والمحبة والإخلاص والصدق .

ولهذه الموالاة صور كثيرة وعديدة ، منها :

أ – محبته ﷺ :

حبُّ الرسول ﷺ من الإيمان ، ومن أجلِّ علاماته ، يجب على المسلم أن يحبَّ هذا النبيَّ ﷺ أكثر من نفسه ووالِده وولِده وأهلِه ومالِه والناس أجمعين ، موالاةً للرسول ﷺ وعبادةً لله تعالى .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يُؤمِن عبدٌ حتى أكونَ أحبَّ إليه من أهلِه ومالِه والناسِ أجمعين** »[2].

ب – طاعته ﷺ :

ومن مظاهر الموالاة : طاعته ﷺ في كل ما جاء به وأمر ، والانتهاء عن

---

(١) سورة آل عمران : (١٩) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب (الإيمان) ، باب (وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل) .

كل ما نهى عنه وزَجَر ؛ موالاةً له ، وعبادةً لله ، وطاعةً للمولى عزَّ وجل . فقد أمر الله تعالى بذلك حيث قال : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2]. فعلّق سبحانه وتعالى رحمتَه لعباده على طاعتهم له ولرسوله ﷺ ؛ لأنه مرسَل من عند الله ، ومُبلِّغ عنه ، وما ينطق عن الهوىٰ ، إن هو إلا وحيٌ يوحىٰ ، علّمه شديدُ القُوىٰ .

والأمر بطاعة الرسول ﷺ يقتضي الوجوب ، وهو عينُ الموالاة والإذعان والنُّصْرة .

جـ - نَصْر سُنّته ﷺ :

إن من أعظم الموالاة للنبي ﷺ نصرَ سنته وحَمْلها للعالَمين ؛ لإخراج العباد من الظلمات إلى النور ، ومن عبادةِ العباد إلى عبادة ربِّ العباد ، فالمسلم مطالبٌ تجاه سنة نبيه ﷺ،مأمور بأمور عدة ؛ منها :

١ - معرفة هذه السُّنة والتّفقُّه فيها .

٢ - العمل بهذه السُّنة وتطبيقها في جميع شئون الحياة .

٣ - تبليغ هذه السُّنة لجميع العباد ، فهي أمانة لا بدَّ من تأديتها وتوصيلها في جميع أنحاء المعمورة .

٤ - يجب على المسلم بعد ذلك:الدفاع عن هذه السُّنة ونصرتها والذَّبّ عنها ، والوقوف في وجه كلِّ حاقدٍ وحاسد ، ممَّن يُحارِبون هذه السُّنة المطهرة ، والوقوف أيضًا في وجه أصحاب البدع ، الذين يبتدعون في الدين ، وهو أكبر وأخطر أنواع المحاربة ، ولذلك نجد السَّلف - رحمة الله عليهم - تصدَّوا لكل مبتدعٍ محارِب للسنة ، ومن هؤلاء السلف إمام أهل السُّنة والجماعة: الإمامُ أحمد بن حنبل، رحمه الله ، حينما تصدّى لبدعة القول (بخلق القرآن) الذي هو صفة من صفات الرحمٰن .

---

(١) آل عمران : (١٣٢) .

(٢) النساء : (٨٠) .

٤ – موالاة المؤمن لإخوانه المؤمنين :

إن موالاة المؤمن لإخوانه المؤمنين دعامة من دعائم هذا الدين ، بل هي ركيزةٌ من ركائزه ، فالمؤمن مع المؤمن يكتمل الصَّف ، ويلتمُّ الشَّمل ، ويوحَّد الصف ، وتتجمع القُوى ، ويظهر الدين ، وتُرفع الراية ، ويُقهر العدو . فلا بدَّ من هذه الموالاة بين المؤمنين لنشر هذا الدين وحمايته .

وموالاة المؤمن لإخوانه المؤمنين تتجسَّد في صور كثيرة ، نُلقي الضوءَ على بعضها :

أ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يتناصرون ويتعاضدون ، وذلك يكون بوسائل شتّى وطرقٍ عدة ؛ ومن هذه الطرق : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فبعضهم أولى ببعض ، فإذا كانوا هم يتحرَّكون بهذا الدين ، ويدعون كل الناس للخير ، وينهونهم عن الشر ، فبعضهم أولى ببعض في هذا الأمر وهذا النهي ؛ ولذلك لما ذَكَرهم الله في كتابه العزيز،أوضح أن من صفاتهم وعلاماتهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهذا من أعظم أبواب التناصر والتعاضد في الدين ، وذلك حين يُعِينُ المؤمنُ أخاه المؤمن على الطاعة ، ويُقوِّمُه إذا انعوج . قال تعالى:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1] .

ب – اللِّين وخفضُ الجَناح :

إن من مظاهر الموالاة في الله أيضًا:اللِّين وخفض الجناح للمؤمنين ، فإن هذا الدين فريدٌ في خصائصه ، يصنع نوعًا خاصًّا من الرجال ، يجمع بين : (اللِّين والشِّدة ، والرِّقة والغِلْظة ، والذِّلَّة والعِزّة) وبالمصطلح العقائدي – أو العَقَدي – يجمع بين : (الولاء والبراء) :

---

(١) التوبة : (٧١) .

(ولاءٌ للمؤمنين) : فنرى اللين والرقة والذُّل وخفض الجناح .
(براءٌ من الكفرة والمشركين) : فنرى الشدة والغلظة والعزة والكبرياء .
ويصوِّر لنا القرآن الكريم هذا النوع من الولاء،في قول الله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[2].
ويُجسِّد لنا الرسول ﷺ هذه الصورة تجسيدًا حسيًّا فيقول : « المؤمنون هيِّنون ليِّنون ، كالجملِ الأنِفِ، إنْ قِيد انقادَ ، وإذا أُنيخ على صخرةٍ استناخ»[3].

جـ – المحبة والمودة :

إن الولاء الذي هو السِّياج الذي بين المؤمنين ؛ ما كان ليكون إلَّا إذا كان مبنيًّا على دعائم المحبة وركائز الوُدِّ والأُلفة ، تلك المحبة التي هي نابعة من القلب : ويوضح لنا الرسول ﷺ أهمية هذا الحبِّ ، وأنه ضروريٌّ لتحقيق الإيمان ، ففي الحديث : « لا يُؤمِن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه »[4].

ويوضِّح لنا الرسول ﷺ فضل هذا الحب وقدره عند الله تعالى ، فيقول ﷺ : « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابُّون بجلالي ؟ اليوم أُظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلَّا ظلِّي »[5].

د – النصرة :

إن من مقتضيات الموالاة في الله لإخواننا المؤمنين:(النُّصْرة)،وهي نصرة إخواننا المسلمين في كل مكانٍ ، وفي كل بلدٍ ، وعلى كل أرضٍ ، وفي أي وقت،،

---

(١) المائدة : (٥٤) .
(٢) الفتح : (٢٩) .
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان . (والحديث حسن) .
(٤) رواه البخاري ، كتاب (الإيمان) ، باب (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) . ورواه مسلم ، كتاب (الإيمان) ، باب (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .
(٥) رواه مسلم ، كتاب (البر والصلة) ، باب (فضل الحب في الله) .

وفي كل عصر ، قال تعالى : ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾[1] فالنصرة حقٌّ إسلامي ، وواجب إيماني ، وموالاة في الله تعالى .

وإن هذه النصرة لها أشكال كثيرة ، وذلك حسب قدرة المسلم واستطاعته ، والله هو المُطَّلِع على المسلم ، وعلى مدى جدِّيته وصِدْقه في نصْرة إخوانه المسلمين في كل مكان ، ومن هذا الأنواع والأشكال في النُّصرة ما يلي :

١ – النُّصرة بالنَّفْس .
٢ – النُّصرة بالمال .
٣ – النصرة بأن يَخْلُفَ المسلمَ في أهله وماله .
٤ – النصرة بالدعاء لإخوانه المسلمين في كل مكان بالنصر والظَّفر .
٥ – النصرة بتحديث النفس بالغزو في سبيل الله .

خامسًا : بعض أنواع البراء :

كما أن الولاء لله وللرسول ﷺ ، ولدِين الإسلام وللمؤمنين ، كلُّ ذلك من عقيدة المسلم ، ويُسمَّى « ولاءً » – فأيضًا البراء من الكفار والمشركين والملحدين ، ومن أعداء الله وأعداء الدين ، وأعداء الرسول ﷺ وأعداء المؤمنين ، كلُّ ذلك أيضًا من العقيدة ، ويُسمَّى ذلك « براءً » .

وهذا البراء هو الشِّقُّ الآخر للولاء في تكوين شخصية المسلم المعتدلة البارزة الفريدة ، التي كوَّنتها آياتُ القرآن الكريم وسنة النبي العظيم ﷺ ، فإن حُبَّ المسلم لله تعالى يقتضي بُغْضه للكافرين والمشركين ، وحُبّه للإسلام يقتضي بُغْضه لكل مذاهب الكفر بأنواعها ، وحبُّه للقرآن الكريم يقتضي بغضه لكل القوانين والتشريعات الكفريَّة ، وحبُّه للمسلمين يقتضي بغضه لكل كافر ومشرك وملحد .

وتجب البراءة من كل الكفار والمشركين ، ومِنْ كُفرهم وشِرْكهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وقوانينهم وتشريعاتهم .

---

(١) الأنفال : (٧٢) .

وللبراء صورٌ كثيرة ومتعددة ، ومن هذه الصُّور ما يلي :

١ - البراء من المشركين :

ونحن نتكلَّم عن البراء الذي هو من عقيدة المسلم ؛ ينبغي لنا أن نذكرَ عبدَ الله ورسولَه وخليلَهُ وإمام الحنفاء إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، وهو يضرب لنا المثل الأعلى في البراء من المشركين ، ومن كل مَنْ عَبَدَ غيرَ الله تعالى ؛ غَيْرَةً على التوحيد ، واعترافًا بحق الله تعالى وألوهيته لهذا الكون ، وأنه الأحقُّ بصرف العبادة له دون سواه ، وأنه أحقُّ بالتشريع لخلقه والحُكْم فيهم بشرعه . فنرى إبراهيم عليه السلام وهو يواجه الكفر وأهلَه في ثباتٍ وإيمان ، ويعلن هذا (البراء) بدون خوف ولا تردُّدٍ في وسط ملَّة الكفر جمعاء ، ولم يُثْنِهِ عن البراء أنَّ أباه ضمن ملة الكفر ، ولا أن أهلَه من المشركين ؛ فإن حُبَّه للتوحيد غلب على أحاسيسه ، ومَلَكَ عليه قلبه ، فلم يَضِرْهُ أن يتبرَّأ من أبيه وأهله إذا كان ذلك (موالاةً لله) ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

فأعلن إبراهيم عليه السلام هذا البراء على الملأ ؛ ليحققَ هذا التوحيد وهذا الولاء لله تعالى ، ضاربًا لنا المثل والقدوة ، ومُمَهِّدًا لنا الطريق للأسوة والاتباع ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ ، (أي هذه الكلمة ؛ وهي عبادةُ الله وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان . أي جَعَلَها دائمة في ذريَّته ، يقتدى به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه السلام)[2].

أُمَّةٌ سائرة على الدَّرب :

لقد أمرنا الله تعالى أن نأخذ الأُسوةَ والقدوة في التوحيد والولاء لله ولدين

---

(١) الزخرف : (٢٦ : ٢٨) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة الزخرف آية (٢٦ : ٢٨) : [٤/ ١٢٢ : ١٢٣] .

الله ، وكذلك في البراء من المشركين – من سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومن الذين آمنوا معه واتَّبعوه ، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[1] فنجد في ذرية إبراهيم عليه السلام ضمن قافلةِ التوحيد مَنْ يضرب أروع الأمثلة (للبراء من المشركين) وتحقيقًا للتوحيد ، وللولاء لله ولدينه وللمؤمنين .

فقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[2].

قيل في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نزلت في أبي عُبيدة ؛ قتَل أباه يوم بدر .

﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصِّديق؛هَمَّ يومئذٍ بقتْل ابنه عبد الرحمن .

﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مُصعب بن عُمير ؛ قتَل أخاه عبيد بن عمير يومئذٍ .

﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر ؛ قتَل قريبًا له يومئذٍ أيضًا . وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ؛ قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذٍ . والله أعلم[3].

فهؤلاء الفرسان في قافلةِ التوحيد ، السائرون على دَرْب الأنبياء والمرسلين ، يجسدون الولاءَ لله في أعلى مقاماته وصُوره ، فيستعلون على نزعة العِرْق والنَّسب ، ويعتزُّون برابطة الدِّين ، ووشاج الأخوَّة في العقيدة ، ويُعلنون البراء من كلِّ من عادى الدِّين وحادَّ الله ورسوله ، ولو كان أقرب الأقربين . فرضي الله عن الخلف والسَّلف ، ورزقنا السَّير على دربهم .

---

(١) الممتحنة : (٤) .

(٢) المجادلة : (٢٢) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ، سورة المجادلة آية (٢٢) : [٤/٢١٧ : ٢١٨] .

٢ - البراء من المنافقين :

كما أنه من عقيدة المسلم:البراء من الكفار والمشركين ، كذلك فإنه يجب على المسلم البراء أيضًا من المنافقين ؛ فهم يشتركون مع الكفار والمشركين في معاداة هذا الدين والكَيْد له وللمسلمين ، بل قد يكون خطرهم أكبر على الإسلام والمسلمين ؛ وذلك لأنهم يندسُّون في صفوف المسلمين ، ويَتَسمَّون بأسمائهم ، ويلبسون ثيابهم ، ويقفون في صفوف ثم يطعنون المسلم في صدره . فهم أمكنُ منه من الكفار والمشركين ؛ قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1]. وقال عنهم أيضًا : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[2].

فهذا هو حالهم ، وهذا هو دأبهم:الخدَّاع ، والمكر،والكيد للإسلام وللمسلمين ، (فوجب البراء منهم) طاعةً لله ، وموالاةً له وللإسلام والمسلمين .

ولذلك جاء الأمر الإلهي للنبي ﷺ بجهاد هؤلاء المنافقين ؛ بالغلظة عليهم والإعراض عنهم ، وتوعَّدهم الله تعالى بأن مأواهم النار وبئس القرار ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[3]

٣ - البراء من العصاة :

لا بدَّ للمسلم أن يَغار على شرْع الله،وعلى حرمات الله إذا انتُهكت ، حتى ولو كان هذا الانتهاك على يد مسلمٍ ، فيجب الغَيْرة على دين الله وحدود الله . فإذا تجرَّأ مسلمٌ على معصية الله،وجب بُغْض هذه المعصية ، والبراء من فِعْلها ،

---

(١) البقرة : (٨ : ٩) .
(٢) البقرة : (١٤) .
(٣) التوبة : (٧٣) .

ويُبْغَضُ المسلمُ على قدْر معاصيه ، ويُحبُّ على قدر طاعته لله ، وفي هذا إعلان للولاء لله ولدينه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« وإذا اجتمع في الرجل الواحد : خيرٌ وشرٌ ، وفجورٌ وطاعة ، ومعصية وسُنَّة وبدعة ؛ استحقَّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ؛ كاللص تُقطع يده لسرقته ، ويُعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهلُ السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم »[1].

وقد ورد أن الصحابي الجليل عبد الله بن حِمَار كان يشرب الخمر ، وأُتيَ به إلى النبي ﷺ ، فلعنه رجل وقال : ما أكثر ما يؤتى به !! فقال الرسول ﷺ : « لا تَلْعَنْهُ ، فإنَّه يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ »[2]. فدلَّ ذلك على أن المسلم العاصي يُبغَض على قدر معصيته ، ويُحَبُّ على ما عنده من الإسلام ومن خصال الخير .

* * *

---

(١) انظر « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ٢٠٨ : ٢٠٩) .

(٢) رواه البخاري ؛ كتاب (الحدود) ، باب (ما يكره مِن لَعْن شارب الخمر ، وأنه ليس بخارجٍ من الملة) .

□ الخاتمـة □

الحمد لله رب العالمين الذي تتم به الصالحات ، موفق العباد لسبيل الهدى والرشاد ، ومُنَجِّيهم من الظلمات ، وهاديهم إلى ما يحبه ويرضاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعـد :

فبعد أن تجولنا في هذا الكتاب ، وبين هذه السطور ، ونهلنا من نهر التوحيد وشاء الله لنا أن نعيش مع هذا التوحيد ، ونحيا مع هذه العقيدة الصافية لهذه الفرقة الناجية ، التي هي امتداد لعقيدة السلف الصالح ، من أهل السنة والجماعة – أود أن أوضح أمرين مهمين جدًا :

الأمر الأول :

ما توصلت إليه أثناء بحثي أن أمر التوحيد جد مهم وخطير ، وتكلم فيه الكثير والكثير ، وهناك من جاء بالصحيح ، وهناك مَن دس السقيم ، ولا يستطيع أن يميز الخبيث من الطيب إلا مَن عنده عقيدة ثابتة راسخة ، قد تأسست على تقوى من الله تعالى ، ثم على منهج السلف الصالح ؛ فوجب على علماء المسلمين أن يسدوا هذا الجانب بالكثير والكثير وأن يوجهوا عناية المسلمين لتعلم هذا العلم والاهتمام به ؛ وذلك لما لهذا العلم (علم التوحيد) من أهمية كبرى في حياة المسلم وإيمانه وأيضًا في آخرته ومصيره .

وتوصلت أيضًا خلال بحثي أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي العقيدة الحقة ، ومنهجها هو المنهج القويم الجدير بأن يُتَّبع ، وأن ما عداها من عقائد الفرق والجماعات والمذاهب لا يخلو بعضها من فساد في العقيدة ، وبعضها الآخر من انحراف في المنهج ، وبعضها لا تقوم له أي قائمة .

وتوصلت أيضًا إلى أن هذا العلم هو العمدة ، وهو رأس هذه العلوم ،

ويتوقف قبول باقي العبادات مهما بلغ مكانها من الدين الإسلامي على هذا العلم (علم التوحيد) فلا تقبل جميع العبادات إلّا بتحقيق هذا التوحيد ، بل يتوقف دخول الجنة ودخول النار على تحقيق هذا التوحيد وعدم تحقيقه .

الأمر الثاني :

توصياتي من خلال هذه التجربة :

١ – تقوى الله عز وجل في السر والعلن .

٢ – اهتمام كل مسلم بعلم التوحيد (تَعَلُّمه ، واعتقاده ، وظهور آثاره على سلوك المسلم ومعاملاته) .

٣ – اهتمام علماء المسلمين بتوعية المسلمين ، وشحذ هممهم تجاه الاستزادة من تعلم أمور التوحيد ومسائل العقيدة ، التي يصح بها توحيد المسلم ، وتسلم بها عقيدته .

٤ – مازلنا في حاجة إلى الكتابة في هذا العلم بأساليب جذّابة مبسطة وسهلة تجذب المسلم للاطلاع في هذا العلم والاستزادة منه ، وتكون بعيدة عن التعقيد والغلظة ؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى الملل ونبذ هذا العلم .

٥ – حاجتنا إلى تطبيق هذا العلم بعد تعليمه في أقوالنا وأعمالنا وسلوكنا ومعاملاتنا .

٦ – أوصي كل مسلم يريد الاطلاع في هذا العلم أن يتحرى كتب أهل السنة والجماعة ، ويحذر كتب أهل البدع والفِرَق الضالّة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

☐ أهم المراجع والمصادر ☐

١ – القرآن الكريم . كلام الله تعالى .
٢ – تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .
٣ – تفسير القرآن العظيم . للحافظ ابن كثير الدمشقي .
٤ – في ظلال القرآن . العلاّمة سيد قطب .
٥ – صفوة التفاسير . للشيخ محمد علي الصابوني .
٦ – صحيح البخاري « الجامع الصحيح » . لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري .
٧ – صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري .
٨ – سنن أبي داود . لسليمان بن الأشعث السجستاني .
٩ – سنن الترمذي (جامع الترمذي). لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي.
١٠ – سنن النسائي (المجتبى) . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي .
١١ – سنن ابن ماجه . لأبي عبد الله محمد بن زيد بن ماجه القزويني .
١٢ – الموطأ . للإمام مالك بن أنس .
١٣ – مسند الإمام أحمد . لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني .
١٤ – السنن الكبرى . للإمام أحمد بن الحسين البيهقي .
١٥ – سنن الدارقطني . للإمام علي بن عمر الدارقطني .
١٦ – سنن الدارمي . للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي .
١٧ – المستدرك . للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري .
١٨ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي
١٩ – جامع بيان العلم وفضله . لأبي عمر يوسف بن عبد البر .
٢٠ – شعب الإيمان . للإمام البيهقي .

٢١ – رياض الصالحين . للإمام محيي الدين النووي .
٢٢ – صحيح الجامع الصغير . للشيخ المحدّث محمد ناصر الدين الألباني .
٢٣ – سلسلة الأحاديث الصحيحة . للشيخ المحدّث محمد ناصر الدين الألباني .
٢٤ – غاية المرام في تخريج الحلال والحرام . للشيخ المحدّث محمد ناصر الدين الألباني .
٢٥ – جامع العلوم والحكم . لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي .
٢٦ – مختصر شعب الإيمان . للإمام أبي المعالي عمر بن عبد الرحمن القزويني .
٢٧ – فتح الباري شرح صحيح البخاري. للحافظ ابن حجر العسقلاني .
٢٨ – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . علاء الدين الهندي .
٢٩ – كتاب التوحيد . الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
٣٠ – مجموعة التوحيد . تحقيق وتعليق الدكتور بشير محمد عيون .
٣١ – فتح المجيد شرح كتاب التوحيد . للشيخ عبد الرحمن بن حسن .
٣٢ – تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد . للشيخ سليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب .
٣٣ – العقيدة الطحاوية . لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي .
٣٤ – شرح العقيدة الطحاوية . لابن أبي العز الحنفي .
٣٥ – التدمرية . لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣٦ – العبودية . لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣٧ – الإيمان . لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣٨ – اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم . لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣٩ – العقيدة الواسطية . لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٤٠ – مجموع الفتاوى . لشيخ الإسلام ابن تيمية (جمع:عبد الرحمن بن قاسم).
٤١ – مدارج السالكين . للعلّامة ابن القيم .
٤٢ – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . للعلّامة ابن القيم .

٤٣ – بدائع الفوائد . للعلّامة ابن القيم .
٤٤ – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي . للعلّامة ابن القيم .
٤٥ – القصيدة النونية . للعلّامة ابن القيم .
٤٦ – بغية القاصدين من كتاب مدارج السالكين . للشيخ عبد الله السبت .
٤٧ – معارج القبول شرح سلم الوصول . للشيخ حافظ الحكمي .
٤٨ – الولاء والبراء في الإسلام . للدكتور محمد بن سعيد القحطاني .
٤٩ – كتاب التوحيد . للدكتور صالح بن فوزان الفوزان (وزارة المعارف) .
٥٠ – كتاب علم التوحيد . للأستاذ محمد قطب (وزارة المعارف) .
٥١ – العقيدة في الله . الأستاذ عمر سليمان الأشقر .
٥٢ – الإيمان: حقيقته ، أركانه، نواقضه . الدكتور محمد نعيم ياسين .
٥٣ – تحكيم القوانين . للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .
٥٤ – تلبيس إبليس . لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .
٥٥ – فتاوى إسلامية لمجموعة من العلماء الأفاضل . فضيلة الشيوخ: ابن باز – ابن عثيمين – ابن جبرين .
٥٦ – المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين. لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٥٧ -- العقيدة الصحيحة . لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز .
٥٨ – وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه. لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز.
٥٩ – اليوم الآخر . للشيخ عبد القادر الرحباوي .
٦٠ – أهوال يوم القيامة . اعبد الملك علي الكليب .
٦١ – مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة . للدكتور ناصر العقل .
٦٢ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي .
٦٣ – تفسير كلمات القرآن الكريم . حسنين محمد مخلوف .
٦٤ – المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية بمصر .
٦٥ – المعجم الوجيز . مجمع اللغة العربية بمصر .
٦٦ – لسان العرب . لابن منظور .



الفهــــرس

* * *

كتب للمؤلف

١ - البيان في صفات عباد الرحمن.
٢ - العقيدة الصافية للفرقة الناجية.
٣ - حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة.
٤ - قبس من هدي النبي ﷺ.

سلسلة الولاء والبراء

١ - الولاء الحميم للقرآن الكريم.
٢ - الولاء لدين الله.
٣ - معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء.
٤ - الولاء للمؤمنين أصل من أصول الدين.
٥ - البراء من العصاة والمنافقين.
٦ - البراء من الكفار والمشركين.
٧ - تحذير المسلمين من موالاة المنافقين.
٨ - الولاء المشؤوم لليهود والنصارى.

سلسلة التعبد لله بأسمائه وصفاته

١ - (السميع البصير)
﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾.
٢ - (العزيز الحكيم)
﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ تحت الطبع